

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المشكاة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية عالمية محكمة

المجلد الخامس- العدد الأول: رجب ١٤٣٩هـ/آذار ٢٠١٨م

ISSN 2311-0538



جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المشكاة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية عالمية محكمة

تصدر عن عمادة البحث العلمي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمّان/ المملكة الأردنية الهاشمية

المجلد الخامس- العدد الأول: رجب ١٤٣٩هـ/آذار ٢٠١٨م



ما ورد في هذه المجلة يعبّر عن آراء الباحثين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير
أو جامعة العلوم الإسلامية العالمية أو سياسة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي





تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عمادة البحث العلمي- جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (٥٦٠٠٢٣٠ ٦ ٩٦٢+) فاكس (٥٦٠٠٢٣٧ ٦ ٩٦٢+)

البريد الإلكتروني: **al_mishkat.journal@wise.edu.jo**

موقع الجامعة الإلكتروني: **www.wise.edu.jo**

المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية عالمية محكّمة

المجلد الخامس- العدد الأول: رجب ١٤٣٩هـ/آذار ٢٠١٨م

رئيس هيئة التحرير

أ. د. هناء محمد الحنيطي

هيئة تحرير المجلة

أ.د. محمود علي السرطاوي — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

أ.د. نواف سالم كنعان — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

أ.د. محمد موفق الارناؤوط — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

أ.د. ياسر عبد الكريم الحوراني — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

أ.د. عبدالباسط المراشدة — جامعة آل البيت

د. عبدالمقصود حامد — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

د. عبدالرؤوف بني عيسى — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

د. عمر محمد المومني — جامعة العلوم الاسلامية العالمية

الهيئة الاستشارية

أ.د. سمير محمود الدروبي — جامعة مؤتة

أ.د. عبد الكريم خليفة — مجمع اللغة العربية

أ.د. عفيف عبد الرحمن — رئيس هيئة التحرير سابقا

أ.د. علي توفيق الحمد — جامعة اليرموك

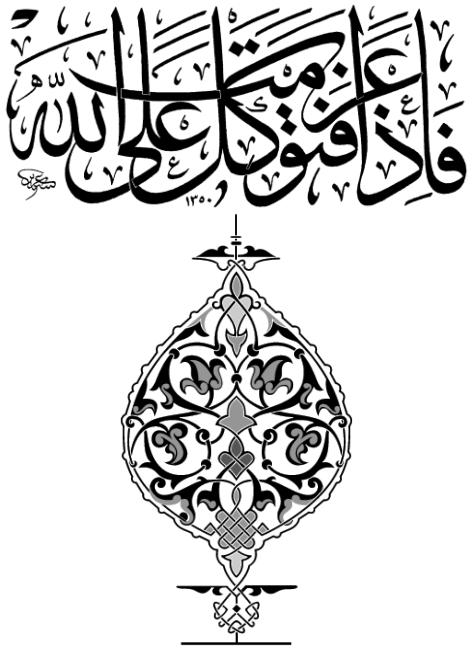
أ.د. يحيى عطية عبابنة — جامعة اليرموك

المحرّر اللغوي/ اللغة العربية
د. عاطف الدويكات

المحرّر اللغوي/ اللغة الإنجليزية
د. جبريل السعودي

أمين سر مجلة المشكاة
واخراج العدد

شيماء عبد الكريم حمدونة


فإذا عزمت فتوكل على الله
١٣٥٠

مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية عالمية محكّمة

قواعد النشر:

- لغة المجلة هي العربية، ويمكن أن تُقبل بحوثٌ باللغة الإنجليزية أو بأي لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.
- يُقبل للنشر في المجلة البحوث والنصوص المحقّقة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- يُشترط فيما يُقدّم للمجلة أن يكون أصيلاً وليس مقدّماً لمجلة أو أي جهة ناشرة أو أكاديمية. ويتعهّد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- أن يكون البحث المقدَّم خاضعاً لأسس البحث العلمي وشرائطه.
- يُصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة، ولا يجوز النقل منه إلا بالإشارة إلى المجلة.
- يجوز للباحث إعادة نشر بحثه في كتاب بعد مضي سنتين على نشره والحصول على موافقة هيئة التحرير الخطية على أن يُشار إلى المجلة حسب الأصول.
- يتولّى تقييم البحث محكّمان، ويمكن أن يُرسل إلى ثالث حسب تقريري هذين المحكمين.
- يقدِّم الباحث أربع نسخ مطبوعة ونسخة إلكترونية على قرص مدمج (C.D) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word) بمسافات مزدوجة بين الأسطر وهوامش (٢,٥)، وعلى وجه واحد من الورقة (A4)، بحيث لا يزيد عدد صفحات البحث على (٤٠) صفحة.
- يكون نوع الخط المستخدم في المتن Simplified Arabic بنط ١٤. أما الحواشي فتكون بالخط نفسه وبنط ١٢.
- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقّها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية.
- الأبحاث التي لا تُقبل لا تُردّ لأصحابها.
- يترتّب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم، دفع النفقات المالية التي تحملتها الجامعة.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلُّمه القرار.
- تقدّم المجلة للباحث نسخة من عدد المجلة المنشور بحثه فيه مع عشرين مستلة من البحث.

- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة.

تعليمات النشر:

- أن يُكتب ملخص للبحث باللغة العربية وآخر بالإنجليزية بما لا يزيد على (١٥٠) كلمة لكلٍّ منهما، وعلى ورقتين منفصلتين، بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث، واسم الباحث (الباحثين) من ثلاثة مقاطع مع العنوان (البريدي والإلكتروني) والرتبة العلمية، وتُكتب الكلمات الدالة (Keywords) في أسفل صفحة الملخص بما لا يزيد على خمس كلمات، بحيث تعبّر عن المحتوى الدقيق للبحث.
- يُشار إلى المصادر والمراجع في متن المخطوط بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: [١]، [٢]، [٣]، ويكون ثبتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (٦) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (١)، ولا يُعاد إيراد المصادر والمراجع عند نهاية البحث، ويكون ذكرها للمرة الأولى على النحو الآتي:

الكتب المطبوعة:

اسم شهرة الكاتب متبوعاً باسمه الأول والثاني وملحقاً به تاريخ وفاته بالتاريخين الهجري والميلادي، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقِّق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - إن تعددت المجلدات- والصفحة. مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): **الحيوان**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٣، ص٤٠. ويُشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

الكتب المخطوطة:

اسم شهرة الكاتب متبوعاً باسمه الأول والثاني وملحقاً به تاريخ وفاته بالتاريخين الهجري والميلادي، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال:

الكناني، شافع بن علي (ت٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م): **الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور**. مخطوط مكتبة البودليان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (٤٢٤)، ورقة ٥٠.

الدوريات:

اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي- مدخل"، **مؤتة للبحوث والدراسات**، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٧٩-٢١٦.

وقائع المؤتمرات وكتب التكريم والكتب التذكارية:

- ذكر اسم الكاتب، واسم المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الكتاب كاملاً بالبنط الغامق، واسم المحرّر أو المحرّرين إن كانوا غير واحد، ورقم الطبعة، واسم المطبعة والجهة الناشرة، ومكان النشر، وتاريخه، ورقم الصفحة. مثال: الحياري، مصطفى: "توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، **في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عباس**، تحرير: إبراهيم السعافين، ط١، دار صادر ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤١٧.
- تُكتب الأعلام الأجنبية حين ورودها في البحوث باللغة العربية وتكتب بعدها مباشرة بالإنجليزية محصورة بين قوسين ( ).
- يُراعى النظام المتبع في دائرة المعارف الإسلامية عند كتابة الأسماء والمصطلحات العربية بالحروف اللاتينية.
- تُرسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية، وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.
- **تكون المراسلات على النحو الآتي:**

رئيس هيئة تحرير مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

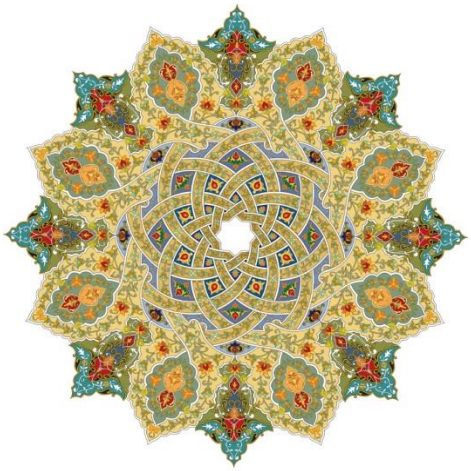
عمادة البحث العلمي/ جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (٥٦٠٠٢٣٠ ٦ ٩٦٢+) فاكس (٥٦٠٠٢٣٧ ٦ ٩٦٢+)

البريد الالكتروني: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

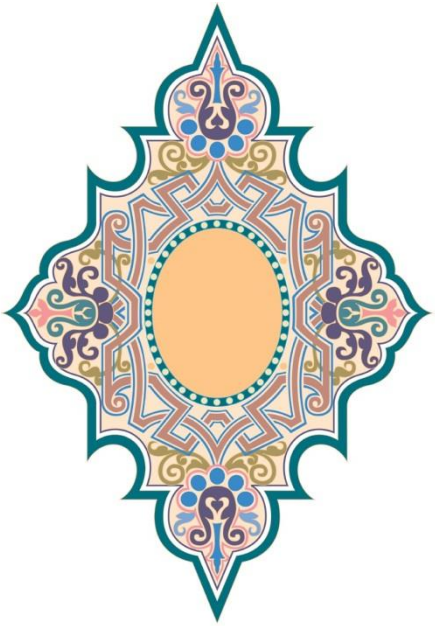
موقع الجامعة الالكتروني: www.wise.edu.jo



محتويات العدد

(باللغة العربية)

الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحات
د. صالح خوالدة د. فاطمة التلاهين	التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات الأردنية وعلاقته ببعض المتغيرات	١٣-٤٣
أ.د محمد علي الشوابكة	رواية (موطن الأسرار) لشاكر الأنباري دراسة في الرؤيا والتشكيل	٤٥-١٠٧
د. محمد تركي محمد شطناوي	الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس من خلال كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي	١٠٩-١٣٩
د. رياض محمد الصرايرة د.حسني محمد السعود	أسباب الطلاق في المجتمع الأردني دراسة حالة لواء المزار الجنوبي/ محافظة الكرك في الاردن	١٤١-١٦٨
د. محمود مبارك عبيدات	ما وُضِعَ في غير بابه في معاجم العربية دراسة في تنبيهات ابن بري على الجوهري في الصحاح	١٦٩-١٩٢
د. عبدالعزيز عطاالله المعايطة الباحثة. حسناء الحجرية	درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان	١٩٣-٢٣٤
د. مبارك محمد الطراونة	نيابة الرّحبة: تبعيتها وتقسيماتها الإدارية في العصر المملوكي(٦٥٨-٩٢٢هـ/ ١٢٦٠-١٥١٦م)	٢٣٥-٢٧٠



التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات الأردنية وعلاقته ببعض المتغيرات

صالح سالم خوالدة *　　فاطمة محمد التلاهين**

تاريخ وصول البحث: ١٨/ ٥/ ٢٠١٦م　　تاريخ قبول البحث: ١٤ / ٢/ ٢٠١٧م

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات الأردنية وعلاقتها ببعض المتغيرات، وتكون مجتمع الدراسة من طلبة الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة في درجة البكالوريوس للعام الدراسي ٢٠١٥/ ٢٠١٦، البالغ عددهم (١٣٥٠٨٧) طالباً وطالبة، أما عينة الدراسة؛ فتكونت من (٦) جامعات، جرى اختيارها بالطريقة العشوائية الطبقية، ويمثلون ما نسبته (٣١٪) من المجموع الكلي للجامعات، وضمت (١٤٣٠) طالباً وطالبة يتوزعون على (٣) جامعات خاصة، و(٣) جامعات حكومية، ولغرض قياس التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات الأردنية؛ تبنى الباحثان مقياس محمد (٢٠٠٤) بعد التحقق من صدقه وثباته، وأظهرت نتائج التحليل: أن مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن بشكل عام كان متوسطاً، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (النوع الإجتماعي)، ولصالح الإناث، أي أن الإناث أقل تلوثاً نفسياً من الذكور، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (نوع الجامعة)، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (التخصص العلمي)، ولصالح الكليات العلمية، وهذا يعني أن التلوث النفسي عند طلبة الكليات العلمية أقل منه عند طلبة الكليات الانسانية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (السنة الدراسية)، ولصالح فئة (السنة الرابعة) عند مقارنتها مع فئات الأخرى، وهذا يعني أن التلوث النفسي عند طلبة السنة الدراسية الرابعة أقل منه عند طلبة باقي السنوات. وأوصت الدراسة بإجراء دراسات ميدانية لمعرفة مدى انتشار ظاهرة التلوث النفسي لدى طلبة المراحل التعليمية الأخرى.

الكلمات الدالة: التلوث النفسي، طلبة الجامعات.

* أستاذ مساعد ، قسم الارشاد والصحة النفسية، كلية التربية، جامعة العلوم الإسلامية.

** أستاذ مساعد ، قسم الارشاد والصحة النفسية، كلية التربية، جامعة العلوم الإسلامية.

Abstract

This paper aims at identifying the psychological contamination level among Jordanian university students and its relationship with some variables. The population of the study consists of undergraduate students from Jordanian public and private universities for the academic year 2015/2016, totaling (135,087) students. Six universities were randomly selected as the study sample, representing a rate of (31%) of the total number of universities, where 1430 male and female students were involved and distributed to (3) private universities, and (3) public universities. To measure the psychological contamination among the students of Jordanian universities, the researchers adopted Mohammed's scale (2004), having check edits validity and reliability. The results of the study revealed that the psychological contamination level among university students in Jordan is mean in general. The results also showed that there are statistically significant differences in the psychological contamination level among university students according to the variable of (Social type) in favor of females. This indicates that female students are psychologically less contaminated than male students'. Further, there are no statistically significant differences in the psychological contamination level among university students in Jordan according to the variable (University type).

There are also statistically significant differences in the psychological level of contamination among university students in Jordan according to the variable (Academic major), and in favor of scientific faculties, which means that the psychological contamination level among the students of scientific faculties is less than students of humanitarian faculties. There are also statistically significant differences in the psychological contamination level among university students in Jordan according to the variable (Academic year) in favor of the (Fourth year) compared to other groups, which indicates that the psychological contamination level among the students of the fourth year is less than that of other students. The study recommended conducting field studies to identify the extent of psychological contamination phenomenon among other students' educational stages.

خلفية الدراسة وأهميته:

يهتم العالم المعاصر بالتلوث البيئي خوفاً على الطبيعة بعدما كان يخافها، في الوقت الذي يلتف حوله نوع آخر من التلوث هو الأخطر والأعصف والمتمثل بالتلوث النفسي، هذا النوع من التلوث الذي يغتصب النفوس، ويجتثها من جذورها وأصولها لتذروها الرياح أنىّ شاءت، فيزحف ببطء ليصير واقعاً متراكماً يعجز مصابه عن التخلص منه، وحينذاك سيمحي كل أثر للوجود والبراءة الانسانية النقية، ذلك الوجود الذي صار وتصور بثقل حضارة منحته هويته وإرث أصالتها وعصارة تفكيرها.

ويعتمد المنطق في بلورة تلوث النفوس على رؤية واقعية لحركة المجتمع، حيث شهد مجتمعنا الأردني ظواهر اجتماعية وفكرية ونفسية لم تكن نتيجة طبيعية للتطور الإنساني والحضاري، وإنما فرضتها عوامل وتغيرات امتدت لأكثر من عقدين، وما ترتب عليها من تداعيات كوّنتها الظروف السياسية التي مرت بها الأمة بكل آثارها المدمرة في البيئة النفسية والاجتماعية، وما رافقها من ظهور سلوكيات لم تكن مألوفة في ثقافتنا.

وأصبح قطاع كبير من الشباب الأردني ومنهم طلبة الجامعة، غير قادر على استيعاب ما حدث أو يحدث الآن، فعدم استقرار الأوضاع السياسية، والإقتصادية، والفكرية في مجتمعة وحوله، قد عمق في نفوسهم مشاعر سلبية ومتباينة اتجاه الحياة عامة، والعلاقات المتبادلة بينهم وبين الآخر بصورة خاصة، فهذه الأزمات التي يمر بها شبابنا عملت وساعدت على تحرر السلوك من ضغط القيم والمعايير، فأنتجت انعكاسات خطيرة على أخلاق الأفراد، فأبرزت بيئة ملوثة أدت إلى تلوث سلوك واستجابات من يعيش فيها، فالسلوك كما يشير عبدالرضا[1]، هو: " استجابة للمتغيرات والمثيرات المختلفة التي يتشكل على ضوئها سلوك الفرد وتفاعله مع ذاته ومجتمعه.

وتأتي فكرة التلوث النفسي من واقعنا الذي نعيشه، ذلك الواقع الذي يشهد ظاهرة سلبية لم يؤلف تفاقم حجمها بهذا الشكل والمضمون المهددين لوجود خصوصيتنا وقيمة هويتنا الحضارية، مع القناعة الراسخة على أنه رغم ما يتوافر من نظريات أو أفكار أو معاني في الأدبيات التربوية والنفسية والاجتماعية؛ إلا أنها لا يمكن أن توازي دقة المعنى المناسب لظاهرة

التلـوث النفسـي، لكنهـا يمكـن أن تكـون روافد معززة وتسهم في إضاءة المعنى الـذي نتوخاه في الدراسة الحالية.

وتنـاول المختصـون في مجـال علـم النفس التلوث النفسـي بـالتعريف، فيعرفـه محمد[٢] علـى أنـه: "تعـرض الفـرد لملوثـات خارجية لا يمكن التحكم بهـا، والـتي تـؤثر على سلوكه وانفعالاته من خـلال الضـغط النفسي الذي يولـده هـذا الملـوث"، ويشـير مبارك[٣] على أنه: "حالـة حـدوث خلـل في نظام البيئة النفسية بفعـل عوامـل خارجيـة تسبب الفوضى والتـأثير السـيئ في توازنهـا وتكيفها مع واقعها، وتكون هـذه الفوضـى نتاجـاً عرضـياً للتـداخل الحاصـل بـين مظهري: الفكر والسلوك". ويراه الراضي[٤] بأنه: "تلك الظاهرة المعبرة عن حالة استعمار الشخصية خلال سعيها إلى تدمير النفـوس، والحيلولة في اجتثاثها من جذورها وأصـولها بعد إفسـادها وتلويثهـا، ناهيـك عـن كـون النفس حينما تتلوث فأنها لا تكتفي بتلويث بيئتهـا فحسـب، بـل سـتلوث كـل معـاني الحياة.

ويرتبط التلوث النفسي ويتـداخل مـع مفاهيم متعددة، منها: الارتبـاط، والتجـذّر والهويـة، والتفسـخ الإجتمـاعي، والغـزو الثقافي، أما الإرتباط فتنشأ الحاجة إليـه مـن تمزق روابطنا الأولية الطبيعية، وأنـه بفضـل القوى العقلية وقـوى الخيـال يكـون الفـرد واعياً بانفصاله من الطبيعة، ويجـب علـيهم أن يسـتخدموا العقـل والتخيـل مـن أجـل إيجـاد ارتبـاط جديـد مـع بـني الإنسـان، والطريقة المثلى لتحقيق هذا الارتباط تكون بمـا يسـميه (فـروم) بالحـب المثمـر الـذي يتضـمن الرعايـة، والمسـؤولية، والاحـترام، والمعرفة، فحاجة الإنسان للتجذر تنشأ عـن فقـدان روابطنـا الأساسـية مـع الطبيعـة، ونتيجة لهذه الخسارة، نقف منعزلين، وعلينا أن نكـوّن جـذوراً جديـدة في علاقاتنـا مـع الآخـرين لتحـل محـل جـذورنا السـابقة الطبيعية[٥].

ويقصـد (دور كـايم) بالتفسـخ الإجتماعي (الأنـومي): بأنـه حالـة المجتمـع الـذي يعـاني مـن فقـدان المعـايير المطلوبـة لضـبط سـلوك أعضـائه، وأن المعـايير الـتي كانت راسـخة، وتتمتـع بـاحترام الأفـراد لم تعـد تسـتأثر بهـذا الإحـترام، ممـا يفقـدها سـيطرتها علـى السـلوك، فـتعم الفوضـى والاضطراب في المجتمع، ويصبح الأفـراد في حال من الشك وعـدم الـيقين فيمـا ينبغـي علـيهم اتباعـه، ومـا يـتعين علـيهم تركـه، وتصـبح الحـدود الفاصـلة بـين الممكـن والمستحيل غير معروفة[٦].

أما الغزو الثقافي فهو من أكثر أنواع الغزو فاعلية، والأقل كلفة، والأسرع انتشاراً، والأبقى زمناً، فلا يثير المشكلات بالقدر الذي يسببه الغزو العسكري، أو الضغوط الاقتصادية، ولا سيما بعد أن تُصاب الشعوب بالغزو الذاتي حينما تحاول برضاها الانسلاخ من أصولها باسم التقدم والمعاصرة والحداثة. وهكذا بات الغزو الثقافي يوصف بكونه الاستعمار النظيف الذي يُرغب ولا يُرهب[٧].

وهناك أسباب متعددة تؤدي دوراً فاعلاً في التلوث النفسي، ولعلّ من أهمها: القيادات السياسية غير الديموقراطية، ووسائل الإعلام الملوثة، والتنشئة الأسرية المضطربة، والحروب، فالقيادات السياسية غير الديموقراطية تؤدي دوراً حاسماً في توجيه شعوبها بحسب ما تشتهيه مصالحها الذاتية المريضة، وقد وصفها (فروم) بأنها لا تستطيع أن تستحوذ على الجماهير وتحركهم بناءً على العقل، وإنما تهتم باطلاق وتحريك القوى الشيطانية في الإنسان[٨]. ويرى عويدات وبدران[٩] أن أخطر ما تؤديه الحكومات، هو تسييس التربية، وجعلها أداة كسب سياسي لزعيم متسلط، وهنا يختلط الفهم بين الولاء للقائد والولاء للوطن".

أما وسائل الإعلام فإنه لم يشهد تاريخ العالم كمثل هذا النشاط الإعلامي المرئي المعاصر بكل أنواعه، إلى الحد الذي حّول العالم إلى كرة زجاجية شفافة لا تخفى فيها خافية، وبالقدر الذي خدمته تلك الوسائل، إلا أنها اُستغّلت من المفسدين، فمثلاً يذكر لطفي[١٠] أنها استطاعت اختراق الحياة الإنسانية من دبرها، ويذكر عويد[١١] أن أطفال اليوم يشاهدون على الشاشة التلفازية مشاهد الجنس، والمجازر الحربية، وحالات الاحتضار في المشافي، والفضائح الأخلاقية، ويؤكد عويدات وبدران[١٢] على أن التلفاز قد أصبح واسطة التنشئة الاجتماعية والثقافية المنافسة للعائلة والمدرسة، فظهر نوع من الثقافة يسميها البعض بالثقافة التلفازية أو المرئية، التي تثير الجذب والاهتمام، وإلى الحد الذي لا تترك لمشاهديها فرصة كافية للتأمل والتفكير، ويؤكد التل والمقدادي[١٣] أن معارف الطلبة تتعرض الآن لمنافسة قوية من وسائل أخرى كالتلفاز والفديو، ويكمن خطر هذه الوسائل في أن المشاهدين الدائمين للتلفاز هم أكثر قابلية لتصور الواقع على أنه أقرب إلى الواقع التلفازي، ويصف لوري[١٤] هذه الحالة بالتحذير بالتلفاز، فالطالب (الشاب) حينما يشاهد بالتلفاز العديد من

فرسان عصره من مطربين وممثلين ورياضيين، الذين اختصروا طريق المجد، وحققوا الجاذبية الإجتماعية، والثراء المالي من غير حاجة إلى الشهادة، قد أضعفت دافعيتهم للدراسة، والاهتمام بالمعرفة العلمية في مقابل تزايد ميلهم لنوع الثقافة التي يستعرضها أولئك الفرسان.

وفيما يتعلق بالتنشئة الأسرية المضطربة فإن فريك[١٥] يؤكد أن الأسر المفككة تولد سلوكاً غير اجتماعياً لدى أبنائها، وتشجع فيهم بشكل -مباشر أو غير مباشر- نمط السلوك السلبي بشكل أكبر وأسرع، ويشير والي[١٦] إلى أن الأبناء الذين يتعرضون لسخط وشراسة آبائهم يتعلقون بأصدقاء السوء الذين يوفرون لهم سبل التنفيس السريع للمشاعر السلبية التي يحملها أولئك الأبناء لآبائهم.

وتهدد الحروب بكل أنواعها المعاني الإنسانية، وتسهم في تلويث النفوس، فقد أشار حميدي[١٧] إلى أن الحروب أظهرت نتائج خطيرة على المجتمعات، وكادت أن تؤدي إلى تلاشي الإيمان بالمثل العليا والفضيلة والصدق والإخلاص، حينما برزت جملة من الظواهر السلوكية السلبية: كالرشوة، والاختلاس، والغش، والاحتكار، وزيادة عدد المتسولين، والمشردين، والسرقة، والاغتصاب.

وللتلوث النفسي بعد ذلك أبعاد متعددة، **أولها: التنكر للهوية الحضارية والإساءة إليها**، بمعنى التنكر لهويته الخاصة وكل ما يتصل بها؛ وطنه، وأهله، وعشيرته، أفكاره، ومعتقداته، وتاريخه، وعاداته، وتقاليده، واهتماماته، واتجاهاته، وقيمه. تلك العوامل تجعله يتميز عن غيره من الأفراد في المجتمعات الأخرى[١٨]. **وثانيها: التعلق بالمظاهر الشكلية الأجنبية** التي هي الخاصية التي توفر المناخ الخصب لاحتمالية الإصابة بالتلوث النفسي، حينما يُتخذ الأجنبي بمظاهره المادية والمعنوية بمثابة نماذج يقتدي بها، ويسعى إلى محاكاتها في كل سلوكياته، ومشاعره، وأساليب تفكيره، وطبيعة تخيلاته، إلى الحد الذي لا يغيب عن باله، فيتحول حينذاك إلى جسد بال في مجتمعه أو وطنه، في الوقت الذي تهتم روحه في فضاءات المظاهر الشكلية الأجنبية. **وثالثها: التنميط الجنسي الخاطئ**، وفيه يتصرف الشخص بخلاف توقعات المجتمع لنوع جنسه الملاحظ، أو بخلاف الدور الإجتماعي المحدد سلفاً، فإذا أبدى الذكر تصرفاً اتسم بالتميع والجبن وإبداء المرونة والخجل المبالغ فيه أو ارتدى ثياباً أو

تـزين بزينـة أقـرب للإنـاث وغيرهـا مـن الأسـاليب، فإنـه سـينعت بهـذا الوصـف، والحـال نفسـها إذا أظهـرت المـرأة تصـرفاً استرجالياً، ويؤيـد عـدد كـبير مـن الخـبراء شيوع ظواهر شاذة واستفحالها على صـعيد عالمي كالتخنث، الضعف الفكري، البلادة، التمرد، التجـاوز علـى النظـام، اللامبـالاة، والرشوة وغيرها. **ورابعها: الفوضوية،** التي هي سمة مـن سمـات المرحلـة الهمجيـة أو الغوغائية، الـتي كانـت سـائدة قبـل ظهـور الحضارات الإنسانية، ويمكن أن تُعد كـذلك سمـة لكـل فـرد يسـيطر عليـه السـلوك العشوائي، ومؤشراً لاستفحال الفساد بكـل أنواعه، وشيوع الجهل والظلام نتيجة غياب العقـل المـنظم للقـوانين والتشـريعات الـتي يمكن أن تضمن الحقوق للجميع[١٩].

وعلى الرغم من الجهد المبذول؛ إلا أن الباحثين لم يعثرا إلّا علـى القليـل جـداً مـن الدراسـات السـابقة الـتي تناولـت التلـوث النفسـي بشـكل مباشـر، ممـا أضـطرهم للاستعانة ببعض الدراسات الأخـرى الـتي يمكـن عـدها بالمفيـدة وذات علاقـة غـير مباشرة بالموضوع، وتالياً بعـض الدراسـات التي يمكـن أن تفيـدنا في موضـوع الدراسـة الحالية، وهي من الأحدث إلى الأقدم:

أجـرى أبـو دف والآغـا[٢٠] دراسـة هدفت إلى تعرف مستوى التلـوث الثقـافي لـدى الشـباب في المجتمـع الفلسـطيني مـن وجهـة نظـر أعضـاء الهيئـة التدريسـية بالجامعـات وعلاقتـه بمـتغيرات (الجـنس، والكليـة، ومكـان السـكن)، واسـتخدم الباحثان المنهج الوصـفي التحليلـي، حيـث تـبين مـن نتـائج البحـث أن نسـبة التلـوث الثقافي لدى الشـباب في المجتمـع الفلسـطيني مـن وجهـة نظـر أعضـاء هيئـة التـدريس بالجامعة قد كانت متوسطة، ووجود فـروق دالة في مستوى التلوث الثقافي لدى الشباب الفلسـطيني يعـزى لمـتغير الجـنس ولصـالح الإناث، كما تبين وجود فـروق دالـة لمـتغير الكلية، وذلك لصالح الكليـات الإنسـانية، وعدم وجود فروق دالة تعزى لمـتغير مكـان السكن على الدرجة الكلية للاسـتبانة، ولا على أي من المجالات الفرعية.

وأجـرى محمـد[٢١] دراسـة هـدفت إلى مقيـاس للتلـوث النفسـي والتعـرف إلى مستوى التلوث النفسي لدى طلبـة جامعـة الموصل ودلالـة الفـروق بحسـب مـتغيرات (الجـنس، والتخصـص، والسـكن الـدائم للطلـب-خارج/ داخـل-لموصـل)، وطبـق المقياس علـى عينـة بلغـت (١٥٤٦) طالبـاً

وطالبة، وأظهرت النتائج بأن مستوى التلوث النفسي لدى طلبة جامعة الموصل كان ضعيفاً بشكل عام، وأن مستوى التلوث النفسي لدى الذكور أعلى منه لدى الإناث، وأن التلوث النفسي لدى طلبة التخصص العلمي هو أعلى منه لدى طلبة التخصص الإنساني، وأعلى لدى طلبة الصف الرابع منه لدى طلبة الصف الأول.

وأجرى شهاب والعبيدي[٢٢] دراسة هدفت إلى قياس التلوث النفسي وعلاقته بالنضج الانفعالي لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين ومعاهد الفنون الجميلة في محافظة نينوى، وتكونت عينة الطلبة من (٤٨٠) طالباً وطالبة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية، ويمثلون نسبة (٢٧٪) من عينة طلبة المعاهد المشمولة من المجموع الأصلي للطلبة والبالغ عددهم (١٨٠١) طالباً وطالبة، وأظهرت النتائج أن مستوى التلوث النفسي لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين ومعاهد الفنون الجميلة قد كان متوسطاً بشكل عام.

أجرى طراد[٢٣] دراسة هدفت تعرف فاعلية برنامج إرشادي في خفض التلوث النفسي لدى طلاب كلية التربية الرياضية في جامعة بابل، استخدم الباحث المنهج الوصفي بالإسلوب المسحي والدراسات المعيارية والمقارنة، في قياس مستوى التلوث النفسي لدى طلبة كلية التربية الرياضية، كما استخدم المنهج التجريبي بأسلوب المجموعتين المتكافئتين (التجريبية والضابطة) في خفض مستوى التلوث النفسي لدى الطلاب، وتكونت العينة من (٢٤٠) طالب وطالبة، واشتملت عينة تطبيق البرنامج الإرشادي، وتبنى الباحث مقياس محمد (٢٠٠٤) لقياس التلوث النفسي، وأظهرت النتائج امتلاك الطلاب والطالبات درجة منخفضة من التلوث النفسي، وأن الطلاب لديهم تلوث نفسي أعلى من الطالبات.

مشكلة الدراسة:

يعاني شباب هذا العصر من المشكلات النفسية التي تظهر في صور من التوتر والقلق والتمرد والصراعات الداخلية، وقد يرجع ذلك إلى أننا نعيش في عالم مشحون بالتوترات والخلافات والصراعات إلى الحد الذي يمكن معه القول: إن إنتمائنا الحقيقي لم يعد له وجود إلا في إطار محدود جداً من خبراتنا الحياتية، ويتسم الفرد في مجتمع نامٍ بأنه يحاول مواكبة المجتمعات المتقدمة بشعوره أنه يعيش في عالم لا يستجيب لرغباته واحتياجاته، كما أنه

غير قادر على التنبؤ بالمستقبل، فضلاً عن تغير المعايير التي تنظم سلوكه بسرعة متزايدة، كما يتسم أيضاً برفضه للقيم الخاصة بحضارته والانعزال عن الآخرين وعن ذاته[٢٤].

فقد أشار الموسوي[٢٥] إلى أن الشباب اليوم في حالة من الصراع، فلا بد أن يكونوا على قدر كافٍ من الوعي، والحصانة الإيمانية، والنفسية، التي تجعله يصمد في مواجهة كل أشكال الانحراف، فأكثر فئات المجتمع وشرائحه تأثراً هي فئة الشباب، فنلاحظ التطرف في الفكر، والانحلال، مقابل التشدد والغلو، والتقليد الأعمى للجديد، وهذا التأثير يشكل خطراً على الانتماء والهوية، وبالتالي سوف يؤثر على هوية المجتمعات، ونسجها، وتماسكها الاجتماعي والنفسي، بل يزيد من فكر التقليد، ويضعف البنى الاجتماعية والثقافية والنفسية التحتية، بل ربما يسهم في ردود الأفعال المتطرفة من قبل الشباب الآخر الذي يريد المبالغة في التمسك بالعادات والقيم، وهو ما يعني أخيراً تناقضات وانفصاميات نفسية يعاني منها الشباب بوجه عام.

أسئلة الدراسة: أجابت الدراسة الحالية عن السؤالين الآتيين:

١- ما مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن؟

٢- ما مدى الفروق في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغيرات: نوع الجامعة، النوع الإجتماعي، والسنة الدراسية، والتخصص العلمي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بما يأتي:

- **أولاً: الأهمية النظرية:** تتمثل الأهمية النظرية للدراسة الحالية في تعرف ظاهرة التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات الأردنية، ومساعدتهم على تعرف مخاطرها.
- **ثانياً: الأهمية التطبيقية:** تتمثل الأهمية التطبيقية للدراسة الحالية في مساعدة الباحثين لإجراء دراسات أخرى ذات صلة بالموضوع مدار الدراسة، والاستفادة من نتائجها في الارشاد النفسي بنوعيه الوقائي والعلاجي.

محددات الدراسة: يتحدد تقييم نتائج الدراسة بما يأتي:

١- اقتصر تطبيق الدراسة على طلبة المرحلة الجامعية الأولى (البكالوريوس)، في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة.

٢- جرى تطبيق الدراسة في الفصل الثاني للعام الدراسي٢٠١٥/ ٢٠١٦م.

مصطلحات الدراسة:

التلوث النفسي: "حالة حدوث خلل في نظام البيئة النفسية بفعل عوامل خارجية تسبب الفوضى والتأثير السيئ في توازنها وتكيفها مع واقعها، وتكون الفوضى ناتجاً عرضياً للتداخل الحاصل بين مظهري محتوى الفكر والسلوك"(٢٦)، وإجرائياً: يُعرّف بالدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب على مقياس التلوث النفسي.

طلبة الجامعة: جميع الطلبة الملتحقين الجامعات الأردنية الحكومية، والخاصة من كلا الجنسين في السنوات: (الأولى/ الثانية / الثالثة/ الرابعة)، للعام الدراسي (٢٠١٥/ ٢٠١٦م).

حدود الدراسة: يتحدد البحث الحالي بطلبة الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة للعام الدراسي (٢٠١٥م/ ٢٠١٦م) من كلا الجنسين في السنوات: (الأولى – الثانية -الثالثة- الرابعة).

الطريقة والإجراءات:

منهجية الدراسة: استخدام المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لموضوع الدراسة الحالية.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من طلبة الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة للعام الدراسي (٢٠١٥/ ٢٠١٦) والبالغ عددهم (١٣٥٠٨٧) طالباً وطالبة، ويتوزعون في (١٩) جامعة.

أفراد الدراسة: بلغ عدد أفراد الدراسة (١٤٣٠) طالباً وطالبة يتوزعون على(٦) جامعات، منها (٣) جامعات خاصة، و(٣) جامعات حكومية، وتم اختيارها بالطريقة العشوائية الطبقية من كل جامعة، ويمثلون ما نسبته (٣١٪) من المجموع الكلي للجامعات، وجرى اختيار (٨) شعب من الجامعات الحكومية الثلاث و(٥) شعب من الجامعات الخاصة الثلاث، وجميع هذه الشعب هي من متطلبات الجامعة التي يلتحق بها الطلاب من مختلف التخصصات في الجامعية، سواء كانت علمية أم إنسانية وبالطريقة الميسّرة، والجدول (١) يبين أعداد أفراد عينة الدرسة حسب المتغيرات.

الجدول (١): توزع أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات

المتغير		العدد	النسبة
الجامعة	حكومية	880	61.5%
	خاصة	550	38.5%
	المجموع	1430	100%
السنة الدراسية	اولى	367	25.7%
	ثانية	239	16.7%
	ثالثة	375	26.2%
	رابعة	449	31.4%
	المجموع	1430	100%
النوع الإجتماعي	ذكور	914	63.9%
	إناث	516	36.1%
	المجموع	1430	100%
التخصص	علمية	563	39.4%
	انسانية	867	60.6%
	المجموع	1430	100%

أداة الدراسة:

مقياس التلوث النفسي: لغرض قياس التلوث النفسي لدى طلبة كلية التربية الرياضية في جامعة بابل تبنى الباحث مقياس محمد (٢٠٠٤)، وقد اعتمد الباحث هذا المقياس لأنه مقياس حديث، ومعد على طلبة الجامعة فضلا عن انه معد على البيئة العربية، والمقياس الوحيد في قياس التلوث النفسي على حد علم الباحث، ويتكون المقياس من (١١٨) فقرة موزعة على أربعة مجالات، وهي: (التنكر للهوية الحضارية والإساءة إليها، والتعلق بالمظاهر الشكلية الأجنبية، والتخنث، والفوضوية)، وتكون الإجابة عنه بالاختيار من (٥) بدائل، وهي: (أوافق بشدة، أوافق، محايد، معارض، معارض بشدة).

إجراءات تقنين المقياس:

صلاحية المقياس: عرض المقياس على مجموعة من الخبراء والمختصين للتأكد من صلاحيته في قياس التلوث النفسي للطلاب

وملائمته لعينة البحث، وقد حصل على موافقتهم جميعا بنسبة (١٠٠٪).

التجربة الاستطلاعية: من أجل التحقق من وضوح تعليمات المقياس ووضوح فقراته للطلبة، والتعرف على ظروف تطبيق المقياس وما يرافق ذلك من صعوبات أو معوقات، قام الباحثان بتطبيق المقياس على عينة استطلاعية مؤلفة من (٢٠) طالباً وطالبة من خارج عينة البحث الرئيسة ومن المراحل الدراسية الأربعة، واختيروا عشوائياً، وقد اتضح من هذه التجربة أن تعليمات المقياس وفقراته واضحة، وأن المقياس صالح للتطبيق على عينة التقنين، وقد تراوح زمن الإجابة على فقرات المقياس بين (٢٠-٣٠) دقيقة بمعدل (٢٥) دقيقة.

تطبيق المقياس على عينة التقنين: طبق مقياس التلوث النفسي على عينة التقنين المشار إليها سابقاً، والبالغة (٢٢٠) طالباً وطالبة، من قبل الباحثين، وعن طريق الاتصال المباشر معهم، وقد أكد الباحثان على ضرورة قراءة تعليمات وفقرات المقياس بدقة، والإجابة عن جميع الفقرات بصدق وأمانة.

تصحيح المقياس: بغية الحصول على الدرجة الكلية لكل طالب من طلاب عينة التقنين، تم اعتماد مفتاح التصحيح المعد لهذا الغرض، إذ حسبت الدرجة الكلية لـ (٢٢٠) استمارة على أساس مجموع أوزان الإجابات على فقرات المقياس البالغة (١١٨) فقرة، وقد تراوحت الدرجات الكلية لطلبة عينة التقنين بين (١٧٨-٣٨٦) درجة بمتوسط حسابي مقداره (٣٣٨,٧٦) درجة وانحراف معياري (١٩,٣٧) درجة.

تحليل فقرات المقياس: للتأكد من صلاحية فقرات المقياس وقدرتها على التمييز اتبع الباحث أسلوبين هما:

- **أولاً: المجموعتان المتطرفتان**: تم ترتيب الدرجات تنازلياً ثم اختيرت نسبة (٢٧٪) العليا والدنيا من الدرجات لتمثيل المجموعتين المتطرفتين، وضمت على هذا الأساس كل مجموعة طرفية (٦٠) طالباً وطالبة، ولغرض حساب معامل تمييز كل فقرة من فقرات المقياس البالغة (١١٨) فقرة استخدم الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين بواسطة الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وعدت القيمة التائية الدالة إحصائياً مؤشراً لتمييز الفقرات، **والملحق (أ)** يبين نتائج الاختبار التائي لجميع الفقرات

في المقياس، حيث يتبين لنا من خلاله بإن القيم التائية المحسوبة تراوحت بين (٥,٦٧-١,٠٢)، وعند مقارنتها مع قيمة (t) الجدولية عند درجة حرية (٢١٨)، ومستوى دلالة (٠,٠٥)، والبالغة (١,٩٨) تبين وجود (٢٠) فقرة غير مميزة لذا تم استبعادها من المقياس.

- **ثانياً: معامل الاتساق الداخلي**: تم حساب معامل الاتساق الداخلي من خلال إيجاد ارتباط درجة كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس، وذلك باستخدام معامل ارتباط بيرسون وبواسطة الحقيبة الإحصائية (SPSS) فقد تراوحت معاملات الارتباط المحسوبة بين (٠,٠٦-٠,٦٤) وعند مقارنتها مع القيمة الجدولية لمعامل الارتباط والبالغة (٠,١٣٨)، درجة تبين وجود (١٢) فقرة غير دالة إحصائيا لذا تم استبعادها عن المقياس، وكما هو مبين في الملحق (أ).

صدق المقياس: يعد الصدق من أهم شروط الاختبار الجيد، ويشير إلى جودة الاختبار كأداة لقياس ما وضع أصلاً لقياسه، وقد تحقق الباحثان من صدق المقياس من خلال استخدامه لنوعين من الصدق، **أولهما الصدق الظاهري**، وذلك بعرض المقياس على الخبراء والمختصين وعددهم (١٠) من الجامعات الأردنية، **وثانيهما صدق التكوين الفرضي**، عن طريق إيجاد القوة التمييزية للفقرات بأسلوب المجموعتين المتطرفتين، ومعامل الاتساق الداخلي من خلال إيجاد العلاقة بين درجة الفقرة والدرجة الكلية للمقياس.

ثبات المقياس: تم التحقق من ثبات المقياس من خلال استخدام طريقتي التجزئة النصفية، والاتساق الداخلي (ألفاكرونباخ) وكم يأتي:

أولا: طريقة التجزئة النصفية: اعتُمد لاستخراج الثبات وفق هذه الطريقة على بيانات تجربة التقنين الأساسية لـ (٤٠) طالبا وطالبة، إذ قسمت فقرات المقياس إلى نصفين فقرات فردية وفقرات زوجية، ولأجل التأكد من تجانس درجات النصفين تم استخراج القيمة الفائية لهما إذ بلغت قيمة (ف) المحسوبة (١,٠٨) درجة، وعند مقارنتها بقيمتها الجدولية عند درجتي حرية (٢١٩،٢١٩)، ومستوى دلالة (٠,٠٥)، البالغة (١,٢٣) تبين إنها غير دالة إحصائياً، وبذلك تحقق التجانس، ثم استخرج معامل

الارتباط بين مجموع درجات النصفين باستخدام طريقة بيرسون، فقد بلغ معامل الارتباط (٠,٧٥)، وحيث إن معامل الارتباط المستخرج يعني الثبات لنصف الاختبار فقط، ولأجل الحصول على ثبات كامل الاختبار تم تطبيق معادلة سبيرمان - براون، وبذلك بلغت قيمة معامل ثبات الاختبار (٠,٧٤)، وهو مؤشر ثبات عال.

ثانياً: طريقة الاتساق الداخلي: تم استخراج الثبات بهذه الطريقة من خلال تطبيق معادلة (ألفا كرونباخ) على أفراد عينة التقنين الأساسية البالغة (٤٠) طالباً وطالبة باستخدام الحقيبة الإحصائية (SPSS) إذ تبين إن قيمة معامل الثبات تساوي (٠,٨٣)، وهو مؤشر ثبات عال.

التجربة الرئيسة: بعد اكتمال إجراءات تقنين المقياس على عينة البحث أصبح المقياس مكونا من (٨٦) فقرة، وأعلى درجة يمكن أن يحصل عليها الطالب على المقياس هي (٤٣٠) درجة، وأدنى درجة (٨٦)، ويبلغ الوسط الفرضي للمقياس (٢٥٨) درجة، وقد عُدت الدرجة التي تساوي أو تزيد عن درجة الوسط الفرضي مؤشراً لوجود التلوث النفسي عند الطالب، وعُدت الدرجة التي تقل عن درجة الوسط الفرضي مؤشراً لعدم وجود التلوث النفسي عند الطالب، وقد تم تطبيق المقياس على عينة الدراسة التي بلغت (١٤٣٠) طالباً وطالبة اختيروا بالطريقة الطبقية العشوائية من طلاب الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة، وذلك من خلال توزيع الاستبانه عليهم داخل القاعات الدراسية.

المعالجات الإحصائية:

استخدم الباحثان الوسائل الموجودة في الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وباستخدام الحاسوب، وهي: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للإجابة عن السؤال الأول، والاختبار التائي لعينتين مستقلتين، وتحليل التباين الأحادي واختبار شيفيه للإجابة عن السؤال الثاني.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

نتائج السؤال الأول: ما مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن؟ للإجابة عن هذا السؤال، حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن، ويظهر الجدول (٢) ذلك.

الجدول (٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن مرتبة تنازلياً.

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
11	يصعب على بلدي استيعاب التكنولوجيا وتصنيعها.	3.75	0.80	1	مرتفع
40	لا أشعر بالفخر عندما يحقق أبناء بلدي إنجازاً علمياً متميزاً.	3.75	0.80	1	مرتفع
69	بنات بلدي يكنّ أجمل بارتدائهنّ الـ (ميني جوب والبدي والستريج).	3.75	0.80	1	مرتفع
1	أنزعج حينما يتحدث أستاذي أو غيره اللغة العربية الفصحى.	3.74	0.83	4	مرتفع
7	التمسك بالقيم الاجتماعية من علامات التخلف الحضاري.	3.74	0.85	4	مرتفع
29	تربية الكلاب على الطريقة الغربية؛ تعد ظاهرة حضارية.	3.74	0.95	4	مرتفع
30	معجب بالمرأة التي ترد على إهانة الرجل لها وبطريقته نفسها.	3.74	0.82	4	مرتفع
36	يتصور أبناء بلدي أن العالم بأسره عدو لهم.	3.74	0.85	4	مرتفع
58	الكذب هو من سمات الشخص الذكي.	3.74	0.95	4	مرتفع
59	الأماكن المقدسة أماكن للسياحة أكثر من العبادة.	3.74	0.82	4	مرتفع
65	أبناء بلدي يحبون النكد وميالون إلى خلق المشاكل.	3.74	0.85	4	مرتفع
8	أفضل تحية الناس ب) هاي (و)باي (و (هلو).	3.71	0.87	12	مرتفع
9	أؤمن بأن التنازل هو أفضل طريق للسلام.	3.71	0.84	12	مرتفع
10	الإنسان الملتزم بالواجب؛ يعد مغفلاً وغشيماً.	3.71	0.83	12	مرتفع
37	أفضل استعمال كلمات أجنبية بدل العربية في	3.71	0.87	12	مرتفع

	حديثي مع الناس.				
38	التمسك بالحقوق؛ يجلب المشاكل والمآسي.	3.71	0.84	12	مرتفع
39	أتلذذ في ممارسة الغش في الامتحانات الدراسية.	3.71	0.83	12	مرتفع
66	لا ضير في تفضيل الشاب لمجالس النساء.	3.71	0.87	12	مرتفع
67	أجد صعوبة في حفظ أسرار الآخرين.	3.71	0.84	12	مرتفع
68	نساء بلدي أقرب للرجال في شكلهنّ ولباسهنّ وطبعهنّ.	3.71	0.83	12	مرتفع
15	مستعد لتجريب كل شيء حتى وإن كان مجتمعي يرفضه.	3.70	0.77	21	مرتفع
44	واجب الأم هو أن تكون بموقع رب الأسرة حتى بوجود الأب.	3.70	0.77	21	مرتفع
73	أتمنى لو يقاطع بلدي البلاد العربية مقابل توثيقه العلاقة مع البلاد الأجنبية.	3.70	0.77	21	مرتفع
19	أؤيد القول ن لباس (العقال) هو مانع للتفكير.	3.68	0.78	24	مرتفع
48	من طبيعتي أن أجامل ولا أحرج أحداً حتى وإن كان على خطأ.	3.68	0.78	24	مرتفع
77	أشجع الزواج من الأجانب أكثر من أبناء أو بنات بلدي.	3.68	0.78	24	مرتفع
16	مستعد للحصول على جنسية أجنبية في مقابل إسقاط جنسية بلدي.	3.67	0.77	27	متوسط
45	يهمني أن أعيش بيومي ولا أفكر بغدي.	3.67	0.77	27	متوسط
74	أبناء بلدي لا يستحقون تضحيتي لهم.	3.67	0.77	27	متوسط
21	من حق المرأة أن تكون بيده العصمة الزوجية.	3.65	0.85	30	متوسط
50	جميلة هي الفتاة التي ترتدي الشروال (البنطلون).	3.65	0.85	30	متوسط
79	أحلل سرقة أموال الدولة.	3.65	0.85	30	متوسط
2	أفتخر عندما يشبّه الناس تفكيري كالأجنبي.	3.63	0.86	33	متوسط
31	لي القدرة على حفظ الأغاني أكثر من الدروس.	3.62	0.86	34	متوسط

60	أكثر ما يزعجني هو رؤية الكتب.	3.62	0.86	34	متوسط
22	معارضة الأب أو المدرس؛ تعد من الشخصية القوية والجريئة.	3.59	0.84	36	متوسط
51	الرشوة مهمة في تسهيل التعامل مع الناس.	3.59	0.84	36	متوسط
80	أؤمن بالقول الشائع: (نحن الأردنيين؛ ما تصير لنا جاره)	3.59	0.84	36	متوسط
3	لا أجد ضرراً من قيام الشباب بحف الوجه بالخيط أو استعمال مساحيق تجميل الوجه.	3.58	0.83	39	متوسط
32	يمتاز أبناء بلدي بالتقليد وليس الإبداع.	3.58	0.83	39	متوسط
61	ليس من الضروري أن يعرف الإنسان سلسلة نسبه وأصله.	3.58	0.83	39	متوسط
6	أرى إن القانون قد خلق للضعفاء والفقراء حصراً.	3.57	0.89	42	متوسط
35	لو امتلكت المال؛ فلن أتردد بشراء كل ما تتمناه نفسي.	3.57	0.89	42	متوسط
64	من واجب الوالدين تنفيذ رغبات أبنائهم وعدم التدخل في حياتهم الخاصة.	3.57	0.89	42	متوسط
					متوسط
17	الأجانب أذكى من أبناء بلدي.	3.55	0.88	45	متوسط
18	لا بأس أن يرتدي الشباب الملابس التي يطغى عليها اللون الأحمر أو المطرزة بالورود.	3.55	0.85	45	متوسط
46	لا يحسن أبناء بلدي التصرف بأموالهم واستثمارها.	3.55	0.88	45	متوسط
47	أبدو أكثر أناقة عندما أحمل صوراً أو أحرف أجنبية على ملابسي وحاجاتي الشخصية.	3.55	0.85	45	متوسط
75	يقال لي بأنني لا أحافظ على الأشياء.	3.55	0.88	45	متوسط
76	لولا خوفي من مجتمعي؛ لغيّرت ديني.	3.55	0.85	45	متوسط
24	الشاب لا يعيبه الرقص أمام الآخرين.	3.52	0.87	51	متوسط
53	أفضل استخدام الأسماء الأجنبية بدل العربية	3.52	0.86	51	متوسط

	للأشخاص والمحلات وكل شيء.				
82	المصلحة هي أساس العلاقات الاجتماعية.	3.52	0.86	51	متوسط
5	أؤيد بان بلدي أصبح تاريخا أكثر من كونه مستقبلاً.	3.51	0.95	54	متوسط
23	أبناء بلدي هم أكثر عداوة لبعضهم البعض منهم للغريب.	3.51	0.88	54	متوسط
34	لا أتضايق من قيام النساء بالتدخين في الأماكن العامة.	3.51	0.95	54	متوسط
52	مفاهيم مثل: الديموقراطية والحرية والثقافة لا تصلح لمجتمعنا.	3.51	0.88	54	متوسط
63	لا يمكنني تحمل المسئولية في الظروف كافة.	3.51	0.95	54	متوسط
81	أنا معجب بالتقاليد الأجنبية.	3.51	0.88	54	متوسط
27	أفضل أن أعمل أي شيء في بلد أجنبي على العيش في بلدي.	3.47	0.95	60	متوسط
56	أتمنى شيوع صالات الرقص الغربي في بلدي.	3.47	0.94	60	متوسط
85	يهمني امتلاك سيارة آخر موديل أكثر من الشهادة الجامعية.	3.47	0.94	60	متوسط
20	الأجنبي على حق فيما يقول ويتصرف.	3.46	0.85	63	متوسط
49	يغلب على أبناء وطني الأقوال دون الأفعال.	3.46	0.85	63	متوسط
78	معاشرة الشباب لنفس جنسهم؛ يعد حرية شخصية.	3.46	0.85	63	متوسط
13	لباس ال (كابوي)و(الجينز) من ميزات الإنسان العصري.	3.45	0.96	66	متوسط
14	من الممكن التخلي عن المبادئ في الظروف الصعبة.	3.45	0.93	66	متوسط
42	أعداء بلدي هم ليس بالضرورة أعدائي.	3.45	0.95	66	متوسط
43	الجمال بأنواعه موجود لدى الأجانب.	3.45	0.93	66	متوسط
71	تعجبني كثرة النوم ويزعجني النهوض مبكراً.	3.45	0.95	66	متوسط
72	من طبيعة أبناء بلدي أنهم بـــ (عزيمة طعام) يمكنهم تمرير أكثر القرارات أهمية.	3.45	0.93	66	متوسط

26	أعتقد أن زمن الفارس الغربي قد انتهى.	3.42	0.98	72	متوسط
55	أبناء بلدي هم أكثر من يؤمن بالخرافة والشعوذة .	3.42	0.97	72	متوسط
84	تعجبني الأغاني الصاخبة والتي تكثر فيها المجاميع الراقصة.	3.42	0.97	72	متوسط
4	أظن أن (العدالة، الحق، الإيثار...)؛ هي مفاهيم لا وجود لها في واقعنا.	3.40	0.91	75	متوسط
28	خسارة أن يمتلك العرب النفط.	3.40	0.98	75	متوسط
33	تعلم لغة الأجانب أهم من أي شيء آخر.	3.40	0.91	75	متوسط
57	أتجنب المشاكل حتى لو كانت تعنيني.	3.40	0.98	75	متوسط
62	الشهادة الجامعية التي تمنحها أية جامعة أجنبية أفضل من شهادة بلدي.	3.40	0.91	75	متوسط
86	حينما يأتي الطالب إلى الجامعة؛ ليس مهماً أن يحمل أقلاماً أو كتباً.	3.40	0.98	75	متوسط
12	لا توجد فكرة نفكر فيها؛ إن لم يسبقنا الأجانب.	3.37	0.93	81	متوسط
41	من سماتي إصدار أحكامي على الناس والأشياء.	3.37	0.93	81	متوسط
70	أحاول كسب ودّ من أخافة بشتى الطرق.	3.37	0.93	81	متوسط
25	الإنسان الجاد هو شخص معقد.	3.34	1.00	84	متوسط
54	أعجب بالنساء اللواتي يمارسن ألعاب كمال الأجسام ورفع الأثقال والملاكمة.	3.34	1.00	86	متوسط
83	لا أجد ضرراً من اقتناء الأجانب لآثار بلدي.	3.34	1.00	86	متوسط
	المجموع	3.57	0.63		متوسط

يلاحظ من الجدول (٢) أن مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن بشكل عام كان متوسطاً، إذ بلغ المتوسط الحسابي (٣,٥٧) وانحراف معياري (٠,٦٣) وجاءت فقرات الأداة في المستويين المرتفع والمتوسط، إذ تراوحت المتوسطات الحسابية بين (٣,٣٤-٣,٧٥)، وجاءت في الرتبة الأولى الفقرات (١١) التي تنص على "يصعب على بلدي استيعاب التكنولوجيا وتصنيعها" و(٤٠) التي تنص على: "لا أشعر بالفخر عندما يحقق أبناء بلدي إنجازاً علمياً متميزاً" و(٦٩)

التي تنص على: "بنات بلدي يكنّ أجمل بارتدائهنّ ال(ميني جوب والبدي والستريج)"، بمتوسط حسابي (٣,٧٥) وانحراف معياري (٠,٨٠) وبمستوى مرتفع، وجاءت في الرتبة الأخيرة الفقرات (٢٥) التي تنص: على "الإنسان الجاد هو شخص معقد" و(٥٤) التي تنص على "أعجب بالنساء اللواتي يمارسن ألعاب كمال الأجسام ورفع الأثقال والملاكمة" و(٨٣) التي تنص على "لا أجد ضرراً من اقتناء الأجانب لآثار بلدي" بمتوسط حسابي (٣,٣٤) وانحراف معياري (١,٠٠) وبمستوى متوسط، وهذا يعني أن عينة البحث لديها تلوث نفسي بشكل متوسط، الأمر الذي يدفع إلى حالة من التوجس المشوب بالحذر والانتباه لأصحاب القرار التعليمي والتربوي في الأردن.

ويعزو الباحثان ذلك إلى التغيرات والأحداث والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يتعرض لها الشباب الجامعي، فضلاً عن تزايد أعدادهم وتناقص فرص العمل، ووجود بعض القصور في التخطيط التربوي، وما ينتج عن ذلك كله من صعوبات وتعقيدات مادية ونفسية، وكل هذه الأسباب وغيرها قد تكون مسئولة بصورة مباشرة عن انتشار التلوث النفسي انتشاراً واسعاً، ويمكن أن يصل إلى فوق المتوسط لدى طلبة الجامعات بغض النظر عن الكلية أو التخصص أو السنة أو الجنس، فالشباب هم أكثر النماذج حساسية لهذا الواقع المحيط المضطرب، لأنهم أكثر وعياً وتأثراً بما يحيط بهم من تهديدات وأخطار، في حين أنهم يدركون بأنهم لا يملكون سلطة صنع القرار أو إحداث التغيير، فيعشون فراغاً روحياً، وهذا الفراغ لا يعني بالتالي سوى زيادة في التلوث النفسي.

ويشير (فروم) إلى أن النظام الإنساني في العصر الحديث لم يُشبع سوى حاجات الإنسان المادية التي تضمن بقاءه الجسدي، أما تلك الحاجات الإنسانية كالحب والود والإيمان، فإنها لم تشبع لدرجة كافية[٢٧] وبشكل عام، فالتلوث النفسي موجود ما دامت هناك فجوة بين الفرد وسلوكه أو بين الفرد والمجتمع، فكلما غاب المجال الذي تظهر فيه العلاقة المعبرة عن الذات، ما دام هناك للمجتمع أفكار مثالية ينشد تحقيقها، وتحول ظروف الواقع دون بلوغها[٢٨]، ويبيّن هذا المستوى من التلوث النفسي مدى بعد هؤلاء الطلبة عن الواقع، وعدم الالتزام بما هو مألوف، وهذا يعكس طبيعة المرحلة العمرية والظروف النفسية

الاجتماعية والاقتصادية التي يمرون بها، فالرغبة في تغيير بعض القيم السائدة والمعايير غير الثابتة، قد تكون نتيجة الاحتكاك بثقافات متعددة، فأصبحوا يظهرون عدم الرضا بهذا الواقع، فالتغييرات في العالم فرضت عليهم مواجهة قيم غير مألوفة بالنسبة إليهم، وبالوقت نفسه يجب عليهم تمثل هذه القيم التي تتعلق بثورة الحاسبات والانترنت، وهذه القيم تتعارض بشكل أو بآخر مع القيم التي نشأووا عليها وتعلموها.

إن وجود بعض المظاهر السلبية التي تساعد على حصول بعضهم على ميزات مثل المجاملة والواسطة والتقرب من المسؤولين، هذه العوامل كلها مثبطة لهمم الشباب وأضعفتهم نفسياً، فتزداد رغبتهم بالتالي في الثورة والتمرد من خلال تبني سلوكيات غريبة تظهر على شكل تلوث نفسي لا يمت للواقع بصلة على الأغلب، واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة شهاب والعبيدي (٢٠١١)، والتي تشير إلى امتلاك الطلبة لدرجة متوسطة من التلوث النفسي، ودراسة أبو دف والآغا (٢٠٠١) والتي تشير امتلاك الطلبة لدرجة متوسطة من التلوث الثقافي، واختلفت مع دراسة محمد (٢٠٠٤)، ودراسة طراد (٢٠١٤)، حيث أظهرتا أن الطلبة ذكوراً وإناثاً يمتلكون درجة منخفضة من التلوث النفسي.

نتائج السؤال الثاني: ما مدى الفروق في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغيرات: الجنس، ونوع الجامعة، والسنة الدراسية، والتخصص العلمي؟

تُعرض نتائج هذا السؤال على النحو الآتي:

١- متغير النوع الإجتماعي: حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (الجنس)، كما تم تطبيق اختبار (t-test) وكما في الجدول (٣).

الجدول (٣): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (الجنس)، واختبار (t-test)، تبعاً لمتغير الجنس.

النوع الإجتماعي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
ذكر	914	3.62	0.63	4.291	0.000
أنثى	516	3.48	0.60		

تشير النتائج في الجدول (٣) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (النوع الإجتماعي)، استناداً إلى قيمة (ت) المحسوبة إذ بلغت (٤,٢٩١)، وبمستوى دلالة (٠,٠٠٠)، وكان الفرق لصالح الذكور بدليل ارتفاع متوسطهم الحسابي، وهذا يعني أن التلوث النفسي عند الذكور أعلى من الإناث، وذلك نتيجة لتباين المجالات بين الذكر والأنثى، فلدى الذكور مجالات نفسية، واجتماعية، وفيزيائية أوسع حركة، وأكثر وضوحاً وفاعلية، وأسهل تقبلاً من المجتمع الأردني مقارنة بالإناث اللاتي يتعرضن للرقابة الاجتماعية المسببة لهن اظهار أكبر قدر من التحفظ في مجتمع تسود فيه النظرة الذكورية، وتتغلب في كل مجال من مجالات الحياة تقريباً، بالإضافة إلى أن الطالب الجامعي تسيطر مشاعر اليأس والإحباط، وبخاصة عندما يفكر في مستقبله، وما يحمله من أعباء وتهديدات، وبأنه لن يحقق ذاته مهنياً واجتماعياً.

إن الالتزامات التي تتعلق بأعباء الحياة الاقتصادية والاجتماعية مستقبلاً على عاتق البنين هي على العكس منه لدى البنات، إذ يتوحدن مع أمهاتهن بشدة، ويحاولن تنفيذ ما يرغبن فيه لهن، أو ما يرغب فيه الوالدان بشكل عام لهن، إضافة إلى أنهن يعشن في مجتمع محافظ وتقليدي، فما هو مسموح للبنين غير مسموح لهن على الإطلاق ولو كان بسيطاً، فيجعلهن ذلك في نمط للهوية أقل من البنين، فالبنون يقومون بمواجهة العديد من التحديات التي يكون فيها عليهم اختيار قرارات كثيرة من بين بدائل قليلة وغير متاحة، فمرجعية هذه النتيجة كما يراها الباحثان ذات أبعاد اجتماعية ونفسية مرتبطة بعملية التنشئة الاجتماعية المتبعة في مجتمعاتنا العربية بعامة، ومجتمعنا الأردني بخاصة، والتي تتعامل بأساليب وبأشكال متباينة في تربية الذكور وتربية الإناث، إذ تسمح عادتنا وتقاليدنا الاجتماعية والثقافية للذكور من أبنائنا الحرية في التحرك والخروج إلى المناسبات والاحتفالات، بينما تضع قيوداً وحدوداً لحرية الإناث في المواقف الاجتماعية المشابهة، وهذا يؤدي بالتالي إلى تحلل الذكور من بعض المظاهر الدينية والاجتماعية مقارنة بالإناث.

واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة شهاب والعبيدي (٢٠١١)، ودراسة محمد (٢٠٠٤)، ودراسة طراد (٢٠١٤)، حيث أشارت جميعها إلى أن التلوث النفسي لدى الذكور كان أعلى منه لدى الإناث، واختلفت مع دراسة أبو دف والآغا (٢٠٠١)، والتي تشير إلى أن مستوى التلوث الثقافي لدى الإناث هو أعلى منه لدى الذكور.

٢- متغير نوع الجامعة: حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (نوع الجامعة)، كما تم تطبيق اختبار (t-test) وكما يظهر في الجدول (٤).

الجدول (٤): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (نوع الجامعة) واختبار (t-test)، تبعاً لمتغير الجنس

نوع الجامعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
حكومية	880	3.56	0.65	0.406	0.685
خاصة	550	3.58	0.58		

تشير النتائج في الجدول (٤) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (نوع الجامعة)، استناداً إلى قيمة (ت) المحسوبة، إذ بلغت (٠,٤٠٦) وبمستوى دلالة (٠,٦٥٨).

ويعزو الباحث ذلك إلى كون الطلبة في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة يمرون بنفس المرحلة العمرية والزمنية، ويعيشون في جو دراسي واحد تقريباً، وأغلبهم من بيئات متشابهة في المستوى الاقتصادي والثقافي، ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى الطالب نفسه حيث أنه القادر على تجاوز المشكلات النفسية والاجتماعية في التكيف مع الظروف الجديدة في الدراسة في جامعة بعيدة عن أسرته والتفاعل مع الجامعة والمجتمع، إضافة إلى قدرة الجامعات الأردنية على

تذليل كثير من المشكلات التي تواجه الطلبة سواء كانت الجامعة حكومية أم خاصة، وربما يعود ذلك إلى ارتفاع مستوى التعليم العالي في الجامعات الأردنية، وتوفر جميع التسهيلات الإدارية، وخبرة أعضاء هيئة التدريس، وعلاقاتهم الإيجابية مع طلبتهم، مما يساعد في الوقاية من التلوث النفسي في حل مشكلاتهم النفسية مبكراً أو قبل حدوثها، وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة شهاب والعبيدي (٢٠١١).

٣-متغير التخصص العلمي: حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (التخصص العلمي)، كما تم تطبيق اختبار (t-test) وكما يظهر في الجدول (٥).

الجدول (٥): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (التخصص العلمي) واختبار (t-test)، تبعا لمتغير الجنس.

التخصص العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
علمية	563	3.31	0.52	15.534	.٠٠٠٠
انسانية	867	3.74	0.63		

تشير النتائج في الجدول (٥) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في مستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (التخصص العلمي)، استناداً إلى قيمة (ت) المحسوبة إذ بلغت (١٣,٥٣٤) وبمستوى دلالة (٠,٠٠٠)، وكان الفرق لصالح متوسط الكليات الإنسانية بدليل ارتفاع متوسطهم الحسابي، وهذا يعني أن التلوث النفسي عند طلبة الكليات العلمية أقل منه عند طلبة الكليات الانسانية، ويعزى ارتفاع درجة التلوث النفسي بين طلبة الكليات الإنسانية لضعف التحصيل العلمي للطلبة من جهة، ووجود وقت الفراغ الكبير لديهم بسبب قلة الواجبات الدراسية وعدم الجدية في الدراسة من جهة أخرى، فطلاب الكليات العلمية هم من الطلاب الذين تحصلوا على معدلات عالية

في الثانوية العامة، فهم نجباء ومعظمهم قد التحق بالتخصص المرغوب فيه، وبالتالي يجدون وظائف أسرع من الكليات الإنسانية، وهذا ما يجعلهم جادين ومسئولين في حياتهم، ومنشغلين بما هو مفيد، وليس لديهم وقت يقضونه بما لا يفيد، وبالتالي فيعيشون بصحة نفسية عالية تبعدهم عن كل ما يمكن أن يضر به نفسياً، فمسئولياتهم أكبر وتنصب بالتفكير في المستقبل الدراسي، والحصول على عمل والاستقلال والاعتماد على النفس، واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة شهاب والعبيدي (٢٠١١)، واختلفت مع دراسة محمد (٢٠٠٤)، ودراسة أبو دف والآغا (٢٠٠١).

٤-متغير السنة الدراسية: تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير السنة الدراسية، ويظهر الجدول (٦) ذلك.

الجدول (٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير(السنة الدراسية)

السنة الدراسية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأولى	367	3.88	0.72
الثانية	239	3.59	0.67
الثالثة	375	3.51	0.44
الرابعة	449	3.36	0.54
المجموع	1430	3.57	0.63

يلاحظ من الجدول (٦) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (السنة الدراسية)، إذ حصل أصحاب فئة (الأولى) على أعلى متوسط حسابي بلغ (٣,٨٨)، وجاء أصحاب فئة (الثانية) بالرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (٣,٥٩) وأخيراً جاء المتوسط الحسابي لفئة (الرابعة) إذ بلغ (٣,٣٦)، ولتحديد فيما إذا كانت الفروق

بين المتوسطات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) تم تطبيق تحليل التباين الأحادي (One wayANOVA)، وجاءت نتائج تحليل التباين على النحو الذي يوضحه الجدول (٧):

الجدول (٧): تحليل التباين الأحادي لإيجاد دلالة الفروق لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (السنة الدراسية)

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
بين المجموعات	55.876	3	18.625	52.635	0.000
داخل المجموعات	504.598	1426	0.354		
المجموع	560.474	1429			

تشير النتائج في الجدول (٧) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (السنة الدراسية)، استناداً إلى قيمة ف المحسوبة إذ بلغت (٥٢,٦٣٥)، وبمستوى دلالة (٠,٠٠٠)، ولمعرفة عائدية الفروق تم استخدام اختبار شيفيه للفروق، والجدول (٨) يبين ذلك.

الجدول (٨): اختبار شيفيه للفروق لمستوى التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات في الأردن وفقاً لمتغير (السنة الدراسية)

السنة الدراسية	المتوسط الحسابي	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
		3.88	3.59	3.51	3.36
الأولى	3.88	-	*0.29	*0.37	*0.52
الثانية	3.59		-	0.08	*0.23
الثالثة	3.51			-	*0.15
الرابعة	3.36				-

* الفرق دال احصائياً عند مستوى (٠,٠٥)

يظهر من الجدول السابق أن الفرق جاء لصالح فئة (السنة الأولى) عند مقارنتها مع فئات (الرابعة والثالثة والثانية) وأيضاً لصالح فئة "الثانية والثالثة" عند مقارنتها مع فئة "السنة الرابعة، ويعني هذا أن الفرق الدال لصالح السنة الأولى والثانية؛ وهذا يعني أن التلوث النفسي عند طلبة السنة الدراسية الرابعة أقل منه عند طلبة باقي السنوات، إنما قد يحمل تأثيراً

سلبياً لبيئة الجامعة نتيجة لتنامي الرغبة لدى طلبتها في الابتعاد عن الخط الاجتماعي المتوازن، فطلبة السنوات الأولى قد يواجهون بعض المشكلات النفسية التكيفية التي تولد لديهم الشعور بالقلق والتوتر والإحباط والخوف من المستقبل، فيتبدد معها الكثير من الآمال بسبب عدم معرفتهم الكافية وقلة خبرتهم، فهم بذلك أقل قدرة على تجاوز المشكلات، وأقل توافقاً مع مطالب الحياة اليومية، فيكونون بالتالي أكثر عرضة للتلوث النفسي، وأقل استقراراً نفسياً واجتماعياً، أما الطلبة في مستوى السنة الدراسية الرابعة؛ هم أقل تلوثاً لأن هذا المستوى يحقق لهم مكانة معينة بين طلبة الجامعة وبين زملائهم، ويحقق لهم مكانة اجتماعية بين أساتذتهم على أساس أنهم قد اقتربوا من التخرج بشهادة علمية، وهي قيمة تساعدهم على تحقيق ذواتهم، وبالتالي تحقيق مستوى عالٍ من الشعور بالصحة والصلابة النفسية، فيبتعدون عن الإصابة بهذا التلوث النفسي.

واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة شهاب والعبيدي (٢٠١١)، التي تشير إلى وجود فرق لصالح السنة الأولى على حساب السنوات الأخرى، واختلفت مع دراسة محمد (٢٠٠٤)، التي تشير إلى وجود فرق لصالح السنة الرابعة على حساب السنوات الأخرى.

التوصيات:

انطلاقاً من أهداف الدراسة الحالية وما توصلت إليه من نتائج، يوصي الباحثان بما يأتي:

١- توفير المرشد النفسي المؤهل لمساعدة الطلبة في حل مشكلاتهم وتسهيل العقبات التي تواجههم.

٢- حث أساتذة الجامعات على توعية الطلبة بمفهوم العولمة بالحفاظ على هويتهم، والالتزام بتعاليم دينهم الإسلامي، وذلك للوقاية من الوقوع في تلوث النفس وتشوهها.

٣- عقد الندوات والمحاضرات لتوعية الطلبة بكيفية تحقيق الصحة النفسية والتكيف الاجتماعي، بما يقلل من مستوى التلوث النفسي لديهم.

٤- تطوير الخطط الدراسية بما يتناسب ومتطلبات هذا العصر ومستجداته.

٥- اجراء دراسات ميدانية لمعرفة مدى انتشار ظاهرة التلوث النفسي لدى طلبة المراحل التعليمية الأخرى.

٦- إجراء دراسات ميدانية لمعرفة علاقة التلوث النفسي لدى طلبة الجامعات بمتغيرات أخرى، كالأمن النفسي، والادمان على المخدرات، والتوجه نحو التدين.

الملحق:ملحق (١)

رقم الفقرة	القيمة التائية	معامل الاتساق الداخلي	رقم الفقرة	القيمة التائية	معامل الاتساق الداخلي	رقم الفقرة	القيمة التائية	معامل الاتساق الداخلي
١	٣,٢٤	٠,٣٣	٤١	١,١٢*	٠,٣٨	٨١	٢,٩٨	٠,٣٥
٢	٣,٥٦	٠,٢٤	٤٢	١,٤٣*	٠,٤٢	٨٢	٤,٢٨	٠,٠٨*
٣	٢,٥٢	٠,٤٦	٤٣	١,٤٠*	٠,٢١	٨٣	١,١١*	٠,٣٣
٤	٤,١٣	٠,٣٢	٤٤	٣,٢٩	٠,٠٨*	٨٤	٢,٤٤	٠,٤٣
٠٥	٣,٣١	٠,٢١	٤٥	٢,٧٠	٠,٢٢	٨٥	٢,٢٣	٠,٦٣
٦	١,١١*	٠,٣٥	٤٦	٥,٤٨	٠,٣٢	٨٦	٥,٢٦	٠,٤٥
٧	١,٨٣*	٠,٥٢	٤٧	٤,٣٢	٠,٤٣	٨٧	٢,٦٦	٠,٢٦
٨	٤,٢١	٠,٣٠	٤٨	٥,١٢	٠,٣٧	٨٨	٣,٧٩	٠,٣٤
٩	٢,٨٨	٠,٤٣	٤٩	٢,٣٧	٠,٥١	٨٩	٤,٦٧	٠,٤٣
١٠	٢,٠٣	٠,٤٣	٥٠	٢,٣١	٠,٥٥	٩٠	١,٢١*	٠,٣٨
١١	٢,٨٧	٠,٢٨	٥١	٣,٨١	٠,٣٩	٩١	٣,٨٧	٠,٥٦
١٢	٥,١٥	٠,٤١	٥٢	٢,٩٨	٠,٦١	٩٢	٥,١١	٠,٢١
١٣	٣,٤٤	٠,٤١	٥٣	٣,٨٥	٠,٥٨	٩٣	٣,٥٧	٠,٢٣
١٤	٣,٧٣	٠,١٠*	٥٤	٢,٨٣	٠,٢٥	٩٤	٤,٢٢	٠,٤٩
١٥	١,٢٩*	٠,٤١	٥٥	٤,٥٠	٠,٤١	٩٥	٣,٨٩	٠,٢٢
١٦	١,٦٤*	٠,٣٢	٥٦	٤,٩٠	٠,٣٠	٩٦	٣,٠٧	٠,٥٢
١٧	١,٢٢*	٠,٣٨	٥٧	٣,٣١	٠,٤٣	٩٧	٤,٦٧	٠,٦٦
١٨	٣,٢١	٠,٥١	٥٨	٢,٩٠	٠,١٠*	٩٨	٥,٦٧	٠,٣٧
١٩	٣,٣١	٠,٠٨*	٥٩	٥,٢٠	٠,٠٩*	٩٩	٢,٨١	٠,١٠*
٢٠	٣,٠٤	٠,٠٩*	٦٠	٤,٢٠	٠,٣٢	١٠٠	١,١٦*	٠,٥٥

٢١	٢,٧٧	٠,٠٦*	٦١	٤,٧٠	٠,٥٣	١٠١	٤,٢٣	٠,٣٧
٢٢	٥,٦٣	٠,٣٢	٦٢	٣,٨٠	٠,٢١	١٠٢	٢,٠٦	٠,٠٦*
٢٣	٤,٥٩	٠,٢٢	٦٣	٤,٩٤	٠,٦٤	١٠٣	١,٣٧*	٠,٤٨
٢٤	٣,٢١	٠,٣٧	٦٤	٢,٩٠	٠,٥٤	١٠٤	٣,٣٥	٠,٣٤
٢٥	٣,٥٦	٠,٤٠	٦٥	٤,٨٩	٠,٢٧	١٠٥	٤,٠٠	٠,٥٧
٢٦	٢,٧٦	٠,٣١	٦٦	٤,١٣	٠,٤١	١٠٦	٥,١٨	٠,٣١
٢٧	٤,٧٨	٠,٢٦	٦٧	٣,٦٣	٠,٣٤	١٠٧	٤,٥٦	٠,٤٠
٢٨	٤,١٢	٠,١٠*	٦٨	١,٧٠*	٠,٢٩	١٠٨	٣,٨٧	٠,٢٧
٢٩	٣,٢١	٠,٥٣	٦٩	٣,٥٤	٠,٥٢	١٠٩	١,٣٤*	٠,٣٦
٣٠	٢,٥٥	٠,٤٦	٧٠	٥,٦٣	٠,٣٨	١١٠	١,٠٥*	٠,٢١
٣١	٢,٦١	٠,٤٢	٧١	١,٦٦*	٠,٥٢	١١١	١,١٨*	٠,٤٠
٣٢	٣,٩٢	٠,٤٤	٧٢	٣,٦٢	٠,٢٢	١١٢	٣,٢٨	٠,٥٢
٣٣	٥,٢٨	٠,٣٢	٧٣	٣,٥٥	٠,٣١	١١٣	٣,٥١	٠,٤٣
٣٤	١,٠٢*	٠,٥٢	٧٤	٣,٢٨	٠,٥٥	١١٤	٣,٥٨	٠,٥١
٣٥	٢,٥٢	٠,١٨	٧٥	٢,٨٠	٠,٤٣	١١٥	٢,٢١	٠,٤١
٣٦	٣,٣٢	٠,٢٨	٧٦	١,٠٤*	٠,٣٧	١١٦	٢,٢٢	٠,٢٥
٣٧	٢,٧٥	٠,٤٣	٧٧	٥,٦٩	٠,٢٦	١١٧	٤,٢٤	٠,٣٧
٣٨	٤,٨٨	٠,٦١	٧٨	٣,٢٢	٠,٦٣	١١٨	٣,٤١	٠,٣٩
٣٩	٤,٢٣	٠,٠٨*	٧٩	٢,٣٩	٠,٤٤			
٤٠	١,٧٨*	٠,٣٨	٨٠	٢,٣٦	٠,٣١			

القيم التائية ومعامل الاتساق الداخلي لفقرات المقياس لدرجات عينة البناء.

(*)الفقرة غير مميزة (**) الفقرة غير دالة.

درجة الحرية للتمييز= ١١٨، مستوى الدلالة=٠,٠٥، قيمة (ت) الجدولية= ١,٩٨.

درجة الحرية للاتساق= ٢١٨، مستوى الدلالة= ٠,٠٥، قيمة (ر) الجدولية= ٠,١٣٨.

الهوامش:

(١) عبد الرضا، طراد، فاعلية برنامج إرشادي في خفض التلوث النفسي لدى طلاب كلية التربية

الرياضية في جامعة بابل، **مجلة علوم التربية**، ٢٠١٤، ٣(٥)، ص ٩٤.

(٢) محمد، أسامه حامد، **التلوث النفسي لدى طلبة جامعة الموصل**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٤م.

(٣) مبارك، أحمد، **التلوث النفسي وعلاقته بأنماط التنشئة الوالدية لدى طلبة جامعة بابل**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٠م.

(٤) الراضي، مليكة، **الطفل المهاجر وأزمة الهوية: نموذج الطفل المغاربي**، بحث مقدم إلى مؤتمر ثقافة الطفل العربي الذي عقد في مقر جامعة الدول العربية/ القاهرة، 8-2000/8/11.

(٥) شلتز، دوان، **نظريات الشخصية**، ترجمة الكربولي، بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣.

(٦) حمام، فاطمة والهويش، فاطمة، الاغتراب النفسي وتقدير الذات لدى خريجات الجامعة العاملات والعاطلات عن العمل، **مجلة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية**، ٢٠١٠، ٢، ٦٤ – ١٣٨.

(٧) الإبراهيمي، أحمد، الامبريالية الثقافية، السم في الدسم، **مجلة الثقافة**، الجزائر، ١٩٧٧، ٧(٤١)، ٢٠١-٢٢١.

(٨) يونس، كريمة، **الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م.

(٩) عويدات، عبدالله وزهور، بدران، أثر عادات المشاهدة للتلفزيون ومدتها على التحصيل الاكاديمي لدى طلبة الأساسي في الأردن، **مجلة دراسات الجامعة الأردنية**، ١٩٩٦م، ٢(٢٤)، ٣٨٠ - ٣٩٧.

(١٠) لطفي، حسن علي، **الاختراق الإعلامي المحرم**، مجلة وارد، تونس، ٢٠٠١، ١، ٣٦.

(١١) عويد، عدنان، الأمة ووعي الذات، **مجلة المعرفة**، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٠، (٤٦٧)، ٧٠.

(١٢) التل، شادي والمقدادي، محمود, اتجاهات طلبة جامعة اليرموك نحو المطالعة الحرة وعاداتهم فيها, **مجلة أبحاث اليرموك**، الأردن، ١٩٨٩، ٢(١٣)، ٩٨.

(13) Lowery, S. A. & Defiler, M. L. **Millstones in mass communication research**, (2nd), Longman, Ines, New York. 1988 353.

(14) Frick, Theodore, W. 1991. **Restructuring Education Through Technology**, the Phi Delta Kappa Educational Foundation Bloomington, Indiana.

(١٥) والي، جمانة، جنوح الأحداث وعلاقتها بالمعاملة الوالدية، **مجلة الثقافة**، فلسطين، ١٩٩٠، (٦)، ٣١-٣٢.

(١٦) حميدي، جعفر عباس، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية على العراق، **مجلة الحكمة**، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٨، ٢(١)، ٧٧

(١٧) جلال، أمين، **العولمة** ، سلسلة إقرأ، رقم ٦٣٦ ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٩٨م.

(١٨) محمد، **التلوث النفسي لدى طلبة جامعة الموصل**، ٢٠٠٤، مرجع سابق.

(١٩) أبو دف، محمود والأغا، محمد، التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور

التربية في مواجهته، **مجلة الجامعة الإسلامية**، غزة، ٢٠٠١، ٢(٩)، ١٧٦-١٩١.

(٢٠) البياتي، خضير، الفضائيات: الثقافة الوافدة وسلطة الصورة، **مجلة المستقبل العربي**، م٢٠٠١، (٢٦٧)، ١٢٤- ١٣٥.

(٢١) محمد، **التلوث النفسي لدى طلبة جامعة الموصل**، ٢٠٠٤، مرجع سابق.

(٢٢) شهاب، شهزاد والعبيدي، زهور، التلوث النفسي وعلاقته بالنضج الانفعالي لدى طلبة إعداد المعلمين ومعاهد الفنون الجميلة في مركز محافظة نينوى، **مجلة دراسات تربوية**، ٢٠١١م، (١٤)، ١١.

(٢٣) طراد، حيدر، فاعلية برنامج ارشادي في خفض التلوث النفسي لدى طلاب كلية التربية الرياضية في جامعة بابل، **مجلة علوم التربية**، ٢٠١٤م، ٣(٥)، ص ٩٤.

(٢٤) شهاب، شهزاد والعبيدي، زهور، **التلوث النفسي وعلاقته بالنضج الانفعالي لدى طلبة إعداد المعلمين ومعاهد الفنون الجميلة في مركز محافظة نينوى**، ٢٠١١، مرجع سابق.

(٢٥) الحارثي، زايد، **شباب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي وقضاياهم وسبل رعايتهم**، مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الأمانة العامة، الرياض، ٢٠٠٦م.

(٢٦) خليفة، عبداللطيف، **دراسات سيكولوجية في الاغتراب**، دار غريب: القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢٧) الموسوي، منى، انحراف الشباب: على من تقع المسئولية؟ **مجلة بشرى**، ٢٠٠٢م، (٧٠)، ص١٢٠-١٣٠.

(٢٨) الشمري، محمد، **الخصائص الشخصية لذوي قوة التحميل النفسي العالي والواطئ وعلاقتها بأساليب المعاملة الوالدية لدى طلبة الجامعة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١م.

رواية (موطن الأسرار) لشاكر الأنباري
دراسة في الرؤيا والتشكيل

أ.د. محمد علي الشوابكة*

تاريخ وصول البحث: ١٨/ ٨/ ٢٠١٦م تاريخ قبول البحث: ٥/ ١٢/ ٢٠١٦م

ملخص

يتناول هذا البحث الرؤيا الفكرية والاجتماعية والتشكيل الفني من خلال قراءة نصيّة لرواية شاكر الأنباري "موطن الأسرار". وتثبت الدراسة أن الروائي انشغل بتحليل العلاقة بين الغرب والشرق من جهة، والرجل والمرأة من جهة أخرى. ويتّضح أنّ الكاتب تناول المسألة الأولى من منظور نقدي حيادي؛ فلم ينفِ إمكانية اللقاء بين العالمين، ولم ينفِ في الآن نفسه تعدد الفوارق بينهما؛ ليخرج بالتالي بتصوّر توفيقيّ على نحوٍ لا يختلف كثيراً عمّا قرأناه في روايات سابقة. أمّا مسألة الرجولة والأنوثة فقد قدّم الكاتب فكرته من خلال نموذجين للمرأة الغربية والشرقية، وجعل النموذجين يتناوبان الأدوار بشكل لافت. أما المحور الثاني من هذا البحث فيحاول إلقاء الضوء على بعض المكونات الفنية للبناء الروائي، فيشير بإيجاز إلى التشكيل الزمني والوصف المكاني والرؤية السردية، وينتهي البحث إلى أنّ هذا العمل ينتمي إلى رواية السيرة، دون أن يفقد السمات النوعية للرواية.

* أستاذ دكتور، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤته.

Abstract

This paper investigates the intellectual and social vision and artistic formation by a textual analysis of Shakir Al-Anbari's novel *Mawten Al-Asrar*. The study reveals that the novelist shows a concrete consideration of analyzing the relationship between West and East on one hand, and between man and woman on the other. It is clear that the writer treats the first issue from a neutral and critical point of view, he does not deny the possibility of cultural encounter between the two worlds, nor he denies the differences between them, to come up with a compromising idea in a way that is similar to those discussed in previous novels. Regarding the issue of masculine and feminine, the writer presents his idea through two models representing the two worlds. The second part of this paper briefly sheds lights on such artistic techniques as time structure, place description and narrative vision.

The paper concludes that the novel has some biographic characteristics and contains most genre propertie.

المقدمة:

تعالج هذه الدراسة روايةَ "موطن الأسرار" للروائي والقاص العراقي شاكر الأنباري(*). وهي رواية ترتبط ارتباطاً بيّناً بشخصيّة الكاتب من جوانب عديدة، كما سنرى في الحديث عن السارد وإشكالية السيرة. إنّ النظرة في حياة الأنباري تقدّم لنا شخصاً عانى من الاغتراب والغربة؛ إذْ غادر العراق سنة ١٩٧٩م، وتنقّل من العراق إلى بريطانيا فسوريا ثمّ إلى الدنمارك؛ وبعدها ظلّ، كما يبدو، ينتقل بين كوبنهاجن ودمشق، كما أنه زار العراق بعد الاحتلال...ولعلّ هذه الخلفية تُسْعِف في فهم الرواية، دون أن يعني ذلك أنّنا إزاء

سيرة ذاتية كاملة أو وثيقة تاريخية، وإنما نقرأ تشكيلاً فنيّاً يتماهى فيه الواقعي بالمتخيّل، إنّنا إذن إزاء عمل فنيّ ينبع أساسه من الواقعي، وتكتمل مفرداته وعناصره من خلال الخيال. إنّ علاقة الشخصيات بالأبعاد الحضاريّة والثقافية من خلال هذا المزج المتميّز بين الحقيقي والتخييلي تشكّل الفكرة المركزية في رواية الأنباري. تتشكّل شخصيّات الرواية المحدودة من مفردات متعدّدة تتّسم بالتّضاد أحياناً والانسجام أحياناً أخرى، كما أنّ تحوّلات هذه الشخصيات تتجلّى من خلال عبور أمكنة واقعية بأسمائها وبعض أجوائها، دون جنوح إلى التسجيلية، وإنما تكشف الرواية عن أبعاد تخييلية، ولا سيَّما في تصويرها للعلاقة بين الرجل والمرأة، والرواية، وهي تميل إلى ذلك، تُحمّل التخييل مفردات لا يمكن فصلها عن المتواضع الحضاري؛ أيْ أنّ الرواية تنقل مفردات الحضارة من شكل المحاكاة إلى فضاءات زمانية ومكانية يقوم الخيال بدور فعّال في إبرازها. وعلى الرغم من الغلوّ والنبرة المرتفعة في تصوير العلاقات الجنسية، مثلاً، وما يترتّب عليها من ترميز، فإنّ هذا التصوير يلامس الواقع ولكنه لا يضاهيه؛ لأنّ هذا الخيال لا يمكن إلاّ أنْ ينصرف إلى تجارب ما تتضافر لخلق عالم الخطاب وذاكرته. والذاكرة النصيّة تمثّلها شخصيات فنية بما تعكسه من محمولات نفسية واجتماعية خاصّة، وحضارية عامة.

وتسعى الدراسة إلى تحليل "موطن الأسرار" من خلال محورين رئيسين: الأول في الرؤية، ويناقش مسائل تشكّل الهواجس الملحّة على الروائي والمعبّرة عن معاناته أو معاناة شخصياته، وتتضمن هذه المسائل الأساسية ثنائية الشرق والغرب (اللقاء الحضاري)، وثنائية الرجل والمرأة من خلال الكشف عن موقف بطل الرواية من شخصيّتي "تاتا" و"هيام". أما المحور الثاني فهو في التشكيل، ويناقش دلالة العنوان وتشكيل الاستهلال السردي، والبناء الزمني، وأخيراً إشكاليّة السارد بوصفه الأنا الثانية للمؤلف أو الكاتب الضمني الذي قد يُسمع من خلاله صوتُ الكاتب. وعلى الرغم من أهمية هذه الرواية، فإنّني لم أعثر على أي دراسة تتناولها، باستثناء عرض مقتضب في الملحق الثقافي لجريدة النهار قدّمه كاظم جهاد: الأحد: ١٦/ ٢/ ٢٠٠٣م. إنّ هذه الرواية لن تُقْرأ بمعزل عن السياق التاريخي والاجتماعي، ودور المبدع الذي نظم هذه المفردات ضمن سلسلة من الوحدات المرتبطة بعوامل التجاور السردي

في الغالب، وعوامل السببية والزمنية في بعض الأحيان؛ ليتشكّل من خلال ذلك عمل يتوفّر على قوانينه الخاصّة (الرواية)، دون أن يعني ذلك إغفال البنيات المكوّنة للخطاب الروائي بوصفه بناء مستقلاً قائما بذاته، وأعني هنا أن الإشارة إلى الخارج لن ترد إلاّ بمقدار ما هو كامن في ثنايا السرد أو مدوّنا فيه، بوصف الخارج مستنداً نصياً يشكّل أحد الموحّدات (القواسم المشتركة) بين الكاتب والمتلقي.

في الرؤيا الغرب والشرق، موقف نقدي:

١- تُعنى الرواية التي بين أيدينا، زيادة على ثيمات أخرى، بجدلية الشرق والغرب أو الأنا والآخر؛ ولذا تُعدُّ إضافة جديدة إلى الروايات العربية[1] التي اتّخذت من إشكالية اللقاء الحضاري موضوعاً رئيساً لها. ولعلَّ القارئ لهذه الروايات يمكن أن يُصنِّفَ مواقف الروائيين تجاه هذه الإشكالية ضمن ثلاثة اتجاهات بارزة: اتجاه رافض للحضارة الغربيّة من منطلق المحافظة على الهويّة القوميّة أو الوطنيَّة، أو رفض ماديّة الغرب وأنانيّته وهيمنته كما هو الحال، مثلا، في "جسر الشيطان" لعبد الحميد جودت السحّار، و"عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، و"سجناء الرون" و"الجوع" لخضر نبوّة... ويتمثّل الاتجاه المناقض في القبول العقلي والعاطفي للحضارة الغربيّة من منطلق الحاجة إلى التكنولوجيا واستثمار قيم الحريّة واحترام حقوق الإنسان والديمقراطيّة، كما عبّرت عن ذلك مجموعة من الروايات العربيّة، لعلّ أبرزها "أديب" لطه حسين، و"الدكتور إبراهيم" و"على الدنيا السلام" لذي النون أيوب، و"شيكاغو" لعلاء الدين الأسواني...وثمّة الاتجاه الثالث الذي ينظر إلى الغرب نظرة موضوعيّة تنطلق من فلسفة قوامها النسبيّة؛ فليس ثمّة خيرٌ مطلق ولا شرٌّ مطلق؛ لأنّ الشرق تماما كالغرب فيه من القيم الإيجابية والقيم السلبيّة؛ ولذا رأينا شخصيات هذه الروايات تنتقي من الحضارة الغربية ما لا يشكّل حالة صدامٍ مع الهويّة القومية أو القيم الشرقية. ولم يقتصر الأمر عندها على تبنّي مفردات الحضارة الغربية الماديّة حسب، وإنما تجاوز ذلك إلى ما هو مستحسن من القيم المعنويّة، ورأى بعض أبطال هذه الروايات أنّ الاتصال بالآخر والتفاعل معه أمر حيويّ، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الشرق وطبيعته المتميّزة. ولعلّ أبرز الأعمال التي تعبّر عن هذا الاتجاه "قدر يلهو" و"قوس قزح" لشكيب الجابري، و"الحيّ اللاتيني" لسهيل إدريس،

و"قنديل أم هاشم" ليحيى حقّي، "وموسم الهجرة" للطيّب صالح.

ولعلّ رواية "موطن الأسرار" لشاكر الأنباري تندرج إلى حدٍّ كبير ضمن الاتجاه الثالث؛ إذْ يبدو البطل غير المسمّى مُزاوجاً بين الغرب الذي تشكّلت صورته لديه من خلال القراءة والأفكار المسبقة أو من خلال التجربة التي عاشها وكادت تزعزع إيمانه بهويّته القومية- والشرق الذي ظلّ مسكونًا به: بأمكنته ونسائه وعذاباته، واحتلّ إضافة إلى ذلك مساحة أكبر في الخطاب الروائيّ. ولا شكَّ أنّ إقامة البطل في الغرب (الدنمارك) مدّة عشْر سنوات تركت بصماتها في السلوك وطريقة التفكير وشكل العلاقات الاجتماعيّة، وخلقت تراثا خاصًّا شكّل بُعْدًا واضحًا من أبعاد الشخصيّة. وقد مرّت تجربة الشخصيّة بمراحل ثلاث متتابعة في الحكاية متناثرة في ثنايا الخطاب، ويمكن استنتاج بعضها من البنية الكليّة لهذا الخطاب. وتبدأ أولاها بعمليّة استكشاف للمواقف العلمية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الغربي، سواء أكان ذلك مقدّمًا من خلال مجمل الأحداث والوصف أم من خلال محكي الأقوال، بطريقة ضمنية أو بطريقة مباشرة، أمّا ثانيها: فتتمثّل بالمقارنة بين ما رآه في الغرب وما هو حاضر في وطنه، وتعبّر المرحلة الثالثة عن الموقف الكلّيّ للبطل تجاه الغرب، وهو موقف نقدي يمكن اختزاله من خلال تأويل الأحداث والوصف. إنّ الشخصيّة الرئيسة في الرواية لا تنظر إلى الأمور نظرة أُحادية البُعْد؛ فعلى الرغم من هذا الميراث الغربي الذي أشرت إليه، فإنّ الشّرق لم يكن غائبا عن وعيها؛ ممّا أفضى إلى تمازج فذّ بين منظومة من القيم المتناقضة، فالشخصيَّة منشدّةٌ إلى الغرب والشرق من جهة ومنتقدةٌ لكليهما من جهة أخرى، ويتجلّى ذلك من خلال معايشتها زمنين مختلفين زمن الغرب/ الدنمارك، قبل العودة، وزمن العودة إلى دمشق والتعرف إلى "هيام" وهي سيِّدة ضائعة يتعرّض لها التحليل فيما بعْد، وكل زمن يحمل منظوماته الخاصّة به.

إنّ التراث الذي شكّل حياته في الدنمارك يشير إلى عالم منفتح، ملتقىً للأجناس والأذواق والألوان والديانات، فيه من كلِّ الدّنيا أشياء وأشخاص من شتّى المشارب، ويُشْعِرُ هذا التراث، خلال عشْرِ سنوات، الشخصيّة بالاستقرار المادّيّ والرّوْحيّ والطمأنينة الداخلية. وقد تكوّن لديه إيمان على نحو خاصّ استطاع هو تشييده خلال هذه السنوات ولا سيَّما من الناحية الثقافيّة؛ إذْ عكف على قراءة

الكتب من روايات وقصص وأشعار ودراسات علمية أو دراسات معمّقة للعلوم الروحانيّة وتطبيقاتها أو استماع للموسيقى، نقرأ من خلال السارد العليم: "عاهد نفسه منذ وطئت رجلاه أرض الدنمارك أنْ يتعلَّم شيئًا جديدًا كلّ يوم للوصول إلى حالة الاكتفاء الذاتي مع الروح، دون رغبات، دون طموحات كبيرة. كثيراً ما حلم أنْ يتحوّل إلى صخرة، لا ينتظر شيئًا من الحياة يعيش الحاضر كما هو بكل ما يمتلك من معرفة وتوهُّج واندفاع..."[٢]، أيْ أن يعيش الحياة بكل مفرداتها، بنظام أو دون ذلك، ببوهيميّة أو بعقلانية، لا فرق في ذلك عنده، ولعلّ ذلك يعود إلى الماضي الذي استلب منه روح الإنسان، وحوّله إلى شيْءٍ، استلب منه أبسط الحقوق وهو حقّ العمل وحقّ المواطنة. إنّ الأرض/ الأم تبدو دافئة جميلة، كما سنرى، ولكن المرء لا يستطيع أن يصنع مستقبله وحياته أو يشكِّل وعيه فيها، إنه رهنٌ بالمحيط الاجتماعي والشرط السياسي، مرهون بالأصول والفروع والقيم العامة والظروف الخاصّة المُقصية للإنسان، الطاردة له؛ مما يجعله يبحث عن مكان يلجأ إليه إلى وطن بديل مؤقّت. ويشير السارد إلى هذه الأجواء صراحة عند حديثه عن مقهى في دمشق، ليس فيما يتعلّق بالبطل فقط، وإنما فيما يتعلّق بالمجتمع الشرقي الذي يبدو هنا طارداً: "كم حكاية يثير في ذهنه هذا المقهى وكم قصة؟ إنها قصة المقهى الذي كان يوماً محطّة لكل الذين مرّوا بدمشقَ. جاءوا من كردستان، بعد تجربة طويلة من العيش في الجبال. من الأردن بعد هروبهم عبر الحدود، من بلغاريا...المقهى نقطة تجمّعهم اليومية، فيها ينظّمون شؤون رحيلهم إلى محطات أخرى وفيها يستدينون خبز يومهم يبحثون عن عمل أو عن مزوّر مكين يضبط لهم جواز سفر للنفاذ عبر المطار إلى دولة تمنحهم حقّ الإقامة"[٣]. وهنا تنقلب المعايير؛ فالشرق المستقر في الذاكرة من خلال الموروث أو من خلال جزء من السياق الروائي العربي نموذجًا للحياة الروحيّة دونما إقصاء للجانب الحياتي المعيشي- يصبح شبحًا يأكل قلب المرء ويحطّم الإنسان فيه! متى أصبح الشرقيّ سعيدًا لاقتنائه بيتاً وثلاّجة وزوجة؟ تأتي الإجابة على لسان السارد: "ألا يكفيه ذلك في عالم مليْء بالحروب والكوارث والهجرات والأحلام الكبيرة غير المتحقّقة والجشع الذي لا يحدُّ لجمع المال واقتناء الملابس، وامتلاك الأشياء؟! كثيراً ما تخيّل مقتله خلف ساتر ترابي على جبهة الحرب [إشارة إلى فترة الحرب

العراقيّة الإيرانية] جُمْجُمتُهُ تندسُّ بين التّراب...محترقاً في شاحنة أو دبّابة...ذلك رُبّما جعله يميل إلى الحكمة والعيش في الحاضر"[٤]، يكشف هذا الخطاب المنقول غير المباشر عن أنَّ العربيَّ لم يهجر بلده إلى الغرب حبّاً بالآخر، ولكنّه اضطرّ إلى الهجرة حفاظًا على أبسط حقوق الإنسان، الحياة الحرّة الكريمة، هرب من عالم الحروب والموت إلى عالم الحياة، مهما يكن نوع هذه الحياة، وإن بدت في كثير من ملامحها مثيرةً للإعجاب من زوايا التقدّم العلمي، وشيوع مظاهر الحرية والكفاية وتوافر أدوات المعرفة ومصادرها.

ويستثمر السارد اعترافات "سلمان" أحد معارف البطل لتأكيد أسباب الهجرة، وهي اعترافات تعبّر عن حياة شريحة أو جيل عانى كثيراً من ظروف قاهرة في العراق لم تجلب إلاّ الدّمار والموت. وبقطع النظر عن الشروط الموضوعيّة التي أفضت إلى الحرب، ومسوّغاتها الحقيقيّة، فإنَّ السَّردَ يدفع بهذه الاعترافات والذكريات ليسوق مبرِّرات هروب العراقيِّ ولجوئه إلى الخارج: "سلمان" إلى سوريّة، والبطل إلى سوريّة ثمّ إلى الدنمارك. والشخصيّات الهاربة تبدو على درجة من الوعي السياسيّ والثقافيّ يمنحها الحقّ في الهجرة والهروب اللذين يُعدّان تعبيرًا عن الإدانة والرّفض واتّخاذ موقف سلبيّ من الحرب. وقد توسّل السّرد لإيصال فكرته بمقاطع وصفيّة تعبيريّة يمتزج فيها المكان بالأشياء بالزمن؛ فـ"سلمان" الذي يعيش، لحظة استرجاع الأحداث، في "القابون" في سورية- يتذكّر القبو الذي بناه من شجر الحلفاء هروبًا من الحرب، ويشي من خلال استدعائه لكثير من الأحداث بما يُهدِّدُ ثقافة الأمّة؛ يُصوِّر لنا "سلمان" كيف كانت أشجار الحلفاء تخترق الكتب التي جمعها في القبو، سمع صوتًا في القبو، وبحث عن مصدر الصوت، فوجئ بأمر عجيب: "عروق الحلفاء اخترقت ورق الكتب كأنصالٍ خشبيّة، أصبحت لها الكلمات جزءاً من الأرض، الجذور تخترق الورق إذن!! تصبح القصص، والروايات وبرامج الأحزاب والدراسات جزءًا من هذا القبو الرّطِب (...) راعني هذا المشهد الغريب فلم أمدّ يدي لأزيل أيّ شيء. تركت أكداس الكتب تتحوّل إلى مادّة مُغذيّة للحلفاء والنخيل القريب والسيسبان. تتصاعد الحروف والكلمات مع المياه. تسري في الثمار. ستأكل الأجيال القادمة تمورًا معبّأة بكلمات وخوخًا تكتظّ ثماره بالحروف. سيأكل أولادنا اللغة في ظروفنا الشّاذّة هذه"[٥]. ويحاول السارد مراراً أن

يلتمس الأعذار لهرب الشخصيّات العراقية من الوطن، ويستثمر تقنية الإيجاز للكشف عن حياة مليئة بالآلام والأوجاع، مفعمة بالعذابات والهروب والاختباء على نحو يشكّل رفضًا صارخًا لما يحدث في العراق من حرب تعدّها الشخصيّات عبثية؛ كانت تجاربهم ثمّة، كما يوجز "سلمان" من خلال السارد، سوداء مغرقة في التشاؤم: تمزّق أنفسَهم عشراتُ الآلاف من الجثث ومثلها من الأسرى والمعوّقين، وتحرق أكبادهم المدن المهدّمة والمدن المُبادة، والأنهار المسمّمة، وتكوي قلوبهم أنّات الثكلى وجراحات الأطفال. هذا ما يرويه "سلمان" عن مغامراته أثناء مطارداته مع الشرطة "في فترة كان الهروب فيها يقود إلى حبل المشنقة"(٦).

هذا جزء يسير من تجارب الوطن الأمّ، تجارب، على الرغم من قسوتها، لم تقطع الإنسان عن التواصل الوجداني والذهني مع الأرض والرّحِم، وممّا يسند ذلك أنّ البطل لا ينفكُّ يربط بين الأمِّ والأرض، ومهما ابتعدت الأرض فإنَّ صوتًا مُفْعماً بالحنان والانتماء يظلُّ ينادي، ومهما ابتعد عن أرضه، فإنَّ نداء الأم يبقى منغرسًا في الأعماق. ويشكّل التعلّق بالأرض/ الأمّ والمرأة إيقاعًا ملموساً من إيقاعات الرواية؛ إذْ تمتزج الأمكنة بالنساء على نحْوٍ تحضر الأمّ خلالها بطريقة لافتة قد تشير في بعض جوانبها إلى عُقدة غافية بوعي أو بلا وعي؛ يُطِلُّ عليه الماضي أحيانًا من خلال المرأة، فعندما يرى زوجة صديقه يُحسّ بالجاذبيّة، ولكنّه في وعيه يرفض هذا الإحساس، ويخترق السارد وعي الشخصيّة لينقل تفكيرها: "فكّر أنها عقدة أمّه التي يراها في كلّ امرأة يلتقيها"(٧)، ويشير في موقع آخر إلى ما يؤكّد الربط بين المكان والمرأة والأمّ: "ونداء المرأة الطويل الذي ألحّ عليه منذ الولادة لا بدَّ أنْ يسمعه. يتبع الجسد الأموميَّ الذي لفظه إلى هذه الصحراء دون رحمة"(٨). إنّ المكان الشرقيّ ظلّ يشكّل هاجسًا للبطل منذ الاستهلال الروائي، واستمرّ على هذا النحو؛ فمرّة يبدو الشرق بشمسه وهوائه وناسه حُلُمَ البطل، ومرّة يودّ لو يلتهم كلَّ شيء يستمدّ منه "القوّة للتوحّد في هذه الأرض التي يحبّها يصير جزءا من دورة الموت والحياة فيها، رغبة نمت معه منذ الطّفولة"(٩).

إنّ حضور الأمكنة لا يكشف عن معاناة البطل وانتمائه حسب، وإنّما يوظّف هنا للمقارنة بين الغرب والشرق، أو الأنا والآخر، ليس بوصفها أمكنة مجرّدة وإنّما لأنها دوالّ ذاتُ محمولات ثقافية؛ ولأنّ

المكان بذاته معزولاً عن الإنسان يفتقر إلى الدلالة "وكلّ مكان مدانٌ ما لم تجرِ عليه خبرة الإنسان"[١٠]. ليس بالضرورة أن تكون الأماكن جميلة غنيّة حتّى يتعلّق بها البشر، وإنّما يجب أن تكون أليفة يجد فيها المرء نفسَه. ولعلّه من الصواب القول إنّ الأمكنة تبدو أليفة إذا لبّت طموحات الإنسان، كما أنه من الصواب القول إنّ الأمكنة هي جملة من القيم المادّيّة والروحيّة. إنّ حكايات الناس في مقاهي دمشق، كما يخبرنا السارد، تعرية وكشف للقيم من خلال الحديث عن الأعمال والمهن المرتبطة بالأمكنة التي تعكس بالضرورة تصوُّراً عن التأثير الحضاري في الإنسان. تحدّد الأمكنة ابتداءً هُويّة العمل الذي يعكس طبيعة الحياة ومنظومة القيم؛ ففي حين تكون الأعمال في الغرب إيجابية نسبياً، وتكشف عن قيم الحرية وتستحضر فضاءات معرفيّة في السياسة والعلم والتجارة، نعايش في الشرق فضاءات تشي في كثير من جوانبها بالسلبية والتناقض؛ إذْ ينصهر الموت والتهريب والتزوير والتدين في بوتقة واحدة. في الغرب حرية في التفكير واختيار العمل واحترامه مهما كان بسيطاً، وفي الشرق لجوء اضطراري إلى تجاور القيم المتناقضة. وفي موقع واحد يختزل السارد حياة المهاجرين إلى أماكن في الشرق والغرب، ففي طهران، مثلاً، "...قاطنو أحياء شعبيّة، ورجال دين، ومهربون ومقاتلون"، أمّا في السيدة زينب فـ"تجار عملة، وأصحاب مطاعم، وخدّام حسينيات وباعة ملابس ومزورو هويات وشهادات". وإذا ما انتقلنا إلى الآخر فنجد في سدني، مثلا، عمال نظافة وطلاب لغة ومفكرين، وفي لندن نجد سياسيين وشعراء وتجاراً، وسائقي أجرة وندّلا ومصحّحي جرائد[١١]. بيْدَ أنّ هذه المقارنة لا تعني نفيًا للأنا ودعوة لتبنّي الآخر، وإنّما تميل إلى الموضوعيّة وتقديم نظرة تحاول أن تتجرّد من الهوى؛ لأنّ السارد لا ينسى جمال الشرق وقيم مواطنيه، ويبدو ملتفتًا إلى الهمّ السياسيّ والعلميّ. ويكاد المكان الشرقيّ يبدو في الخطاب الروائي أظهرَ من نظيره الغربيّ، ومن الواضح أنّ الشرق، على وفق النصّ، مفعم بالجمال، وفيه من قيم التواصل والانصهار ما يسمو به إلى النبل: "كلّ واحد عليه أن يحسَّ نفسه فرداً من مجموع يشاركهم الفرح والحزن والتعب والراحة..."[١٢]، لكنّ قسوة الظروف السياسية والاقتصادية التي حاول السارد إخفاء بعض مظاهرها تدفع الكثيرين إلى مغادرة أوطانهم لتلبية رغبات لم يستطع

الجو السياسي والاقتصادي توفيرها لهم؛ لذلك فإن الهجرة لا تعني نفيًا للانتماء أو الألفة المكانية، وإنما تعني الهروب من ظروف تسحق إنسانية البشر، وتنتهي بهم إلى البحث عن مكان بديل يستحيل الوطن إزاءه مكانًا طارداً.

وعلى الرغم من أنّ البطل عاش عشْرَ سنوات في الدنمارك، وبدا مقتنعًا بالحياة الغربية التي وفّرت له الشعور بالإنسانية والتمتّع بالحريّة الفرديّة ضمن سياق ثقافي ذي خصوصيّة تُميّزه عن الوطن الأم، وعلى الرغم من نجاحه النسبيّ في تكوين أسرة، وانشغاله بمفردات الحياة الغربيّة، وتشرّبه كثيرًا من قيمها، وقبوله الآخر طبيعة وإنساناً على وفق قناعات يرتضيها- فإنّ الماضي المتمثّل بالعراق وسوريّة ظلّ يُلحّ على ذاكرته، ويقلق وعيه، بل ربما أخذ يزعزع موقفه تجاه الآخر. لقد ظنَّ البطل، ومن ورائه الكاتب، أن الزواج وتشكيل عائلة كفيلان بنسيان الماضي والانتماء إلى ثقافة جديدة، ولكن بدا من النصّ أنه كان واهمًا، لأنّ طبيعة التنشئة والتكوين الأول، وما تلا ذلك من هجرة إلى سوريّة اكتسب خلالها خبرات جديدة وخاض تجارب عاطفية واجتماعية- ظلّت تخترق وعيه ووجدانه؛ فأخفق انشغاله في الحياة الغربية في محو الذاكرة الأم: ذاكرة الطفولة والشباب، ذاكرة الوطن. وقد نمت هذه الذاكرة حتّى بدأت تطفو على السطح؛ ممّا خلق صراعا بدا داخليَاً بداية الأمر، ثمّ تضخّم شيئًا شيئًا حتى انفلت من قبضته وأخذ يهزّه بعنف ويحثّه على العودة إلى الجذور، أيْ أن يترك عائلته ويعود إلى الشرق. ويعترف البطل أنّ الدنمارك كادت تقضي على ذاكرته، وقد تقبّل الأمر في البداية وكأنه سنّة الحياة: "في مجتمع جديد عليك لا بدّ أنْ تتقبّل لغته وأشكال بشره، وطعوم فاكهته ولذّة نسائه"[١٣]، لكنّ فلسفته هذه لم تستطع إنقاذه من تسرُّبات الماضي، ولم تستطع الصمود أمام نداءات التكوين الأول الذي استحال" حيوانًا يمدُّ رأسه بين حين وآخر صارخاً في وجهه، طالباً طعامه الذي اعتاده...كان يرافقه كلّ تلك السنين، يظهر له في منامه على هيئة تنّين صغير أو ديناصور، لم يعد يرعبه. لا يريد أن يقرّ بهزيمته أمامه، قرّر أن يؤاخيه بدلاً من اتّخاذه عدوًّا"[١٤].

ويجب التأكيد ثانية على أنّ الهجرة إلى الغرب لا تُعدّ دليلاً على نُبْل الآخر أو قبولاً تامًّا لقيمه؛ ففي الوقت الذي يكون فيه الآخر ملاذًا للباحثين عن الحرية وطلب المعرفة والعمل، فإنّه لا يبدو نهايةَ المطافِ

أو مُنسجمًا مع طبيعة الشخصيّة الشرقيّة لما فيه من هيمنة للماديّة والتحلّل، وبقطع النظر عن الظروف الموضوعيّة التي تخلق قيم النفاق والزّيف في المجتمعات الشرقيّة، فإنّ الغرب يبدو، على الرغم من توفّر بعض المفردات الإيجابيّة، نموذجًا للعنصريّة؛ لذا فإنَّ الرواية لا تؤمن بوجه واحد للحضارات، فأيّة حضارة تتوفّر على الإيجابي والسلبي، ومن هنا أيضاً فإنّ المكان/ الأم يظلّ هاجساً يُلحُّ على المهاجر، ينتمي إليه في أعماقه. وصاحبنا في "موطن الأسرار" لم يستطع الانفكاك من سطوة الماضي. لعلّ ذلك كلّه يفسّر سرعة تغيّر البطل بعد عودته إلى دمشق، وكيف أنَّ امرأة (هيام) عبث معها ما لا يزيد على عشرة أيّام كادت تطمس ذاكرته في الغرب، وتجعله يقع في صراع مرير بين حياته في الدنمارك وتوقه إليها، هي التي تجسّد، فيما أرى، الوطن والمكان، وتعبّر عن قيمهما، ليس بالضرورة بسلوكها، وإنما بما تمثّله من ماضٍ، كما سنرى، لا يختلف كثيراً عن ماضي شخصيّة الروايّة الرئيسيّة. لقد استطاعت هذه العلاقة العابرة أن تهزَّ استقرار عشْر سنوات، تجتثّ أُلْفةَ البيت: عاداتِه، مشاريعَهُ من الأساس، تُلغي "تاتا"، زوجته البرازيليّة المقيمة في الدنمارك، كليّة من قلبه" بات مقتنعًا، خلال زمن قياسيّ أنّ "تاتا" والبنتين "سهير وميّ"، البيت، الحديقة... لم يعُدْ لها أيّ موقع في ذهنه، لم يعد ينتمي إليه أو يخصّه. تلك الأشياء ميراث شخص آخر ينتمي إلى زمن يمكن أن نسمّيَه زمن ما قبل دمشق..."[١٥].

وبقطع النظر عن شخصيّة "هيام"، فإنّ سلوك البطل وسرعة تغيّره لا يمكن أنْ يفسَّرا، من منظور فنّيّ، إلاّ من خلال جدلية الشرق والغرب من جهة، وثنائيّة الحُريّة والالتزام من جهة أخرى: كان للغرب تأثير لا ينكره البطل، بل وصل هذا التأثير، كما أسلفنا، إلى حدٍّ كاد يقضي على ذاكرته لولا القيم الراسخة القابعة في أعماق ذاته، وكان أحيانًا يعي ذلك، يعي أنَّ السنوات التي قضاها في الدنمارك لم تنسه مفردات الحياة الشرقية التي تطلّ برأسها بين الفينة والأخرى، وكان في علاقته مع "تاتا" يراوغ؛ فلم يخبرها بامتلائه بروح الشرق، بيدَ أنّ هذا الإخفاء وتلك المراوغة لا يعدوانِ أنْ يكونا وهمًا. إنَّ تكديس الثقافة الغربية بما فيها من عادات وتقاليد وقيمٍ للحريّة أوقعته في تناقض حادٍّ فيما يتعلّق بالالتزام، فإذا كان يدّعي أنّه ينعمُ بالفضاء المعرفي الغربيّ، ويحمل في أعماقه قيمًا شرقيّة، فإنّه لم يستطع المواءمة بين ما يعيشه

الآن وما هو مستقرّ في أعماقه. ولعلّ القارئ، إذا تذكّرنا مسألة الحرية والالتزام، لا يحار في إيجاد تفسير لرفضه رعايته ابنتيه وزوجته: كانت ابنتاه تطلبان منه سلوك الأب، تطلبانه الالتصاق بهما ومداعبتهما، ولكنه كان يرغب أن يعيش حياته بمتعة ومغامرة، واكتشاف مغزى وجوده[١٦]، رُبّما كان يُفترض به، بوصفه شرقيًّا، أنْ يُسهم في رعاية أسرته، ولكنه وجد في هذه الأسرة قيدًا يسلب منه حرّيته؛ فانحاز إلى الحريّة وتاق إلى التحلّل من الالتزام، ولعلّه، هنا، اضطرب في فهمه للحريّة وعلاقتها بالالتزام؛ فرأى أن الحرية تناقض الالتزام، وفهم الالتزام على أنه إلزام، وهو أمرٌ يُناقض مبدأ الالتزام الذي يشير إلى اتخاذ موقف من مفردات الحياة الإنسانية الاجتماعية والسياسية...ويعني حريّة الاختيار الواعية التي ترتبط بحرية التفكير وامتلاك الإرادة، كما أنّ الحريّة التي طالما سعى إليها لا تعني الحياد تجاه الحياة، وإنّما على العكس من ذلك؛ فالحرية اختيار مسؤول، وعلى الرغم من كون الإنسان حرّاً، فإنّه ليس حرّاً في ألاّ يختار، كما يرى الوجوديون وغيرهم.

إنّ التوق إلى الحرية والتحلّل من الالتزامات الأسريّة يعكس ماضيًا مفعمًا بالقمع والاستلاب ومصادرة الحريّة، فالبطل من ناحية ينعم بحريّة نسبية لا يعكّر صفوها إلاّ الالتزام أو على الأقلّ المشاركة الإيجابية في رعاية الأسرة، وهو من ناحية أخرى يمتلئ حنينًا إلى وطن سلبه نظامُه السياسيُّ حريّتَه. إنّ مطلبه، على ما يبدو، هو الحرية الفردية؛ لذا نراه يتمنّى أن ينام وحده" ولو شهرًا واحدًا، يأرق، غير محكوم بإيقاع شخص آخر يقاسمه الغطاء والمخدة ووقت النوم والاستيقاظ..."[١٧]، ويعترف البطل في موقع آخر أنه يريد حياة حرّة من القيود؛ فعندما عاد إلى دمشق، أراد أن يستمتع بها وحده، حرا من القيود، يتواصل معها بطريقة جديدة. وهنا يقابل بين الشرق والغرب بطريقة يتكشّف فيها الشرق من خلال الحديث عن الغرب؛ فالحرية المكتسبة من الغرب تؤشّر إلى مسكوت عنه، قوامه الافتقار إلى هذه الحرية في الشرق، وغياب الفردية، وهيمنة المجتمع الأبوي؛ إذْ يفكّر المرء ويسلك من خلال التكوين الجماعي، ويصبح المرء ذرّة من كُتل بشريّة تفتقر إلى وعْيٍ خاصٍّ وسلوك مُتميِّز، ويذكّرنا هذا المغزى بأقصوصة "قنديل أمّ هاشم" ليحيى حقّي؛ إذْ يعيش "إسماعيل"، بطل الأقصوصة، في المرحلة الأولى من حياته، أي عندما كان في مصر، جزءا من الجماعة،

يفتقر إلى الحريّة والشخصيّة المتفرّدة، ينقاد إلى القيم والعادات ويتمثلها جملة واحدة، ولا يخرج عن محدّداتها، فهو نموذج للممتصّ للقيم الجماعية دونما وعي لخطورة هذا الامتصاص؛ ولذلك كان سقوطه مُدوّيًا عند أول لقاء له مع الغرب (بريطانيا)، ولم تستطع ثقافته التي امتلأ بها أنْ تحمِيَهُ من الآخر. ويرى بوشوشة بن جمعة أنَّ "إسماعيل" لم يكن استثناءً في هذه التجربة، بل شاركه "جلّ المثقّفين الذين كابدوا تجربة الغربة والضياع واحترقوا بسؤال الهُوّية من خلال بحثهم عن مقوّمات ذاتهم الحضاريّة، فإمّا أن يتداعى هيكل المثقّف الروحيّ ويتلاشى، وإمّا أن يصمد أمام ضربات معاول الحضارة الغربيّة، وكان من نتائج هذه المحنة التي عاناها إسماعيل أنْ استيقظ يومًا فإذا روحه خراب...بدا له الدين خرافة "..."[18]. وعلى الرغم من صدمة الحضارة هذه فإنّ إسماعيل استطاع أن يشكّل رأيًا توفيقيًا موضوعيًّا من الغرب ملخصّه على وفق تعبير السارد الناقل في عمل حقّي: "لا علم بلا إيمان"[19]. ولعلّ الفرق بين "اسماعيل" وبطل "موطن الأسرار" يكمن في أن الأخير ورغم إمتلائه بقيم الشرق وعاداته وتقاليده- كان على وعي مسبق بخصوصية الغرب وانفتاحه وتقدّمه العلمي، فضلاً عن أنه كان يبحث عن الحرية الفردية، والهروب المقصود من ظروف التّعسّف والاستلاب؛ ممّا حماه من السقوط في حضن الآخر؛ لأن الرواية لا تُبدي شيئًا من الخوف من المجتمع الغربيّ أو الرعب من صدمة الحضارة، بل بدا بطل الرواية واثقًا من نفسه قادراً على التمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبيّ، قدّر قيمة الآخر بعلمه وتقدّمه التكنولوجيّ وبعض مسالكه، ولكنّ الوطن لم يغِبْ عن عقله ووجدانه على الرغم من الظروف القاسية التي عاشها في العراق، ولعلّ الوطن البديل الذي اشتاق إليه وتمسّك به هو سورية، ومردّ ذلك قربها من العراق وتشابه الثقافة في البلدين كليهما.

وثمّة مسألة أخرى تتمثّل في قبوله الاندماج في ثقافته القومية والوطنية على حساب حريّته الفردية التي تشبّع بها في الغرب، ويأتي هذا الاندماج في نهايات الأحداث؛ ليشير إلى تحوّل في حياة الشخصيّة على الرغم من التناقض الذي يحمله هذا التحوّل. ولعلّه من باب التكرار القول إنّ التناقضات التي شكّلت تكوينه الأول تُعدّ مسؤولة عما يمكن أن يعدّ اضطراباً وقع فيه، مع أن هذه التناقضات ظلّت مستترة في الأعماق لا يوقظها ولا

يستثيرها إلاّ بعض مفردات الحياة الغربية بمقارنتها مع ما يناظرها في الشرق، ولا سيَّما ما يتعلّق بعلاقته مع المرأة التي تستدعي هي أيضاً صورة المرأة الشرقية، وخلاف ذلك صحيح؛ إذْ قلما نظفر بوحدة سردية صغرى إلاّ ونجد فيها ارتباطا بين "هيام"، مثلاً، و"تاتا"؛ لأنّ المرأة ظلّت تشكّل له هاجسًا، كما سنرى، وعلى الرغم من السعادة النسبية التي كان يشعر بها في علاقته مع "تاتا"، فإنه تقصّد اصطناع ما يسوّغ له الانفلات من التزاماته الزوجية كاللغة والدفء...، ويفصح عن ذلك قول السارد: "كان يحسّ بجاذبية غير طبيعية إلى امرأة تتكلّم لغته، لم يعد يتذكّر مذاقها ولا حرارتها ولا دفئها، أصبح ذلك ذكرى بعيدة، ذكرى كثيراً ما ترد إليه حين يضاجع تاتا، يتخيّل امرأة غيرها، امرأة تنطق بلغته الداعرة المتحسّرة المتأوّهة"[٢٠]. إنّ البطل هنا يبدو منشدًّا بلا وعي إلى ثقافة أبوية ذكورية طالما رفضها وسبّبت له قلقًا: وجد في الغرب بعض ما يحلم به، ولكنه لم يستطع الانعتاق من هيمنة الأنا؛ ممّا أوقعه في الاضطراب والتشتّت، كأنه يُغيّب أهدافه ويخفق في رسم خطٍّ واضح لحياته، فلم يكن قادرًا في هذه المرحلة المتأرجحة بين "تاتا" وهيام، بوصفهما رمزين حضاريين، على المُضيّ قدمًا في مسايرة الآخر، ولم يُفلح في الآن نفسه في القبول المطلق بكلّ مفردات ثقافته الأم. ومن الحقّ القول: إنّه كان ميّالاً إلى هذه الثقافة، ولكنّه يرغب في أن تكون هذه الثقافة على وفق معايير يرتضيها هو؛ محبّ للحريّة بيْدَ أنه يأبى مادّية الغرب والصقيع والبرودة التي تغلف هذه الحرية، ويبرز في أثناء ذلك حرارة الشرق ودفؤه، يقول السارد: "لم يُعره أحد اهتمامًا على الرغم من مظهره الدالّ بوضوح على أنه قادم من بلد بعيد بارد وخال من الشمس، هادئ كالمقبرة، أخضر كورقة فجل، لناسه شقرة كشقرة التمور المشويّة بالشمس التموزيّة"[٢١]. وهو بذلك يقدّم تصوّرًا خاصًّا للغرب: يمدحه لتقدّمه مرّة، ويهجوه بتأنيثه مرّة أخرى. وبقطع النظر عن الواقع الموضوعيّ، فإنّ البطل يحاول أن ينحوَ منحىً توفيقيًّا في نظرته إلى إشكاليّة اللقاء الحضاريّ!.

ويوظّف الكاتب تقنية الاسترجاع الخارجي لجلاء هذه المسألة التي تكتظّ بالمتناقضات: فبعد عودة البطل إلى دمشق يبحث عن صديق له كان يجالسه قبل سفره إلى الدنمارك، ولم يعثر عليه في البداية، ويستثمر هذا الاسترجاع في الحديث عن جمال دمشق من المطار إلى قاسيون إلى

الغوطة، ويستذكر أيام كان يشارك الآخرين في قطاف التفاح والمشمش والفواكه في المزارع المحيطة بدمشق: "يذهبون إلى الشوارع الفارغة ثمّ تشرق عليهم الشمس في المزارع"(٢٢)، وفي ذلك الوقت (الماضي) كان يرى في كل ذلك باعثًا على الضجر والتعب؛ ولعلّ ذلك ما حدا به آنذاك إلى أن يسعى إلى الحرية، وينطلق ليكون "حمامة يطير إلى البلدان القصيّة باحثًا عن حياة أخرى أقلّ عناءً، ويتخيّل نفسه في جزيرة لا يعرف لغة سكّانها ولا يعرفه أحد، ولا تربطه علاقة قرابة أو صداقة بأحد"(٢٣)، وربما تحقق بعض حلمه في البداية، ولكنه وجد - بعد أن عايش حياة الغرب- أن ما عدّه مضجرًا متعبًا كان "شاعريًّا وجميلاً". ما كان يمكن أن تبدو دمشق بهذا السحر والجمال وبهذه الشاعرية الآن لولا هواجس الغربة والانقطاع عن الوطن، كما تشير الرواية في مواقع عدّة، ولولا تطوّر ونموّ واضحين في حياة البطل الذي خضع لظروف متنوعة في الغرب، وتعزى هذه النظرة التي شكّلها لدمشق إلى هاجس المقارنة، فلم يجد هذا السحر والجمال عندما تحقّقت أمنيته في السفر؛ إن التطور الذي خضع له البطل جعل منه شخصيّة غنيّة بأبعادها النفسية والمعرفية، قادرة على اتخاذ موقف نقدي يتّضح جليّاً عند الانتهاء من قراءة الرواية، ومهما يكن فهو لم يرفض الغرب بكل أبعاده، كما أنّه لم يقبل الوطن بكلّ مفرداته ولا سيّما السياسية منها، رفض في الغرب ضعف الوازع الديني وغلبة الرأسمالية -على الرغم من أن السرد لا يشير إلى ممارسات دينية للبطل بقدر ما يشير إلى أحاسيس ومشاعر لا تعكس بالضرورة سلوك البطل. وفي مسألة الدين يلمح السارد إلى تأثر البطل بالمظاهر الدينية بقوله: "راودته مشاعر خليطة من البهجة والتذكّر والرعشة حين سماع صوت مؤذن جامع إبراهيم الخليل عند الفجر. عادت إليه أنواع الأذان التي مرت على أسماعه في جوامع بغداد والسليمانية والبصرة... وقرى كردستان وبندر عباس وطهران وحمص ودمشق"(٢٤). ويأتي هذا المقطع في موقع السرد الحالي مرتبطًا بتذكّر "تاتا" وابنتيه. إنّ هذه النظرة إلى الدين لا تقدِّم لنا شخصية متدينة بمقدار ما تقدم لنا شخصية مقيّدة بشروط ماض قديم يعود إلى التنشئة الأولى، وكما أن الماضي العسير يستيقظ في نفسه ويهزّه، كان الماضي المرتبط بالمنحى الروحيّ يطلّ عليه أحيانًا دون أن يكون له جليل أثر في تشكيل وعيه وسلوكه الحاضر.

إنّ التنازع في النظرة إلى الأنا والآخر يتمثّل في أن البطل كان يرفض في الشرق القيود والعناء والمسؤولية، ويصطدم في الغرب، حسب النص، بالإشكالية نفسها: المسؤولية والقيود الأسرية، فكيف ينسجمان؟ مجتمع شرقي يحترم الحياة الأسرية والتواصل الاجتماعي، ومجتمع غربي لا يقيم وزنا ذا بال لهذه المسائل كما هو مستقرّ في الوعي الشرقي عامة، وفي السياق الروائي الذي عالج جدلية اللقاء الحضاري خاصّة. يبدو أن الرواية تقدّم بناء مضادًّا من خلال قلب المعادلة: فالغرب يبدو، من خلال مطلب زوجته وابنتيه، ساعيًا إلى حياة عائلية مستقرّة، بينما يبدو الشرق، من خلال علاقة البطل بـ"هيام" التي بدت منحرفة منزاحة عن المتواضَع الاجتماعيّ، نموذجا للتحلل وغياب الحياة الأسرية الصحيّة! ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنّ الخطاب الروائي لم يترك هذه المسألة دونما تعليل سردي، وإنما روى لنا أحداثا تتعلّق بطفولة "هيام"، وما مر بها من ظروف قاسية أفضت بها إلى الانحراف، كما سنرى.

إنّ الإشكاليّة هنا تتعلّق ببطل الرواية من حيث تشكّل الالتباس في موقفه تجاه الأنا والآخر، وهذه مسألة تقودنا إلى أحد إيقاعات الرواية التي أشرنا إليها سابقًا، فهل يرغب البطل في الحريّة المطلقة، ليطيح بالمسؤولية؟ هل اكتشف خطأه سواء أكان ذلك في دمشق أم في كوبنهاجن؛ أي هل اكتشف أنّ الحريّة التزام بقطع النظر عن المكان؟ وهل وجد أنّ ما ظنّه شقاءً في دمشق قبل سفره ما هو إلاّ سحر وجمال، وهل اكتشف أنّ هروبه إلى الغرب لم يكن علاجاً ناجعاً لحلّ مشكلاته؟! أرى أن الإجابة عن هذه الأسئلة، زيادة على ما قلنا، تتلخّص في أن البطل ظلّ أسير ماضيه الذي هرب منه، فلم يستوعب مفهوم الحرية المسؤولة؛ لأنه ببساطة لم يعايش هذه الحرية في وطنه العراق، ولتعطّشه للحريَّة غلّبها على الالتزام والمسؤولية. وعند عودته الأخيرة إلى دمشق وإلتصاقه بـ"هيام" -وإن أخفق في إقامة علاقة سليمة معها- أدرك أنه يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة، ورُبّما يستطيع أنْ يوفّق بين المستقرّات الموروثة والمتغيّرات المكتسبة، بين ما ظلّ يشكّل له قلقًا في وطنه وفي أثناء حياته في دمشق- وما عاشه في الغرب، بين الأنا والآخر على نحوٍ يلتقي في النهاية -مع اختلاف المعالجة- بكثير من الروايات العربية كـ"قنديل أم هاشم" لحقّي، و"الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، و"قلب على سفر" ليوسف عزّ الدين، وغيرها. وفي هذا

السياق يجب التأكيد على أنه لم يقبل الغرب قبولاً كاملاً كما هو الحال في "أديب" لطه حسين، ولم يرفض الغرب رفضًا مطلقًا كما هو الحال في "عصفور من الشرق" أو "جسر الشيطان".

إنّ القراءة المتأنيّة تثبت أن البطل متأرجح بين عالمين يحاول التوفيق بينهما، عالمٍ غربيّ رغب هو أن يغادره، وعالمٍ شرقيّ لم يستطع أن يؤمّن له أبسط حقوقه، على الرغم من عشقه له، وإذا أردنا التحديد فيمكن القول: إنّ العراق لم يحمِ البطل فلجأ إلى الغرب، وفي الوقت نفسه لم يستطع البطل أن يجعل الغرب وطنًا له، فاختار شرقاً يتمثّل بدمشق التي فضّل أن تحتضنه مرّتين، الأولى عند هروبه من العراق أثناء حرب الخليج الأولى، والثانية عندما قرّر مغادرة الغرب. وبالنسبة للغرب لا نجد ما يشير إلى أنه كان يعيش حياة صعبة غير مستقرة، بل على العكس من ذلك يلاحظ أنّه وجد حياة رغدة كريمة، ويبدو أنه كان محاطًا ببيئة طبيعة وإنسانية نبيلة آمنة أسعفته على التفاعل مع الآخر والانخراط في حياة زوجية دافئة لم يعكّر صفوها إلاّ ما ذكرناه عن روتين الحياة والالتزام، وإلاّ نظرة غربية مسبقة للشرقي تنعته بالتخلّف. وهذا لا يعني أنّ السّرد يقدّس الغرب أو يصوّره خاليًا من العيوب. إنّ ما نراه في وصف المجتمعات الغربية والعربية يظلّ أمراً نسبياً، فليس الغرب جنة، وليس الشرق كذلك, وإذا كان السّرد قد أعطى مسوّغات سردية للهروب من الشرق، فإنه أشار إلى بعض السمات المنفّرة من الغرب كغلبة المادية والعنصرية والأنانية وهيمنة الروح الفردية والروتين وشيوع قيم التحلل والانحراف الأخلاقي والإدمان على المخدّرات...ومن الغريب أن رصد هذه المظاهر السلبية جاء بعضه على وفق تصوّر "تاتا"، وجاء الآخر استنادًا إلى تصوّر البطل وتجربته، فـ"تاتا" "تخاف من المدمنين والعاهرات والأجانب المتاجرين بالمخدّرات، تسمّي ذلك كله وباء (المحطة)، أما هو فيرى الدنمارك من خلال الأجانب والمواطنين، مُسْقِطًا، أحيانًا، بعض مسالك المهاجرين على الغرب: "البشر لاجئون شتّتهم حروب ومغامرات ومؤامرات، ومهجّرون ذوو إثباتات غير أكيدة،... ومحتسون لكؤوس خمرة تهزّ مزاجهم المرتكس إلى حزن أصمّ. في المقهى أيضًا متصيّدو نساء ومخبرون بثياب مدنية ومدمنو مخدّرات..."[٢٥]، وفي موضع آخر يتخذ الخطاب شكل الهجاء اللاذع: "...كلّ ذلك

كي ينام. يؤخر، يومًا آخر، القرارَ المصيريَّ في البقاء أو الرحيل من هذه المدينة الملعونة الباردة الفجّة البذيئة الجنسية المخصية الحاوية على مقابر للغرباء والمشردين من أمثاله"[٢٦].

من الصواب التأكيد على أن الغرب لبّى بعض الطموحات لدى البطل، ولكنّه لم يشكّل له مكانا أليفا. ويدعم ذلك أن البطل عند زيارته دمشق عايش فضاءات حيّة لا تموت، ارتشف الحياة الجديدة (القديمة) مثل عطِش، وكل ذلك يعود إلى ألفة المكان التي لم يستطع الغرب تأمينها له، ولعلّه بذلك يردّد مقولةً شهيرة: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. إنّ هذه المنغّصات في الغرب حدت بالبطل إلى الابتعاد على مضض عن زوجته وابنتيه، ولعلّ هذا الابتعاد يشكّل أحد أوجه استعادة الجذور، واستعادة ألفة ذات شكل مختلف لم يجد مثلها في عوالم الشمال الباردة المظلمة: "لم يتصوّر وصوله إلى الوضع الذي هو فيه، عليه أنْ يختار ما بين مدينتين، ما بين بَرَدَى وبحر البلطيق"[٢٧]، ومرّة أخرى يرى البطل أن التواصل مع الأنا يُعدّ ولادة جديدة من نمط آخر: الجسد يتسع والروح تخفّ [٢٨].

وعلى الرغم من هذه التجاذبات والتناقضات التي تعود إلى أسباب نفسية وفوارق حضارية، فإن الرؤية الكليّة في الرواية، من زاوية التعبير عن اللقاء الحضاري، تنحو منحى الموضوعية والمصالحة والتوفيق، والإيمان بأنّ لكل مجتمع خصوصيّته التي تجذب في بعض سماتها وتطرد في بعضها الآخر. وهذا يرتبط بالضرورة بالتكوين الثقافي واتساع الأفق والارتباط بالتجارب الماضية وما طرأ عليها من تحولات من خلال الاتصال بالآخر. وإذا كنا أشرنا إلى إيجابيات العلم (في الغرب) وجاذبية المكان وألفته (في الشرق)، فإنّ النظرة الشمولية لا تخلو من إدانة للعالمين كليهما؛ مما يؤشّر إلى أنّ القيم الإنسانية لا تبدو قارّة مطلقة، وإنما تبدو الأمور نسبية، وفضلا عن ذلك فالحديث عن الإباحية والصقيع والحرية الواسعة (الغرب) يستدعي (في الشرق) حديثاً مفعما بالمفارقات التي تدينه بمقدار ما تشيد به؛ إذْ يجاور السارد بين الدين والدعارة، كما يحتفي بألفة المكان الشرقي وما يتصل به من قيم احتفاء يجعلنا ننتهي إلى القول: إنّ البطل والسارد ومن ورائهما الكاتب ينحازون إلى الأنا العربية الشرقية، دون نفي للآخر.

٢- الغرب والشرق، تجنيس العلاقات والدّلالة المُضادّة:

أ- يصلح المنحى الجنسي من خلال كشف طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة أنْ يكون مدخلاً آخر لتحليل إشكاليّة اللقاء الحضاريّ من جهة، والكشف عن ثنائية الذات والموضوع في النظرة إلى المرأة من جهة أخرى. وهي مسألة التقت فيها "موطن الأسرار" مع نظيراتها العربية من زاوية، وفارقتها من زاوية ثانية. وقبل الإشارة إلى مواطن الالتقاء والاختلاف هذه، تجدر الإشارة أيضًا إلى أنّ "مفهوم الرجولة والأنوثة (مفهوم موجّه) لا للعلاقات بين الرجل والمرأة فحسب، بل أيضًا للعلاقات بين الإنسان والعالم"[٢٩] على وفق ما يرى جورج طرابيشي؛ إذْ إنّ الرجولة والأنوثة ارتبطت إلى حدّ بعيد ببعدين، الأول: ينطلق من أنّ هذه الثنائية التي وُلدت في حضن حضارة أبويّة تفترض أنْ علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة اضطهاد وسيطرة، والثاني: ينطلق من أنّ تلك العلاقة تتجاوز حدود الجنس، لتنصرف إلى تحديد العلاقة بين الإنسان والعالم، لتكون علاقة اضطهاد وسيطرة، ولا سيّما مع العالم الاستعماري الذي جعل الأمم المسْتَعْمَرة، بفعل عملية المثاقفة، تحسّ بدونيتها "المؤنثة" إزاء "رجولة" ثقافة الغرب و"فحولتها"؛ مما يدفع بالمستعمَر إلى الدفاع الذي يقلب المعادلة فيستعيد المستعمَر رجولَته، ويؤنّث الآخر الاستعماري. ومن هنا نلاحظ أنّ الشخصيات الشرقية المحورية في الأعمال التي كتبها روائيون يجب أن تكون من الرجال، وأن جلَّ الشخصيّات من الطرف الآخر تكون من النساء، وبهذا يحقّق الروائي "تجنيس عملية المثاقفة، ويقبل لا شعوريا على الأقل، بأن يقيم علاقة تساوٍ وتماهٍ بين الثقافة والرجولة، وكلّ ما هنالك أنه يعكس المعادلة: فما دامت الثقافة رجولة، فإنّ الرجولة أيضًا ثقافة، أو بالأحرى الذكورة"[٣٠].

إنّ تشكّل العلاقة بين الرجل والمرأة وما يرتبط بذلك من ممارسات في رواية "موطن الأسرار" يعكس بعدين: بُعْداً حرفيّاً يُحلّل العلاقة بين الجنسين على وفق السياقات الاجتماعية ومنظومات القيم والعادات والتقاليد، وبُعْداً رمزيّاً يشير إلى العلاقة بين الأنا والآخر. وتحاول الفقرات التالية الإجابة عن أسئلة تدور حول تصوّر المرأة الغربية للشرق، والمرأة الشرقية للغرب من حيث القيم والرؤى العامّة، كما تدور حول ردود الأفعال، ورؤية الرجل الشرقي نفسه في تعامله مع الآخر/ المرأة، والأنا/

الرجل والمرأة، وزيادة على ذلك تناقش هذه الفقرات وضع المرأة العربية بمقارنتها مع نظيرتها الغربية من زاوية كونها "ناظرة" أو "منظوراً إليها" "ذاتًا" أو "موضوعًا" – من خلال التحديق في شخصيّي "هيام" و"تاتا" جسديّاً ونفسيّاً.

وقبل المضيّ في تحليل التفاعل الحضاريّ من خلال المنظور الجنسي الذي توليه الرواية اهتمامًا لافتًا، ينبغي الالتفات إلى أنّ النظرة الكلية للشرق، بمعزل عن رؤية المرأة الغربية، تبدو أسيرة الأفكار المسبقة التي غذّاها الاستشراق، وعزّزها تخلُّف العالم العربي، فهي نظرة سلبية إلى حدٍّ كبير قد تُفضي في كثير من الأحيان إلى اهتزاز نظرة الشرقيّ إلى المنجزات العلمية الغربية؛ فيتغيّر لذلك وعيه وسلوكه تجاه الآخر وتنقلب نظرته إلى سلبيّة متناقضة؛ تجعل العربيّ منحازًا إلى الشرق متجاوزاً إيجابيات الآخر الغربيّ.

تبدو صورة العربيّ عند الآخر موضع هجاء وسخرية، فالعرب يبدون، من منظور غربيّ، لصوصاً مهرّبين أفّاقين، هاجسهم الأكبر الجنس: ينكحون نساءهم، ويأخذون نقودهم، ويشوّهون نسلهم الأشقر "بسحناتهم السمراء المحروقة في صحاريهم المكتظّة بالجِمال وبيوت الشَّعَرِ وبنات آوى والنفط. لا غرابة أن تشبه سحناتهم النفط"[٣١]، وترتبط هذه النظرة للعرب في ذاكرة الغرب، بشكل عامّ، كما يرى عبد الرحمن منيف من خلال الاستشراق "بانحيازه وأهوائه وقراءاته الوحيدة الجانب، وأيضاً بكمٍّ وافر من العداء وتناقض المصالح. هذا في إطار التاريخ والعلاقة بين حضارتين وثقافتين، أمّا الصورة الرّاهنة فقد أبدع النِّفط في رسمها وتقديمها، فنحن... مجموعة من الشيوخ الأثرياء الكسالى الشَّبِقينَ والقساة القلوب، وُجدنا بالصدفة، ثروة هائلة، تحت أقدامنا، النفط، هذه المادة التي تهمّ العالم كلَّهُ لا يمكن تركها في أيدي هؤلاء الجشعين الخدّاعين، وبالتالي لا بدّ من تحريرها"[٣٢].

وإذا التفتنا إلى بعض محطّات حياة بطل الرواية في الدنمارك، فسنرى أنه كان يعاني، أحياناً، من الغربة، لأنّ الآخر أسهم في تعزيز هذه الغربة من خلال أقواله وأفعاله، كان يريد (في بدايات لجوئه) أن يندمج اندماجًا كاملاً في الحياة الغربية، أن يمارس ما يمارسون، لكنه كان يخاف أهل البلد، لأنه أجنبي لا يحقّ له أن يعيش حياتهم، وكانت "تاتا"، على النقيض منه، تؤمن أنها تمتلك نفس الحق الذي يمتلكونه طالما أنها تعيش هنا وتعمل وتقيم بصورة

دائمة، ولكنه كان يتردد كثيرا قبل أن يقوم بما يقوم به الدنماركي العادي: "يودّ أن يتواصل مع امرأة تقضي معه بقية هذه الليلة، لكنه خائف، خائف من لونه. خائف من وجوده المفتعل في أرض الجليد..."[٣٣]. ويعلل عبدالرحمن منيف في سياق مختلف مشاعر الغربة لدى العربي بكونه "يعتبر إقامته فيه (الغرب) إقامة مؤقتة، كما يعتبره الآخرون، مواطنو البلد، زائداً وثقيلاً... وبالتالي لا مبرر لوجوده أو لاستمراره، ولأنه موجود فهو ضدّ رغباتهم، وفوق طاقة احتمالهم؛ ولذلك فإنه يلغون وجوده"[٣٤]، وهذا ما عبّر عنه البطل عندما كان يُسأل من قبل أهل الدنمارك: "ماذا تفعل هنا؟ فيردّ ببرود: لا أدري"[٣٥].

وقد وجدنا البطل يعيب على الغربيين ماديتهم وروتينهم الذي يجعله يختنق من النظام والقوانين التي تضبط حياته: "كساعة سويسرية. أو ربما شعر أن هذا الروتين حادّ التنظيم يحوله إلى آلة تقدَّر بقدر ما يبذله من ساعات عمل"، ولا ينفكّ يشير إلى شعوره بالغربة بين الفينة والأخرى إلى حدٍّ شعر فيه أنّ ابنتيه لا تنتميان إليه، وأنهما نتاج حضارة أخرى[٣٦]. وعلى الرغم من كل ذلك فإنّ بطل الرواية عاش حياة رغدة إلى حدٍّ ما، كما أشرنا سابقا؛ لأنه كان يبحث عن مكان يكون بديلا لفقدانه وطنه! وعودة إلى نظرة الغرب إلى العرب، فيمكن القول إن هذا التصوّر العامّ أفضى إلى اهتزاز نظرة العربي إلى الآخر، فتغيّر سلوكه وانقلبت نظرته إلى سلبية انتهت به إلى الانحياز المسوّغ إلى عالمه الشرقي، دون أن يعني ذلك، كما قلنا، غياب رؤية المصالحة.

وإذا ما عدنا إلى تصور المرأة الغربية للرجل الشرقيّ نجده تصوّراً مسبقاً أيضاً متشكّلا من مقروء المرأة، فالعربيّ يبدو شيخاً عربيّاً أو شبحاً خارجاً من بطون السير الشعبية كقصص ألف ليلة وليلة أو حكايات ملبا طحان السعودي الذي هاجر إلى البرازيل مطلع القرن العشرين، وترجم عمله إلى البرتغالية، وحكاياته لما تزل تفرض سحرها على بيوتات البرازيل الأرستقراطية[٣٧]. ونجد صورة العربي من خلال الموروث الذي جسّده المخيال الشعبي محاطا بالغموض والمغامرات والفروسية والنساء- تحتلّ مساحة كبيرة في ذهن المرأة الغربية. وإذا أخذنا هذه المسألة بعين الاعتبار، فإنّ سلوك البطل/ الرجل يحاول الانسجام مع هذه الأفكار ويدعمها؛ فقد ارتبطت حكايات شهرزاد في كثير من جوانبها بالجنس وسحر الرجل، والحديث

عن الجواري والنساء الجريئات، أو اللائي ينتظرن الحماية من الرجل ويقدرنَ هيمنته؛ ومن هنا يمكن تفسير إمعان السارد في الحديث عن فحولة البطل، وكيف استطاع أن يستحوِذ على جسد هذه البرازيلية وروحها. وإذا تجاوزنا كون "تاتا" برازيلية أعجبت بالبطل بوصفها شبيهة بالشرقيات- تعشق جسده و"تعدّه إلهًا للذة والجنس"(٣٨)، فإنها تظلّ تشكّل رمزاً غربيًّاً للقاء الحضاريّ.

ويتراءى لي أنّ وصفها على هذا النحو فيه إسقاط مخلّ لرؤية مضطربة على المرأة الغربية، بمعنى أنّ السارد، ومن ورائه المؤلّف، لم يوفقا في فهم شخصية المرأة الغربية؛ أعادها السرد، إلى حدٍّ ملموس، إلى عصر الحريم منقادة مستلبة من خلال الفحولة وهيمنة الرجل الفذّة، ويُسْرفُ السرد في وصف أنوثة المرأة والإشادة برجولة الشرقيّ بشكل يخرج عن المألوف. والكاتب هنا يجعل المرأة الغربية تتمتّع بصفات المرأة الشرقية، والشرقيّة تمتّع بصفات المرأة الغربية، كما سنرى في سيرة "هيام" المنطلقة المتحرّرة المنزاحة عن المستقرّات الاجتماعية. وبقطع النظر عن البعد الرمزي لهذا التوصيف، فإنَّ القارئ يمكن أن يشكّك في التصور الذي قدّمه السرد للمرأة الغربية بوصفها مستلبة الرؤية والإرادة، عابدة للجسد؛ لأنّ هذا التصوّر مقترن، كما يعترف النصّ صراحة، "بذاكرة كوّنها (البطل) وهو في العراق عن البرازيل، الألوان الخلاسية، والقهوة البرازيلية، روايات جورج أمادو (...) تاتا مخيّلة ممزوجة بالسحر والغموض والمغامرة، الجزء الآخر من روحه، المتواثب، النزق، الباحث عن الجلال والتشرّد والحبّ والآفاق غير المرتادة..."(٣٩)، أحبّ "تاتا" وتزوّجها لحبّها لجسده وخدمتها له، ولكنّ هذا الحبّ والتقدير قُدّم على الطريقة الشرقية إذا جاز التعبير؛ ولذلك فإنّ "تاتا" من زاوية مقابلة تعدُّ قيدًا من القيود التي حاول التحرّر منها؛ لأنها تحمل كثيرًا من سمات الشرق في تعلقها الفريد به، ورؤيتها للحياة الزوجية: "إذْ تعتقد أنَّ الزواج ينبغي أن يكون رابطة أبدية، والحبّ ينبغي أن لا ينتهي، مهما تغيّرت الظروف وتباينت أمزجة الزوجين، ما قبل خمس سنوات يظلّ ساريًا إلى آخر لحظة. عليه أن يتقبّلها كما هي دائمًا، سواء كانت سيئة أو جيدة، غاضبة أو مسالمة، قبيحة أو جميلة..."(٤٠)، وينطبق الأمر عليه هو الذي فرّ من القيود؛ أسوق الحديث عن شكل العلاقة بينهما، والشكل الشرقي الغالب على "تاتا" لكي

أمهّد لحديث مقتضب عن "شوفينيّة" بطل الرواية الذي اتخذ من الجسد وسيلة للهيمنة على الآخر وانتزاع شخصيّته؛ لأنه الرجل/ الذكر، ولأنها الأنثى التي اكتشفت جسدها من خلاله، ولعلّ هذا المنطلق لا يستقيم مع الواقع الموضوعيّ، ولعلّ السارد مهووس بإسقاط الشرقي على الغربي.

ومهما يكن فإنّ السارد يستغرق في الحديث عن سمات البطل الجسدية، ويمعن في التقريرية والمباشرة لكي يقدم صورة نمطية للرجل الشرقي نقرأها في كثير من الروايات العربية كأقصوصة "السيّدة فيينا" ليوسف إدريس على سبيل المثال. بيد أن هذه الصورة تأتي في "موطن الأسرار" سافرة مكشوفة تعكس كبتًا جنسيًّا عند الرجل الشرقي أكثر مما تعكس، في الحقيقة، تشوّقًا من المرأة الغربية للرجل الشرقي. والسرد يقدّم هنا إدراك الكاتب أكثر مما يقدّم إدراكًا لشخصية فنية مصاغة في عمل روائيّ؛ ممّا يؤيّد الميل إلى أنّ العمل الذي بين أيدينا يقترب كثيراً من كونه سيرة ذاتيّة روائيّة، كما سنرى.

يُقدَّمُ البطل شخصيّةً متفرّدة ذات خصوصيّة جسدية وروحية، ليس بالمعنى الديني، تُجبر الجنس الآخر على الانجذاب والتوجّه نحوه! يبدو في النصّ متأهبًا: "صدره مندفع إلى الأمام، عيناه حادّتان، رغم صغرهما، فقالت (تاتا) لنفسها: هذا هو الرجل الذي أبحث عنه"، وفي مناسبة أخرى رأت في رفعة كتفيه انتشاءً غير طبيعيّ بالحياة: "يشبه انتشاء نَمِرٍ متحفّزٍ سينقض على طريدته، وتلك مواصفات تعجبها في الرجل..."، إضافة إلى الجبهة المرتفعة الدالة على شخصية متكبرة، تحترم نفسها، عزيزة الروح، عنيدة...أحبّت فيه وضوحه، خاصّة في مجال العواطف، إنّه يعبر عن أحاسيسه بفعل يرجّ ذهن المرأة. ويستغرق السرد في الإعلاء من شأن الشخصية واعتدادها بذكورتها إلى حدٍّ لا نرى معه شخصية المرأة، فالمرأة هي المطلوبة، هي الموضوع الذي يقع عليه الفعل، ولم تُعْطَ في خضمّ هذه الشوفينية مساحة ذات بال للتعبير عن رأيها، يُغيّب صوتها إلى حدٍّ لافت، تبدو فيه شيئًا مهمّشًا يقتصر دوره على ردة الفعل التي تعلي من شأن الرجولة وتدعمها. ويستمر السرد في تحليل شكل العلاقة بين البطل و"تاتا" على هذا النحو؛ فالبطل يبدو أنموذجًا للرجولة، فذًّا في التعامل مع جسد المرأة، إلى حدٍّ يبعث الجنون في هذا الجسد "جنون النشوة المطلقة التي لم تبلغْه مع أيٍّ رجل قبله..."، إلى أن يقول، والحديث للسارد العليم: "لم يعد يمثّل

الذكر الذي تعرفه النساء، بل الرجل بكلّ أبعاده، جعلها تُحبّ جسدها، تحترم تفاصيله، أشعرها بأهمية كل زاوية من زواياه، ثمّ يسرف السارد في الحديث عن الانتشاء والمتعة والألم واللذة -بطريقة غريبة تجعل القارئ يحسّ أنّ الوصف إنّما جيء به للإثارة، وإن كان يحمل دلالات رمزية- إلى أن يوصلها إلى قناعة قِوامها، على عهدة السارد الناقل، أنها تخاف أنْ تفقده: "بعد أن وجدته، وجدت تلك الجوهرة التي قضت عمرها في البحث عنها، وكانت تقول له:... إنها لن تلقيها من يديها، ليست على هذه الدرجة من السذاجة كي تستبدل جوهرتها بالذهب...معه تخلصت من كثير من الأوهام، جعلها أكثر واقعية في التعامل مع الأشياء والحياة، أصبحت تجد في أحضانه أمانًا مطلقًا، تحسّ ما أن تكون بين ذراعيه أنها كمن يصلّي، حبّه صار عبادة لديها، أيقونة ملونة لا تملّ النظر فيها، إلى أنْ اتّخذت قرارها في أن تجعله أبًا لأطفالها القادمين"(٤١).

إن الإمعان في هذا الوصف الجسدي والجنسي، وهذا الاعتداد بالنفس والرجولة الكاملة يقلب المعايير الغربية، وينصرف إلى درجة كبيرة إلى المرأة الشرقية الحالمة بالرجولة والحماية، والساعية إلى الأمان. لقد أظهر الأنباريُّ المرأة الغربية مثالاً للضعف والاستكانة والانصهار في شخصية الرجل على حساب شخصيتها وكيانها، في حين سما ببطله أو بنفسه إلى درجة التقديس؛ وهو بذلك يقلب ما استقرّ في السياق الروائي الذي قدّم نماذج نسائية غربية تميل إلى الشرقي كما تميل إلى الغربي، وهي زيادة على ذلك نماذج مثقفة ذات رؤىً خاصة، مبادرة وفاعلة تجعل الرجل الشرقي ينشدّ إليها، يتّضح ذلك جليًّا في عمل سيهل إدريس (الحي اللاتيني) ويوسف إدريس في (السيدة فيينا ونيويورك ٨٠) والطيب صالح في (موسم الهجرة)، وفتحي غانم في (الساخن والبارد)، وسليمان فياض في (أصوات)، وجورج حنا في (عامان)، ومحمد جلال في (حب في كوبنهاجن)...إلخ.

ب- ولعلّ المفارقة في هذا التصور تتضّح إذا قارنا علاقته بـ تاتا" بعلاقته بـ "هيام"؛ ففي حين كانت الأولى مُطَارَدة مطلوبة مستباحة يستحوذ عليها البطل برجولته، تصوّر الثانية مُطارِدَةً طالبة مستحوذة -في كثير من الأحيان- على الرغم مما يغلّف سلوكها من شذوذ وانحراف عن المعايير الاجتماعية الشرقية، لقد قلب الأنباريّ الدلالة

فأصبحت المرأة الغربية مطلوبة بوصفها موضوعًا، والشرقية طالبة بوصفها ذاتاً. ولعلّ في تحليل شخصية "هيام" العربية، من خلال علاقتها ببطل الرواية خاصةً وغيره من الرجال بشكل عام، ما يُجلي هذه المسألة.

رُبّما لا ينفصل سلوك الشخصيات، من منظور فني، عن الواقع الاجتماعي العام بما يحتضنه من قيم وعادات وتقاليد، بيد أنّ هذا السلوك قد يميل إلى الفردية؛ فيعكس أيضًا أعماق النفس البشرية ويحاول تحليلها وإبراز التناقضات التي تتصارع في أعماق الذات، ولا يبتعد ذلك كثيرًا عن الصراع المتوافر ضمن الشرائح الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصيات. وما يلفت الانتباه في الرواية التي بين أيدينا أنّ السارد أمعن في تحليل صراعات الذات من خلال تمظهرات السلوك اليومي المألوف الذي يتوفر هو أيضًا على ثنائية الخفاء والتجلي؛ إذ يبدو رصد الأفعال والأمكنة والسلوك جليّا، ولكن سمات المفردات المرصودة تنطوي على خفايا يمكن استنطاقها للولوج إلى أعماق النفس، على الرغم من أن هذه المظاهر السلوكية والآفاق الاجتماعية تقدّم من خلال رؤية خارجية، أو من خلال أقوال بعض الشخصيات التي تمرّر غالبا من خلال وسيط، ولكن الإدراك المقدّم للذات أو الآخر يظل إدراكا خارجيا. إنّ السارد أو الكاتب الضمني يحاول أن يضع الشخصيّات في حالة اختبار اجتماعي وفردي؛ لكي يتمكن، من خلال ذلك، من معرفة مدى كمون الحياة الاجتماعية والمشاعر الذاتية في العمل الروائيّ، ومدى تأثير كل منهما في الآخر، من زاوية التحوّلات، على نحو يتّسمُ بالنسبيّة، فشخصية الرواية الرئيسية، وهي في الغربة، لا تنحاز في مواقفها إلاّ إلى جانب من يُعلي من شأنها، ويبدو ذلك جليًّا من خلال رؤية "تاتا" لرجولة البطل المفقودة، كما يبدو، في مجتمعها. ومن اللافت أنّ الفحولة التي يتمتّع بها البطل تزيده ماديّة، وتمنح المرأة الغربية مساحة واسعة لاكتشاف مكنوناتها النفسية وسبر أغوارها الروحية. وربّما يمكن تفسير هيمنة الهاجس الجنسي على البطل، بقطع النظر عن تجاربه السابقة مع المرأة الشرقية، بمعاناة البطل من الكبت والحرمان وتجارب الهروب المريرة من البطش والتعرض للقمع واستلاب الإرادة والافتقار إلى الحرية، زيادة على علاقة البطل مع أمه، وهي مسائل تعرّض إليها

السرد في غير موضع بطريقة غاية في المباشرة، كما أشرنا إلى ذلك في غير موقع.

غير أنّ هذا السلوك الماديّ يظلّ نسبيًّا؛ إذْ يتعرّض البطل إلى تحوّلات ملموسة عند عودته إلى دمشق حيث يتعرّف إلى "هيام" التي تُعدُّ نقيضًا لـ"تاتا". ومن الغريب أنّ الأثر الذي خلّفته علاقةٌ لم تتجاوز الأسبوع، مع "هيام" اخترقت أعماقه، وكشفت عن خبايا نفسه، وقلبت نظرته إلى "تاتا" التي منحته حياة دافئة. وتنقلب المسألة في دمشق؛ فتصبح "هيام" ذاتًا مطارِدة تمتلك إرادتها في الاختيار على الرغم مما يحيط بها من غموض وشذوذ وانحراف عن المتواضع الاجتماعيّ. إنّ عشْرَ سنواتٍ قضاها البطل في الدنمارك لم تُثر إلاّ القليل من الأسئلة الخاصّة باللقاء الحضاريّ، بينما أثارت علاقته "بهيام" كثيرًا من الأسئلة التي أخفق البطل في الإجابة عنها، وكان غموض هذه المرأة وسلوكها وأسرارها متضافرةً مع ارتباك البطل وشكوكه- تعبيرًا عن فشله في الانفلات من قبضة الماضي البعيد في العراق، والماضي القريب في الغرب- وعبورًا من جهة أخرى إلى نهاية "هيام التراجيدية التي تكشف عن شرخ جليل في شخصيتها يعود بالضرورة إلى طفولة بائسة مضطربة.

يسترجع السارد هذه الطفولة التي تتوق إلى النجاح والحيوية والحركة والأمل من جهة، وتتعرّض إلى أبشع أنواع التعامل المزري من جهة أخرى. منذ البداية شعرت "هيام" أنها مطلوبة جسداً، وأنّها تكاد تكون فريسة للرجال: ممارسات مشبوهة من الأب، وإهمال مقصود من الأم، كانت رغبات أقرب الناس إليها بادية واضحة تتسم بالشذوذ والمرضية، وقد فتح هذا السلوك الباب واسعًا أمام الآخرين لاستغلال طفولتها؛ فتعرضت، كما يصرّح النصّ، إلى الاغتصاب غير مرّة: "بدأت تطحن أسنانها، ماضية في غياهب أحلامها، كما لو كانت تدور حقيقة، تعيشها كاملة، تجد نفسها في بيتهم في المناخلية. الغرف العديدة... ثمة صوت في حوش الدار، خطوات، أنات، وباب يفتح ثمّ رجل يدخل، يغمغم مخنوقًا... يتجه إلى الغرفة التي تنام فيها، أنها صبية، لم تعبر العاشرة. تتكور في السرير، رائحة الخمرة النفاذة تملأ الغرفة، ذبذبات غريبة تقترب منها في الظلام...تبلع صرختها وتدفع بها إلى أسفل البطن...تغيب، يبلعها الليل واللمسات الثملة، والحرارة الفائرة، لتستيقظ في الصباح واجدة نفسها في سرير والدها..."[٤٢]، كانت "هيام" مسكونة بروح

التشرّد منذ الطفولة، ضائعة حتى أصبحت نهبًا لكل رجل، راودها الصبيّ والشاب والكهل؛ جدُّ صديقتها فاطمة استغلّ غياب حفيدته ودعا "هيام" الصبية لمجالسته: "قال لها فاطمة ليست في البيت، تعالي اجلسي هنا في حضني، أنا أعدّك مثل فاطمة وأشعر بالضجر والوحدة. جلست في حضنه، وشعرت بعظام ساقيه العجفاوين...أحسّت بأنفاسه تتسارع، ولا تدري لمَ أصابها خدر غريب شلّها عن الحركة"، وعند تذكّر أبيها يقول السارد: "ما لم تفهمه هو: كيف أنها تفيق في بعض الصباحات من نومها لتجد نفسها في أحضان أبيها..."، والأمر نفسه يُقال عن الرغبة الجنسية التي يبديها جارهم الكهل[٤٣]. كلّ ذلك أفضى إلى ولادة شخصيّة مركبة؛ وجّه وعيها السلوك الاجتماعي الشاذّ، ولما كبرت أصبحت تمارس الجنس مع كلّ رجل تلتقيه، أصبحت تمارس ما تشاء بحريّة غير محدودة، تتبع متعتها دائما دون أن تحسب حسابًا للقيم الاجتماعية أو رأي الناس المحيطين بها، أصبحت تعتقد أنّ "المضاجعة حياة، لذلك لا تألو جهدا بممارسة الجنس يوميًّا... قالت لنفسها: لم يبق شيء إلاّ فوضى الحواس. ستجرب التسكع والعهر والوحدة والعشق رغم أنه أكّال للروح. تشطر نفسه إلى حزوز، في كل حزّ منمنمة منها"[٤٤]؛ مما سبب لها إشكالات كثيرة، وعقدًا نفسية لا تحصى[٤٥].

ولعلّ هذا منظورا إليه، وإنما أصبحت السلوك يعدّ ردة فعل ملتبسة لما عانته، أصبحت متحدية، وأبت أن تجعل من نفسها موضوعا ماديّا هي الناظرة والمتخذة للمواقف، وبدلا من أن تكون مطارَدةً أصبحت هي المطارِدة التي تصطاد الرجال. وقد أشار جورج طرابيشي إلى هذا المعنى في إشارته إلى ثنائيّة الذات والموضوع في تحليله لرواية مجيد طوبيا "غرفة المصادفة الأرضيّة"، ورأى أنّ "مهجة" بطلة الرواية ترى في حالة العُري حالة طبيعية للإنسان. حالة الطفولة، حالة البراءة، حالة الحرية البدائية. و"مهجة" في رواية طوبيا لا تخشى العري بمقدار ما تخشى نظرة الناس إلى العُري: العري بوصفه فعل امتلاك واقتناء، العري الذي تتحول المرأة فيه من ذات له إلى موضوع، ويرى طرابيشي أن من يتعرى في هذه الرواية ليس المنظور/ المرأة، بل الناظر: ليس "مهجة"، وإنما صيّادوها، ليس المرأة بل الذكور. المرأة بوصفها منظورة تحدّد، بمنظوريتها هذه، الكينونة الحقيقية للناظر إليها، أي الرجل[٤٦]، و"هيام" تعلم في هذه المرحلة المتأخرة خطورة ما تقوم به، وأثره

في نفسها، لكنّها أمعنت بالتحدي بإرادة وحرية، ولعلّ ذلك أضعف حياتها الروحية، وإنْ لمْ يُقصها؛ لأنها تبدو أحيانا متشوّقة إلى حياة حرة كريمة تشارك فيها رجلاً يعاملها بوصفها إنسانة. وفي هذا المجال يحاول السرد أن يُغريَ المتلقي بالتماس الأعذار لضياع هذه المرأة وانحرافها الظاهر؛ فعلى الرغم من سلوكها اليومي الذي أشرنا إليه، فإنَّ في أعماقها إنسانًا مُفعما بالأحلام الوردية، يقول السارد: "تحلم بالمضيّ بعيدًا عن هذه الأرض، البيت المسوّر بالرجولة والأم المريضة، والعلاقات الكاذبة المفضوحة والضجر، تهرب من اليأس المستولي عليها، والساعات المحشوّة بالوحدة والحنين الذي لا ينقطع، كم تودّ لو تخلّصت من هاجس الحنين في صدرها تتخلص منه؛ لأنه لمْ يعُدْ موجّهًا إلى شخص بعينه... روحها تفرّ من جسدها، إنها فراشة ليلية تبحث عن ضوء"(٤٧). وعندما التقت البطل كان الأوان قد فات؛ لأن في حياة الاثنين محطّات من المعاناة لا تسعف في تكوين حياة طبيعية. إن حياة البطل في العراق و"هيام" في دمشق تعدّ من أظهر الأسباب للإخفاق في بناء علاقة إنسانية مشتركة تقوم على الودّ والتفاهم واحترام الروح والجسد معًا، زيادة على أسباب تتعلّق بعقدة المقارنة القابعة في أعماق البطل، وحضور الوطن والأم في كلّ مفردات حياته، إلى حدّ ربما يمكِّننا من القول إن الممارسات الجنسية لا تعدو أن تكون تعبيرًا عن فقدان الوطن/ الأم.

رُبّما كانت ممارسات "هيام" الجنسية الإرادية، كما أسلفنا، تعبيراً عن حال نزوع إلى المحرّم والممنوع، وتخليًّا متقصّدًا عن المسؤولية الأخلاقية، وإعلانا عن التحدي الصارخ لسلطة الرجل؛ ومن هنا يبدو مسوغا القول إنها بهذا تدمّر جسدها، تحوّله إلى حالة عدم وفناء. إنها تعالج الضغط الخارجي، وتسعى إلى إعادة صياغة روحها من خلال استباحة الجسد، وجعله، بوعي سافر، محررا لمكبوتاتها النفسية التي لم تجد منفذا للتعبير عن نفسها، على خلاف الجسد الذي يبدو نهبا مشاعا للآخر، وهي بذلك تحاول أن تعوِّضَ فقدان هويتها الذاتية الداخلية بتشييد هوية طاغية للجسد، بيد أنّ هذا الغلو في استباحة الجسد لم يُفضِ إلى تدميره فحسب، وإنما أفضى إلى تدمير ذاتها وجوهر وجودها، كما تكشف النهايات، وقد وضعها هذا التمرد الجسدي في حالة اغتراب شديدة تتمثل في غياب المصالحة بين الجسد والنفس. ويصدق على شخصية هيام ما

يراه حسن نجمي في الحديث عن الفضاء الأنثوي بوصفه فضاءَ متاهة غير معلنة، ضائعا بامتياز، يعبّر عن جسد أنثوي بدون هوية، تستشعر فيه الشخصية أن ما تبحث عنه بنوع من اليقين لا تستطيع أن تعرف ما هو، وما لا تراه أبدًا هو الذي تكتشف أنها تعرفه أكثر(٤٨).

واغتراب "هيام" الذاتي يعدّ أنموذجا على "التخارج" من الذات؛ إذْ يشير الاغتراب في بعض مفاهيمه إلى وضع يعي فيه المغترب حالته المغتربة كشرط لتحقق الاغتراب الذاتي، فالمغترب هنا يعي بصورة فعلية التباعد بين هويته وما ينبغي أن تكون عليه تلك الهوية(٤٩)، و"هيام" تظنّ أنها تمتلك إرادتها، وتقوم بأفعالها بوعي، بقطع النظر عن رؤية الآخر وهو دائمًا الرجل، ولكنها تعي أن ما تقوم به يمثل خروجا عن منظومة القيم الاجتماعية المحيطة بها، وهي تسعى، وخاصة في نهاية الخطاب الروائي، إلى أن تحقق هوية ترغب فيها، تكون فعالة في حياتها، ولعلها رأت في البطل مسعفا ومخلّصا لها؛ لكي تظفر بهوية جديدة تحدد ملامح حياة جديدة، ولكنها كانت مخطئة؛ لأن البطل لم يستطع الاستغراق في فهم أعماقها. ومن زاوية أخرى، وعلى الرغم من نبرة التحدّي الصارخة، فإن وعيها قاصر عن إدراك أنها وقعت ضحية إرادة الآخرين؛ ويتضح ذلك جليًّا من خلال علاقتها بماجد، إذْ تحدّته كثيرا وكانت تقتنع أحيانا أنها تملكه، ولكنها في الوقت نفسه كانت مرهونة بقدراته: تخضع لحالات من التنويم المغناطيسي، يمارس عليها وصاية؛ فيجعل منها حالة خاضعة له. ولكنها تعتقد أنها تمتلك مصيرها؛ وقد عمَّق هذا التناقض بين الوعي واللاوعي من اغترابها عن ذاتها.

ويمكن إيجاز مأساة "هيام" في أنّ ما لا يدركه الرجال الذين اتّصلوا بها كماجد ونداء وبطل الرواية، إلى حدٍّ ما، وغيرهم- أنها تعبّر في سلوكها عن حالة رفض للماضي الذي شكّل طفولتها وظلّ يُلحّ على ذاكرتها باستمرار، كما يلمح هذا السلوك إلى تحدٍّ صارخٍ للمألوف الاجتماعي، وهو تحدٍّ يبدو واعيًا مقصودًا، ويحمل مفارقة حادّة تتجلّى في إحساسها أن ما تقوم به يشكّل حالة إلزام نتيجة الظروف الموضوعيّة التي عانتها في طفولتها، ولكنَّ ثمّة حالة أخرى من التوق إلى الحريّة والبراءة الطفولية ترفض من خلالها ذكورية المجتمع الذي حوّلها، بممارساته وتصوّراته، إلى بغيّ! ويتجلّى عذاب التوق إلى الاستقرار في نهايات المبنى الحكائي. ويمكن

جلاء ذلك من خلال اختزال علاقة البطل بـ"هيام"؛ لأنها تشكّل إيقاعًا واضحًا في الرواية، ويقرأ هذا الإيقاع، في غالب الأحيان، مرتبطًا بالشخصية الأنثوية الغربية "تاتا"، كأنما يحاول السرد التوقيع على إشكاليّتين تشكّلان محور الرواية، وهما جدلية اللقاء الحضاري، وجدلية الرجولة والأنوثة التي تضيء الأولى، وتسعف في فهمنا لها ؛ ولذا يبدو هذا الاختزال ضروريًّا وإن كان فيه بعض التكرار: في البداية رأى البطل في شخصية "هيام" أشياء مُميّزة، وجد فيها الجرأة والتحدّي وقوّة الشخصية والإرادة، وزيادة على ذلك فثمة بعض المشتركات بينهما كاللغة والثقافة والتعطّش إلى الحريّة. ويبدو أن البطل حاول منذ البداية أن يعاملها كما عامل "تاتا"؛ حاول إن يُغويها برجولته، وراوغت هي في إظهار نوع من الاستسلام غير الطبيعي. كان يؤمن أن العلاقة بالمرأة لا تتجاوز كونها تلبية لحاجة غريزية؛ فسجّل من خلال استسلامها انطباعًا مضلّلاً مفعمًا بالتناقض وقوام ذلك أنّ الحياة لا تعني لها شيئاً وأن الموت: "يدلي بإشاراته من جسدها، فثمّة يأس مطلق وسوداويّة وهمود، روح لم تعُدْ تتواصل مع العالم، في الوقت نفسه شعر أنّ لديها حبًّا هائلاً للحياة، وقع على ذلك عند النهر، وتلك المفارقة التي يحملها هذا الكائن جعلته يمتلئ بالفضول وركوب المغامرة لاكتشافها"[٥٠].

وعلى الرغم من أن مشاعره بشرّت بخلق علاقة فيها شيء من الاستواء والتعايش مع المرأة بودّ، فإنّ التجربة الأولى كانت على النقيض"...كانت تعبيراتها تدلّ على التقزّز. أخبرته قبل أن ينامـا أنه "شخص ممل"[٥١]، ويبدو أنها تخيّلت أنه سينظر إليها كما ينظر إليها الآخرون بوصفها شيئاً ماديّاً، مع أنها، في أعماقها، رأت فيه شخصا متميزًا، في تلك الفترة الوجيزة من علاقتهما لم تشأ أن تُعبّر عما هو إيجابي في نفسها، ويعود ذلك إلى تجاربها المريرة مع الرجال؛ سعت إلى التعامل معهم ندًّا لندٍّ، ولكنهم هجروها. قالت له عندما ودّعته في سفره إلى كوبنهاجن: "لقد ربّيتُ كثيرًا من العصافير، لكنها طارت من يدي. لم يبق أحد"[٥٢]. ويشي هذا الاقتباس أنّ هذه المرأة فقدت القدرة على تذوق الحياة على الرغم مما يعتلج في صدرها من مشاعر متناقضة، أحبت البطل، ولم تحدّث نفسها بذلك، تبحث عن الحب، ولكنها لم تظفر به؛ لأنها لا تريد أن تصدق ذلك، تكذب في التعبير عن مشاعرها، فقد دفعت ثمنا غاليا من أجل الحب: "حبها هوس، يستولي

على حياتها، يمتصّ أفكارها وخيالاتها ومشاعرها. تريد أن تعيش حياة بوهيميّة، تمتص روح الأشياء، تعتصر ملذّاتها، تشرب، تأكل، تنام في أي حضن تجده، في الشارع أو الشقة أو سفح الجبل، تساوت الأماكن لديها مثلما تساوى البشر"[٥٣].

إنّ هذه العلاقة العابرة تركت بصماتها في حياة البطل؛ إذْ سافر إلى الدنمارك، ثمّ عاد بحثًا عن "هيام"، ولكنّه لم يُفلح في تشييد علاقة إنسانيّة معها لأسباب يتعلّق بعضها به، وأخرى تتعلّق بها نفسها: وكما أن لماضي "هيام" أثرًا في تشكيل شخصيتها، فإنّ ماضي البطل ظلّ يطارده في الغرب وفي دمشق؛ فهروبه ولجوءه إلى الغرب لم يمْحوَا من ذاكرته جمال الوطن وألفته، ولم يجد من يعوّضه عن حنان الأم، بما تمثلّه من بعد رمزي. يفصح السرد عن أنّ البطل نفسه يعيش حالة اغتراب شديدة، لم تستطع علاقته بهيام أن تنتشله منها، ثمّة وطن مكتنز بالقوة والثقافة والحب والتوادّ والتواصل، ومكونات الطبيعة الأخاذة، وابتعاده عنه جعله يحسّ بالوحدة والحنين الجارف إلى كلّ مفردة من مفرداته، جعله يشعر بالضياع والفراغ الذي أمل في أنْ يُعوّض عنه بعلاقته بالمرأة البديل عن الأم/ الوطن. نراه في حديثه عن وحدته يستدعي الرحم الذي قذفه من الظلمة إلى الحياة التي تفتقر إلى المعنى، ويمزج بين ذلك والطبيعة والمرأة أمًّا وحبيبةً، ويتساءل مشيرا إلى الأمومة: "أين رائحتها ويداها ودمها الحارّ؟ أين الحلمة المليئة بالحليب والفم الحار، والعينان الحانيتان، لا شيء، فراغ جدران الكرنتينة والروائح المقرفة...(يحسّ أنه) بحاجة إلى من يضمّه إليه...كيف انتقلت رغباته بشخص يضمه إلى رغبة التوحّد بالأشياء...يتوحد مع الزهرة والبرعم والردف والفرج، مع الزجاج والفاكهة والخضار لتمنحه قوة لضعفه، يمتص منها الطاقة الخزينة في الأنسجة؟"[٥٤]، ويأتي هذا الاسترجاع وتلك الذكريات في معرض حديث السارد عن "هيام"؛ إذْ تختلط في نفس البطل مشاعر الحبّ والكره، والميل والاشمئزاز، امرأة أوقعته في شكّ قاتل، وخلطت أزمنته؛ فاتخذ منها موقفًا سلبيا. هجر الدنمارك من أجل دمشق و"هيام"، كأنه لا يجد إلاّ الطبيعة والمرأة يبثهما أحزانه، أسعفته الطبيعة إلى حد كبير، بثها أحزانه وسجل مشاعره على الورق والأغصان، اختزل حياته كلها ليودعها الطبيعة. بيد أن المرأة لم تسعفه، بل كان يشعر أنه كلّما اقترب منها أبعدته بأسرارها وغموضها، شعر أنها بعيدة عنه روحا وجسدا، وهو لا

يحب أن يقتحم، لديه عقدة متأصلة من الرفض، يفسرها بعقدة الأم، لم يعش عاطفة الأمومة أبدً، ظلت المرأة غريبة عليه[٥٥]، أساء الظن بهيام لإحساسه أنها لن تقدّر عشقه الذي يتنامى، هي اللعوب الصامتة الغامضة التي لا يمكنه أن يعرف حقيقة ما تفكر به...لا ينتمي إلى أحد ولا ينتظره أحد"[٥٦].

لقد ساهم سلوك "هيام" في إبعاد البطل وتحول نظرته، جعلته حائرًا في فهمها؛ فازداد شكه بها، وعلى الرغم من أنه يشعر أنه يمتلئ بالأرض، وأنه يحاول أن يربط الأرض بالمرأة، فإن "هيام" تبتعد عنه، فرأى فيها امرأة من صناديق... بلا روح، لم تعد مقنعة له: "عشقه لها مريض، وروحه تطمح إلى شيء آخر"[٥٧]. ولعلّ ثمّة سببًا آخر يُضاف إلى ما ذُكِرَ، يتمثّل في إنّ "هيام" أطاحت بتوقّعاته؛ إذ ظنَّ أنّ الحواجز الثقافية، ولا سيّما اللغة التي حالت بينه وبين الاحتفاظ بـ "تاتا"، تشكّلُ برزخًا من الصعب اجتيازه: "البرزخ بينه وبين "تاتا" هو اللغة والرنّة والصوت الداخليّ والانفعال المصاحب لها والحمولة المتوارثة منذ مئات السنين، أهي تلك الحمولة التي سحرته بها هيام، أم روح مدينتها دمشق المُعتّقة؟"[٥٨]، ويبدو أنّه وجد أن المرأة لم تكن لتؤمّن له الأمان والاستقرار، فكان المكان هو الأقدر على بعث الطمأنينة في النفس، والأقدر على خلْق هدف يسعى إليه الإنسان، هدفٍ ينتمي إليه يتعلّق به كما تعلّق بأمه المفقودة، وليس من العسير الانتهاء إلى أنّ دمشق، وإن أراحته، فإنها لم تكن قادرة على إقصاء الوطن الأم/ العراق الذي كان شاهدًا على ميلاده وصباه، وشاهدًا على تجاربَ سعيدة يجد فيها المرءُ نفَسَه، تجارب شكّلت مرجعياته الثقافية وتكوينه النفسي والاجتماعي التي لا يمكن، كما يبدو، أن يُمثّلها تمثيلاً حيًّا مكان آخر في الغرب أو في الشرق؛ وذلك للأسباب التي أشرنا إليها، وخاصّة ما يتعلّق بحرمان الإنسان واستلاب إرادته، وهذا ما عاناه البطل في بلده في أثناء الحرب.

أما "هيام" فتريد أن تحتفظ بأسرارها ملكًا لها؛ لأن تجاربها هي المسؤولة عن تدمير حياتها، وتوجيهها وجهة منحرفة. وتبدو "هيام" ليست وحدها المسؤولة عن كل ذلك، وإنما المسؤول هو البناء الاجتماعي وانقلاب المعايير وتراجع القيم الفاضلة والتكافل الإنساني. ومن الضروري تأكيد أنّ التجارب الأولى المدمّرة التي ألمحنا إليها اكتسحت حياة هذه الشخصية وهي صغيرة، ومهّدت للضياع الكامل لحياتها.

وهي صغيرة لم تكن مسؤولة عن الاختيار، بل فُرِض عليها كلّ شيء فرضًا ولم تكن قادرة على المقاومة. إنّ تجارب هذه الشخصية تُدين ماضيًا بقيمه وعاداته وتقاليده، تدين شريحة اجتماعية كاملة استغلّت الفقر والضياع والشذوذ الأسري، ولعلّ السرد ينفذ من وراء ذلك إلى نقد الأنظمة الاجتماعية والسياسية السائدة التي لوّثت الأمكنة على الرغم من تعلّق الشخصيات بها. إنّ تدميرها يحمل مبررات وجوده الفني؛ وإذا كانت "هيام" صرّحت لنفسها أو تذكرت بعض التجارب المريرة في صغرها، فإنها أخفت كثيرًا من التجارب بعْدَ ذلك. لقد أفصح السارد عن أسباب انحراف هذه الشخصية، وحاول التماس الأعذار لسقوطها المدوّي، إلى حدّ يصعب معه أن يقدّم القارئ افتراضات مقنعة يمكن من خلالها أن تكون حياة "هيام" على غير النحو الذي قُدّمت عليه. وعلى الرغم من أن هذه الشخصيّة تشير إلى "توق الإنسان للخلاص من ذنوبه وسيئاته"[٥٩]، فإنها فقدت القدرة على التصالح مع ذاتها ناهيك بالمحيط الاجتماعي.

تكمن معضلتها في أنّها، في أعماقها، تبحث عن الراحة والاطمئنان من خلال وضعٍ طبيعي ينبني على احترام روح المرأة ودورها في صياغة الحياة الاجتماعية، ولا يختزل جوهر المرأة وكينونتها في جسدها أو لا يقيم وزنًا لإنسانية الإنسان. ولّما لم تجد ذلك متوفرًّا في محيطها الاجتماعي، ووجدت بدلا من ذلك، ومنذ طفولتها، لهثًا وراء الجسد، وتحويله إلها يعبد- انحازت إلى هذا الجسد وبدأت شيئًا شيئًا تتبرأ من روحها، وتصطاد الرجال إلى درجة الإدمان. لعلّها كانت تجد في علاقتها بالرجال سبيلاً إلى السيطرة على الرجل دون أن يطيح ذلك كليّة بأعماق روحها، مظهرها يؤشّر على تحرر كامل، ولكنّها تظلّ إنسانا له أماله وطموحاته؛ ولذلك انجذبت إلى البطل، كونت معه في البداية علاقة عابرة، فوقع في حبائلها وشعر بميل شديد نحوها، ميل يختلف عما ربطه بـ "تاتا"، كان ذلك عند عودته إلى الدنمارك بعد زيارته القصيرة إلى دمشق، ولكن هذا الميل نما معه في الغربة؛ وأجبره على العودة إلى دمشق. ومما يبعث على الاستغراب أنها عند عودته انزلقت في حالة صراع حادّة، وأظهرت له ما ليس في أعماقها؛ فهي من ناحية تميل إليه ميلا شديدا، ولكنها من جهة أخرى تحاول إقناعه بفقدانها القدرة على تلبية رغبة نفسية وروحية تقبع في

أعماقه، قالت له: "أنت تعشق المرأة التي في ذهنك، وكثير من الناس يعشقون الورود البلاستيكية رغم أنها لا تمتلك رائحة. صنعت مني وردة على هواك وعشقتها، الذنب ليس ذنبي. لا أعرف مشاعري تجاهك، اترك لي وقتاً لأعرف نفسي"[٦٠]. وقد أثرت مشاعرها في رؤيتها للمكان؛ فأظهرت رغبة في مغادرة دمشق إلى الغرب الذي لم يستطع أنْ يقدّم حلاً ناجعاً لمشكلات البطل الذي أحبّته. دمشق، كما تشعر "هيام"، ساوتها بالأرض؛ فقررت الرحيل، ولكنها وجدت نفسها في نهاية المطاف مع البطل، في غرفة فوق السطوح، ازداد حبها له، وازداد شكّه فيها، ولا سيما ما يتعلق بعلاقتها بماجد؛ أرادت أن تنكر؛ لكي لا تفقد البطل، آمنت أخيرا أنّها لا تستطيع الاستمرار بالمراوغة والكذب؛ "لأن الكذب صدأ يأكل الروح، يجعلها تحتقر نفسها"[٦١]، قررت أن تبعده عن نفسها كانت تثير الشكوك حول نفسها وتلفها بالغموض والسرية، ففهم البطل أنها على سيرتها الأولى تبحث عن أحضان الرجال، وكانت هي في اللحظة ذاتها تقنع نفسها إنه إنما عاد من أجلها، وسيناضل في سبيل الحصول عليها زوجة طبيعية تحظى بالاحترام الذي افتقدته في تجربة زواج فاشلة. كانت تخضعه لاختبارات الشكّ والريبة، فأصبح هو رهينا لهذه الاختبارات، فخسرت الرهان، وكانت نهايتها المأساويّة، قفزت من السطوح، فحملها بحب جديد لم يعهده، وجد أن موتها ولادة له، ورأى أنها بإقدامها على هذه الخطوة إنما تجتاز مرحلة جديدة، ترفض فيها الماضي عندما أخفقت شروطه الموضوعية في تجاوز مرارة الحاضر[٦٢].

في التشكيل:

يتناول هذا المحور مسألة البناء الفنّي من زاويا الزمان والمكان والوصف، والرؤية السردية بوصفها إحدى مكوِّنات السرد، دون أنْ يعني ذلك احتفاء بالحبكة ومتابعة تطوّرها ونموّها، أو دراسة تسلسل الأحداث، وبيان الحوافز والعلل السردية؛ لأنّ الحديث عن الرؤية والتشكيل الفنّي يتضمّنان كثيرًا من مكوّنات الحبك. بيْدَ أنه من المفيد الإلماح إلى بنية العنوان والاستهلال السردي قبل الولوج في تحليل البناء الزمني والمكاني والرؤية.

العنوان:

يورد الكاتب بعد العنوان، وقبل الشروع في السرد، أيْ خارج النصّ، بيتاً من الشعر يتضمن العنوان نفسه، ولكنّه

يشكّل، في الآن نفسه، جزءاً من الخطاب الروائي بصفته "نصّاً موازياً":

ولّما شربناها ودبّ دَبِيبُها

إلى موطنِ الأسرارِ قُلتُ لها قِفي

و"موطن الأسرار" المتضمَّن في البيت لا يعدو، وفقًا للتصوّر البلاغي التقليديِّ، أن يكون كناية عن موصوف هو القلب. وعلى الرغم من أنَّ أحداث الرواية تترك أثرًا في نفوس الشخصيات، وتستوطن قلوبها، وعلى الرغم من أنّ السرد يستغرق كثيرًا في الغوص في أعماق الشخصيات، ويحلّل نفسياتها- فإنّ القلب هنا يتّسع ليشمل المعنى المعجمي الذي يؤشّر إلى المكان؛ ذلك لأنّ الأمكنة تحظى بنصيب وافرٍ من المساحة النصيّة في الخطاب، سواء أكان ذلك المكان شرقيًّا: سورية والعراق أم غربيًّا متمثّلاً بالدنمارك والبرازيل. ومن زاوية أخرى فإنَّ شبه الجملة تجسّدُ تعالقًا بين الأسرار والأفكار السريّة للشخصيات والأمكنة التي فرضت عليها هذه الأطر. وبقطع النظر عن كون السارد قد أمعن في وصف الأماكن والأشياء، وأسرف في تحليل شبكة العلاقات بين الشخصيّات، وجال في أعماق النفوس، فإنّ البناء العامَّ لم يكشف مباشرة عن العديد من الأمور المُلْبسة في مسالك الشخصيّات ورؤاها، وإنما ترك مساحة للتأويل والتفسير، وأقصد بذلك أنَّ جُملة التناقضات والمفارقات التي يلمسها القارئ في شخصيّتي البطل و"هيام"؛ إذْ بلغ التعقيد في حياة الأخيرة، مثلاً، حدًّا يجعل من انتحارها سرًّا يحتاج إلى الكشف- تجعل أيَّ محاولة للتأويل تظلّ اجتهادًا قابلاً لإعادة النظر.

وزيادة على ذلك، فإنّ هواجس البطل المتزاحمة المتناقضة تعود في أصلها إلى طفولته التي تجنح في كثير من الأحيان إلى الغموض والسريّة، فباستثناء إشارات قليلة وغامضة إلى أماكن الطفولة والصِّبا، وعلاقة هذه الأماكن بالأم والبطل، لا يكاد القارئ يظفر بسرد مسْتقْصٍ لحياة البطل في العراق. ولكنّ هذه الإشارات تفيد، إلى حدٍّ ما، في الكشف عن الأسباب المُفْضية إلى هروب البطل أو لجوئه، كما تُفيدُ في التأكيد على أنَّ طفولة البطل وتكوينه الأول محاط بالأسرار التي تتطلب التفسير. ولعلّ الظروف السياسيّة التي مرّ بها في العراق في أثناء حرب الخليج الأولى تُلْجئ الساردَ إلى إخفاء معلومات قد تكون ضروريّة لفهم نفسية البطل؛ ومن هنا لجأ السارد إلى إغفالها أو المرور عليها سريعًا من خلال تلخيصٍ مكثّف أو حذف معلن أو مضمر.

وخلافًا لشخصية "سلمان" الذي أتيح لها البوح عن معاناتها في العراق، حُدِّدَتْ ملفوظات البطل بجمل بسيطة مقتضبة؛ ممّا أحاط هذه الشخصيّة بالغموض والكتمان والتناقض، ويبدو هذا الأسلوب منطقيًّا مُبرّرًا مُنسجمًا مع الظروف الموضوعيّة، ولا سيّما إذا أعددنا الروايةَ نوعًا من الاعترافات أو السيرة الروائية. وإذا ما تجاوزنا الواقعي إلى المتخيّل، فإنّ شخصيّة البطل المركّبة المتعدّدة الأبعاد تكتسب نوعًا من الغموض بوصفها شخصيّة مدوّرة بامتياز! ولكنّ شخصية العراقي "سلمان" التي حظيت بمساحة لا بأس بها قد تُسْعفُ القارئ في الاقتراب من فهم شخصية البطل؛ إذا أعددنا "سلمان" أحدَ تجلّيات البطل أو شكلا من أشكاله، بقطع النظر عن كون هذه الشخصية الثانوية لم تُقدّم من خلال حضورها ولفظها هي بالقدر الذي كانت فيه موضوعًا للسرد مُتَحَدَّثًا عنها، أو منقولاً عنها نقلاً غير مباشر، خاضعًا لإرادة السارد وتوجيهاته وإدراكه؛ ممّا يجعلنا نؤكّد ابتداء أنّ التبئير في العمل الذي بين أيدينا، حسب جينيت، صفر، وأنّ الرؤية التي تعدّ مرادفًا للتبئر، حسب بويون وتودوروف، هي الرؤية من الخلف[٦٣]، كما سنرى.

الاستهلال السردي:

يقصد بالاستهلال السرديّ هنا الجملة أو الوحدة السردية الصغرى التي يفتتح بها الروائيّ مبناه الحكائيّ، ويكتسب الاستهلال أهميّته من اهتمام الكاتب بنصّه من جهة؛ لأنّه يشي باستراتيجية الكتابة التي يتبنّاها المؤلف، كما أنه يعدّ من جهة أخرى البوابة "التي يلج القارئ من خلالها إلى النص بكامله؛ إذ يمكن أن تختزل البداية المبنى الحكائيّ، أو تتوفّر، على الأقلّ، على تمهيد نعبر من خلاله إلى بنيات النصّ وفهمها"[٦٤]، وقد يشمل الاستهلال الحديث عن الفضاء المكاني الذي تجري فيه الأحداث؛ وعندئذٍ يستغرق مساحة نصيّة طويلة، ويتوفّر هذا الضرب في الروايات التقليدية أو الواقعية التي تحتفي بتقديم الآفاق المكانية والاجتماعية والاقتصادية بوصفها مقدّمات للأحداث التالية، وغالبا ما يكون التعويل في هذه الروايات على الوصف الطوبغرافي أو البيرسنوغرافي، دون أنْ يعني هذا القول غياب الزمن غيابا كليّا. وقد يتجاوز الروائي المقدّمات الطويلة مستهلاً بجملٍ أو وحدات صغيرة تكتنز بالأحداث أو تمتزج فيها الأحداث بالوصف.

والحقيقة أنّ الذي يُحدّد طبيعة الاستهلال هو نوع البناء الذي يتبنّاه الكاتب في نسج أحداثه، فالبناء المتتابع يتطلب رصدًا للآفاق العامّة للمجتمع الروائي، كما أنه يُعوّل على السببية والزمنية بعد الانتهاء من الاستهلال. أمّا البناء المتداخل، كما هو الحال في "موطن الأسرار"، فيطلق على البناء الذي تتداخل فيه الأحداث، دون اهتمام بتسلسل الزمان، تتقاطع الأحداث وتتداخل ليكون الاهتمام منصبًّا على كيفية وقوع الأحداث لا على تواليها، كما أنّ "غياب التسلسل الزمني للحدث لا يعني إلغاء الزمن، أو تحجيمًا لدوره، بل هو استخدام جديد له... وهذا الترتيب الجديد، هو، ترتيب زمني، قوامه تداخل مستويات الزمن، بين الماضي والحاضر والمستقبل"(٦٥). ومن سمات البناء المتداخل أنه لا يلتفت إلى الاستهلال المحوري الطويل الذي يستغرق صفحات طويلة، بل نرى أن الموظفين له يفضّلون الاستهلال المقتضب، أو يبدؤون بجمل فعلية مفعمة بالحس الزمني، دون إقصاء للوصف، وإنما يأتي الوصف ممتزجًا بالفعل. وعلى الرغم من تداخل الأزمنة فإنّ الاستهلال السردي يحمل كثيرا مما يكتنز به العمل الروائي، ويستفزّ المتلقي للتساؤل عن أمور يشي بها هذا الاستهلال.

وفي "موطن الأسرار" يُفتتح المبنى الحكائي على النحو الآتي: "بَعْد أنْ اجتاز بوّابة المطار، في لحظة كان يتوقع مجيئها طوال تلك السنوات، داعب وجهه هواء فيه رطوبة. وكان المذاق خليطًا من نكهة الصحراء والبحر والأصقاع المجدبة. إنه الشرق الذي حلم به طويلاً، حنّ إلى شمسه وهوائه وصحرائه وناسه ولهجاته وصحاريه..."(٦٦)، فالبداية جملة فعلية، تُفضي إلى وصف، ثمّ إلى رؤية. يُحدّد الاستهلال أنّ المُخْبَرَ عنه رجل، وأنه يمارس فعل الاجتياز لبوابة المطار، أيْ أنه قادم من الخارج إلى مكان آخر، ويتبيّن على التوّ أن المكان الذي يتوجّه إليه هو دمشق، وأنه قادم من الدنمارك. ومنذ البداية يمكن القول إنّ فعل العبور يمثّل مرحلة جديدة، وإنّ محطة المطار محطة غير مستقرة، هي مكان للمغادرة أو العبور؛ ولعلّ ذلك يشي بأنّ البطل يُعاني، ويبدو من خلال الجملة أنه لا ينتمي إلى المكان الذي قدم منه، أي أنه يشي بموقف سلبي، إلى حدٍّ ما، من الآخر، دون أنْ يعني ذلك رفضاً له؛ لأنه، كما هو واضح من توقه الكبير إلى الشرق، يتراءى مُفعمًا بالحبِّ والشوق إلى الطبيعة والناس

والأشياء، كأنها تقف نقيضًا لما كان عليه. ولعلّ فعل الاجتياز والقدوم والذهاب... يمثّل، زيادة على ما أشرنا إليه، حالة من عدم الاستقرار والقلق النفسي التي تسم البطل غير المسمّى. يتوفّر الاستهلال على عناصر الزمان والمكان والإنسان من خلال شبكة علاقات متلاحمة، ويتّسم، أيضاً، بالتكثيف والإيجاز، ممّا يؤكّدُ طبيعة البناء المتداخل الذي يتبنّاه الكاتب.

إنّ جملة الاستهلال وما تلاها يشكّلان إيقاعاً بارزاً في الرواية باللفظ أو بالمعنى، وكما رأينا في الحديث عن مضامين الرواية يظلّ الوطن البديل/ دمشق، والوطن الحقيقي للبطل/ العراق يشكّلان هاجسًا ملحًّا على ذاكرة البطل ووجدانه، وفي الصفحة ذاتها يؤكّد السرد ارتباط الإنسان بالمكان الذي يشكّل النقطة النهائيّة بالنسبة له على وفق ما تقول الرواية: "وصل إلى شطّ مصيره، سيمسك طيره هنا، في هذا المكان، ألم يطارده كلّ هذه السنين في المدن والبلدان؟ من بحر إلى بحر، ومن غابة إلى غابة، والطير يهرب دائما. لديه حدس هائل أنه سيمسك به في زقاق عتيق أو حانة على سفح جبل، في البقعة الممتدة بين الجبل وغوطة التين"(٦٧)، إنّ تصوير الوطن على هذا النحو يشي، إلى حدٍّ كبير، بمعاناة البطل في وطنه الذي يبدو رغم أُلفته وجماله طاردًا، ويبدو البطل فيه مغترباً.

ومهما يكن فإن الاستهلال السردي يقود إلى الكشف عن حالة البطل النفسية- ليس بوصفه فرداً، حسْبُ، وإنما بوصفه يمثّل شريحة المغتربين عن أوطانهم. والوطن الذي يفرّ منه ليس سورية فقط، وإنما وطنه الأصلي العراق، فلِمَ جاء على هذا النحو طائرًا؟ لعلّه من المقبول القول إنَّ الوطن الأصلي لمْ يستطع تلبية حاجات الإنسان، زيادة فضلا عمّا يكشف عنه النّصُّ فيما بعد من حرمان من الحقوق البسيطة كحق المحافظة على الحياة، زيادة على ما كان البطل يُعاني منه من ملاحقة واستلاب واضطهاد. وبعْد الصفحة الأولى نكتشف أنَّ الشخصيّة الرئيسية في العمل قضت عشر سنوات في الغرب، وأنها قبل ذلك قضت، قبل الهروب من العراق، خمس سنوات في سورية، وفي أثناء هذا الاستهلال المكثّف نتعرّف أيضاً، بشكل مقتضب، على طبيعة حياته في الغرب: الطبيعة والمغامرات الجنسية، وتعرّفه إلى "تاتا" وقصصه معها، تلك القصص التي تتكشّف في ثنايا السرد بعْد الاستهلال، إذن: يكثّف السارد الحديث عن مظاهر الألم والشوق والحنين إلى المكان، ويعود إلى الماضي لاستحضار

قليل ممّا لم يُطمس من الذاكرة، أو يدع ذلك إلى لحظة تنتعش فيها الذاكرة فتتجمّع بعض المفردات التي تمكّننا من تكوين صورة عن هذا المكان، ثمّ يعود إلى اللحظة الحاضرة ليعبّر عن مدى ارتباطه بالأرض، والإشارة إلى بعض ما طرأ على المكان من تغيّرات خلال غربة البطل. ويلاحظ أنّ السارد هنا لم يشِرْ إلى السبب الذي أفضى إلى الغربة، كما أنّه لم يصرّح لنا باسم البطل، ولعلّه أراد أن يقول من خلال ذلك إنّ ما ينطبق على الشخصية ينصرف إلى كثيرٍ من المغتربين العراقيين والعرب، وهو ينطلق من الهم الخاص الذي يوحي بأننا إزاء اعترافات شخصية- كما سنشير إلى ذلك- إلى الهمِّ العامِّ الذي يعبّر عن المعاناة الجماعية.

إنّ الكاتب يحاول أن يقدّم لنا شخصية مليئة بالأسرار، يكتنفها الغموض، شخصية تبحث عن هوّية مفقودة، تعيش ذكريات الماضي وتبحث عن وطن بديل للوطن الأم، أو تحاول أن تُشكّل وطنا تحْلُم به، كما أشرنا إلى ذلك في مناقشة الرؤية. يبدو أن الاستهلال يكشف عن بطل يتّسم بالضياع، صورته عن الوطن الأم في هذه الفترة ضبابية، ولا يعلم ما يُخبّئه له المستقبل "كل ما حوله جديد، ولدته السنوات من رحِمٍ غير مرئيٍّ، ها هي رحلته في نفق الشرق تبدأ، والنفق لا يعرف أين يقوده، وكيف تنفتح نهايته..."[٦٨]، ولعلّ النفق يشير هنا إلى الظلمة والتخبّط والاضطراب، فضلاً عن القيود المفروضة على البشر التي تعارض الحرية والانطلاق، وتلك أمور تنسجم مع حياة الشخصية الرئيسية، كما تنسجم مع العنوان.

إنّ بداية الاستهلال تشكّل علامة فارقة في السرد؛ إذْ إنَّ السارد يتكئ عليها للوقوف على ماضي الشخصية والمضيّ في الحديث عن حياتها، دون أن يعني ذلك أن السرد يتبنّى التتابع في رواية الأحداث، بل على العكس من ذلك، إنّ السارد يمزج بين الأزمان: الماضي والحاضر والمستقبل، بشكل يصعب معه، أحيانًا، الفصل بينها؛ فتراه في الموقع الواحد ينتقل من لحظة الحاضر إلى الماضي، ثمّ يقفز فجأة إلى المستقبل، دون أن يكشف عن كلِّ شيء، وبشكل يكتنفه الغموض؛ وهو بهذا يشرك القارئ في تخيّل ما يمكن أنْ يحدث، أو التفكير قي الكيفية التي وقعت فيها أحداث الماضي، أو ماذا يدور في ذهن البطل الآن. إنّ كلّ ذلك يستفزّ مخيّلة المتلقي؛ فيكون الاستهلال السرديُّ مكتنزًا بكثير من التساؤلات التي لا يتكوّن يقين في الإجابة

عنها إلاّ بعْدَ الانتهاء من القراءة؛ وهذا ما يميّز هذا الاستهلال عن نظيره في الرواية الواقعية التي تنشغل في رسم الآفاق الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية، كما هو الحال في بعض روايات محفوظ ومنيف ومينه وغيرهم.

البناء الزمنيّ:

تحاول هذه الفقرة أنْ تنظر في آليّة تنظيم الأحداث في الرواية، والإشارة إلى ثنائيّة المتن والمبنى أو الحكاية والخطاب بشكل مُقتضب، وبما يتلاءم مع أغراض هذه الفقرة. وإذا تجاوزنا تعدّد المصطلحات الدّالة على قصة الرواية أو القصة، فإنه من المناسب تبنّي مصطلحي المتن والمبنى أو الحكاية والخطاب لكثرة دورانهما في الدراسات السردية. رأينا في الإشارة إلى الاستهلال السردي أنّ البناء المهيمن هو البناء المتداخل، وهذا يعني أنّه لا يوجد تطابق بين الحكاية والخطاب. الحكاية توحي بواقع ما وبأحداث قد تكون وقعت، وبشخصيّات يتماثلون مع أشخاص حقيقيين، أمّا الخطاب فيشير إلى سرد الراوي للحكاية[٦٩]، وتقبّل المتلقي لها، بمعنى أنّ الخطاب يؤشّر إلى شكل التعبير عن الحكاية من حيث علاقتها بالمتلقّي. إنّ الخطاب السردي وطيد العلاقة بالحكاية؛ لأنه إعادة بناء لها بشكل يختلف فيه الخطاب عنها من زوايا التقديم والتأخير، والسرعة والإبطاء، والاختزال والإسهاب، والإفراد والتكرار والإجمال، والاسترجاع والاستباق، أي ما يطلق عليه تقنيات السرد.

ثمّة مفارقات[٧٠] بيّنة بين زمن الحكاية/ المتن، وزمن الخطاب/ المبنى في الرواية التي بين أيدينا؛ إذْ إنَّ "موطن الأسرار" لم تبدأ من نقطة الصفر للحكاية/ المتن، الذي يمكن أن يعود زمنيًّا إلى طفولة البطل المبكّرة في إحدى القرى العراقيّة، وإنما بدأت من لحظة محدّدة اختارها الكاتب بعناية، وتكاد تكون من زاوية الزمن النصّي منطقة وسطى بين الماضي والمستقبل، دون أن يعني ذلك المدى الزمني المقاس بالسنوات أو الأشهر...وهذه اللحظة تمثّل المنطلق السردي الأول أو نقطة البثّ المركزيّة الأولى في الخطاب، حسب جينيت، كما أنها تتمثل بعودة البطل إلى دمشق قادمًا من كوبنهاجن، ويشرع السارد منذ البداية في الحديث عن الأجواء العامّة التي يتصل بها البطل في تجارب متعدّدة ماضية، يؤخرها الخطاب ويرويها في مواقع كثيرة

وأماكن مختلفة، وخلال هذا السرد، يعود الراوي إلى الماضي القريب؛ فيذكر "تاتا" وإلحاحها عليه ليسافر معها إلى البرازيل، ثم يعود السرد إلى دمشق، ثمّ إلى العراق ليسجّل انطباعات ذهنية يحتفظ بها البطل عن وطنه، ولكنه يعود إلى "تاتا" ثانيةً، ثمّ يعود السارد إلى لحظة الحاضر السردي، ويقفز بعد ذلك ليتحدث عن مفردات كثيرة في الغرب، يروي لنا كيف تعرّف إلى "تاتا"، ويتضمن السرد في هذا الموقع حديثًا مسهبًا عن سمات البطل الجسدية، ثمّ زواجه من "تاتا"، وإنجاب طفلتين منه... ثمّ وبطريقة مباشرة يعود إلى دمشق، دون وجود روابط سببية أو زمنية، ولكنّه يلجأ إلى المجاورة السردية؛ فيتحدّث عن الحياة الدمشقية بشكل خاصّ والسورية بشكل عامّ، وفي أثناء ذلك يتعرّف على "هيام" العربية السورية، وينتقل إلى الماضي البعيد ليتحدّث عن حياة البطل في العراق من خلال استثمار قصص "سلمان" صديق البطل حول الهروب من الحرب، ولا يكمل السارد أحداث الماضي القديم في هذا الموقع، ولكنه يكمله في مواقع أخرى.

والحقيقية إن العودة المتواترة من الدنمارك إلى سورية والعكس هي استرجاعات داخلية، تقع بعد المنطلق السردي، بينما يكون استرجاع الراوي للأحداث المتعلقة بالبطل في العراق- خارجيًّا، وزيادة على ذلك فإنّ استعادة ما يتعلّق بـ"تاتا" بعد الاستغراق في الحديث عنها من خلال الاسترجاع الجزئي، إنما هو تكملة لما فاته، أيْ استرجاع تكميليّ. والمحدّق في النصّ لا يظفر على استرجاع كلّي، وإنما على العكس من ذلك تهيمن الاسترجاعات الجزئية التي يستكملها السرد لاحقًا. وفي دمشق يلتقي البطل، كما قلنا، "هيام": امرأة ناضجة لها تجاربها الغنيّة، وحياتها المليئة بالمغامرات، ولا سيّما مع الرجال إلى حدّ يخرج بشكل سافر عن المتواضع الاجتماعي. وحتى لا يبقي الراوي هذه المسألة غامضة، يستثمر الاسترجاع للحديث عن طفولتها المعذّبة؛ ليفسّر أسباب انحرافها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الراوي يستثمر الحديث عن "هيام" للعودة إلى "تاتا" ويسترجع أحداثا تتعلق بعلاقة البطل بالغرب؛ فيوظف الاسترجاع هنا للمقارنة الحضارية. ويمكن القول إنه قلّما نحظى بذكر "لتاتا" إلاّ من خلال الحديث عن "هيام"، أو العكس؛ والكاتب هنا يستخدم معظم أنواع الاستدعاء: فالشخصية تستدعي شخصية أو مكانا أو

حدثا (غالبا ما يستدعي ذكر "هيام" الحديث عن "تاتا" أو الدنمارك، أو أحداثا بعينها: سفر "تاتا"...)، والمكان يستدعي مكانًا أو حدثًا أو شخصية (فدمشق تستدعي بالضرورة كوبنهاجن أو "تاتا" أو الأحداث التي عايشتها الشخصية ثمّةَ)، والقول نفسه ينطبق على الحدث؛ إذْ نرى أنه يستدعي حدثا أو مكانا أو شخصية (فاللقاء الأول بـ"هيام" استدعى شخصية "تاتا" وما يتعلق بها من أحداث في كوبنهاجن أو سان باولو في البرازيل).

يوظّف الاسترجاع في الرواية للتفسير والتحليل والتأويل وتسجيل إدراك الشخصية للموجودات من خلال الراوي العليم، زيادة على وظائفه التقليدية كإضاءة شخصية ما من خلال الأحداث أو الشخصيات الأخرى أو الأماكن، كما ألمحنا عند الحديث عن أضرب الاستدعاء، أو التمهيد لإدخال شخصية ثانوية في السرد. ويمكن القول أيضًا إن الاسترجاع يحمل التلخيص؛ فيعمل لذلك على التكثيف ويُضفي نوعا من الشعرية على الخطاب الروائي بالتضافر مع أساليب أخرى كاللغة والتداخل الزمني وغير ذلك. يوظّف الاسترجاع أحيانا للمقارنة بين حضارتين أو ثقافتين؛ فالبطل يجلس في لحظة السرد الحاضر في مقهى في دمشق، ويلاحظ أن العيون تعريه وتدخل دونما استئذان إلى أغواره، ويقود هذا السلوك الراوي لاسترجاع مواقف متشابهة في الدنمارك: يُخْبر البطل أنّ التحديق في العينين غير مرغوب به، فالإسكندنافي يمقت نظرة الغريب الثابتة، وتلك عادة توارثوها... خاض أكثر من شجار بسبب ذلك، إذْ بقدر ما يخشى النظر في العيون ينجذب إليها أيضًا..."[٧١]. ويسجّل البطل من خلال الراوي إدراكًا للطيور؛ ففي دمشق يرى الحمام بألوانه المختلفة يطير بعيدًا، ويأخذه هذا المشهد مباشرة إلى كوبنهاجن؛ إذْ يتجمع الحمام في الساحات العامة وفوق سطوح المنازل وعلى ضفاف البحيرات، ولا يتذكر أنه يراه يطير كما في دمشق/ الآن "هل هو الدفء (يتساءل) هل هو إيقاع روح المدينة، إيقاع بشرها وحيواناتها وديدانها وهوائها وأبنيتها وشوارعها وضيائها؟"[٧٢]، وإذا ما تجاوزنا الأمان والاستقرار والكفاية، فإنّ الاسترجاع يشي بالخمول والكسل...ولا ينسى البطل أن يسجل إدراكا لمعاملة الشرقيين القاسية للحيوانات إذا ما قورن بمعاملة الغربيين لها[٧٣].

وتتم المجاورة بين القيم المتضاربة من خلال الاسترجاع في وحدات سردية

صغرى يربط بينها التجاور المكاني، ولا تعوّل على مبدئي السببية والزمنية، ففي الوقت الذي يسرد فيه الراوي ذكريات سلمان في العراق وهروبه منه إلى سورية، والحديث عن الأحياء الشعبية بالقابون وتحليل مفردات الحياة الاجتماعية المفعمة بالبؤس والفقر والكرم- ينتقل السارد إلى الدنمارك ليتحدث عن بيت البطل وزوجته والقط "بيليه" بشكل يكشف عن مدى الهوة التي تكشف بين الثقافتين؛ إذْ يحظى القط بالرعاية والاهتمام، مع أن البطل ينظر إليه بازدراء وحقد واحتقار منطلقا من تكوين ثقافي قديم، فيحاول التخلص منه، ولكن القوانين تشترط الرعاية الطبية للقط. وفجأة نقرأ سردا غامضا يُشكّل حُلُما لنجد الشخصية تنتقل من جبال ثلجية إلى بيوت من الطين، وعندما تستيقظ تجد نفسها في "برزة" تستقلّ حافلة مع مجموعة من الناس إلى "عين الفيجة"[٧٤].

يسيطر التداخل الزمني على بناء الأحداث بشكل لافت؛ إذْ يختلط الماضي البعيد بالقريب بالحاضر، زيادة على التنبّؤات التي تستفزّ الشخصية في تصوّرها، مثلاً، للشرق عامة ولدمشق بشكل خاص قبل العودة إلى الشرق. تبرز أسئلة كثيرة لعلّ أبرزها ما يتعلّق بالتغيير الذي طرأ في بلاده خلال غيبة دامت أعواماً، كان التصور الواقعي القديم مستقرا في وعيه، ولكن ذلك لم يمنعه من وضع تصور موازٍ لما آلت إليه بلاده، ولا سّيما دمشق! وتجدر الإشارة هنا أن إعلانات الشخصية وتنبّؤاتها لا تستغرق سعة نصية كبيرة كالتي يستغرقها الاسترجاع، وزيادة على ذلك فإن الإجابة عن مدى تحقق هذه التنبؤات تأتي بُعيد التنبؤ في غالب الأحيان؛ ففي الوقت الذي يحاول فيه تذكر دمشق الماضي، تمضي به السيارة إلى ساحة المرجة، ليكتشف أنه ليس قادرا على قراءة ملامح دمشق التي غادرها منذ عشر سنوات، ويلجأ إلى المباشرة في تقديم رؤيته: فهل جاء هذا التغيير من تطور الحياة الطبيعي، أم أن وعيه بالأشياء والموجودات أثناء وجوده في الغرب جعله يتوهم هذا التغيير، فيسأل نفسه: "من تغيّر هو أم هي"[٧٥]. ما تغير في دمشق لا يتجاوز المظاهر الماديّة: المباني الضخمة والمحال التجارية، وتسلل بعض القيم الغربية المادية، والانفتاح الاقتصادي...أمّا التغير في الوعي وطرق التفكير فظلّ يشكّل مجال حيرته؛ لأنه شعر أن كثيرا من المظاهر الحياتية القديمة لا زالت مهيمنة: لاحظ في المقهى الذي ارتاده

عـدد مـن الرجـال: يرتـدون الكوفيـات يتكلمـون اللهجـة بدويـة لم يسـمعها منـذ أعوام طويلـة... ذكّـره الجَـرْس والكلمـات والمصطلحات بأيّام الطفولة، الحياة البسيطة الـتي وجـد نفسـه فيهـا، ثـم يـذكر أسمـاء أشخاص تُطـلّ بملامـح واضـحة، كوفيـات ودشاديش وعقـل وأحذيـة حمْـر وسـراويل طويلة من البوبلين، لكـنّ ذلـك كـان عالمـا مرّت على اندثاره عشـرات السـنوات[٧٦]، ويمتـزج في هـذا الاقتبـاس الاستشـراف بالاسترجاع؛ ففي حين يكون الحـديث فيـه عن التحقق من التغير الذي أصاب الأمكنة والنـاس، يسـتثمر السـارد هـذا الاسـتباق للحديث عن أنّ مظاهر الناس لم تتغيّر، وأنّ الشخصـيات الـتي يراهـا الآن تسـتدعي شخصيات قديمـة؛ لأنهـا لا زالـت تحـتفظ ببعض ملامح القديم، والأسماء التي ذكرها هـي عراقيـة بالضـرورة؛ لأنهـا تعـود إلى طفولته، كما أن هذه الأسماء ليست مجـرّدة من الأفعال، فكلّ اسم له قصة وفعل معيّن جعـل الشخصـيّة تتـذكره، وتُعيـد تصـوّره بشكل يقارن فيه بين الماضي والحاضر، مـن جهـة، ويوقّـع علـى بـطء التغيّـر في طـرق الـتفكير، وعـدم مواكبـة الـوعي للتقـدم العمراني ومظاهر الحياة المستوردة من جهـة أخرى.

وثمّة أمثلة علـى الاسـتباق في مواقـع متفرقة من السرد، تكون نتائجها علـى غـير ما يُتوَقَّع، فعلى سـبيل المثـال، كـان البطـل يتوقـع، بعـد أن تعـرّف علـى "هيـام" مـدّة أسبوع، وكيف أثرت علاقته بها في نفسـه- أنه مُقدم على مرحلـة جديـدة مـن حياتـه، يعيش فيها مع سيّدة جميلة تحبّـه، ويسـتطيع هو التواصل معها لغة وثقافة، كمـا يصـرح النص، ولكن تنبؤاتـه وتصـوراته لم تفلـح؛ فقـد أخفـق في خلـق علاقـة وديـة وأليفـة وإنسانية مع "هيام"، علاقة أطـاح بهـا غيـاب البـوح الصـادق مـن كليهمـا، فضـلاً عـن الشـك والغمـوض والسـرية، والممارسـات الشاذة؛ ممـا شـكّل جـدارًا منيعـا كـان مـن الصعب على كليهما اجتيازه! ويمكن القول باطمئنـان إنّ التـداخل الـزمني مـن خـلال الأحـلام والتـداعيات وتوظيـف تقنـيتي الاسـترجاع والاستشـراف، واسـتثمار الاسـترجاع بأنواعـه كافَّـة في تحليـل القـيم والعادات والعلاقـات الإنسـانية، ومظـاهر السلوك، واستحضار الأمكنة بمـا تكتنـز بـه من معان ودلالات، وما تعكسه مـن قـيم- كل ذلك جعل الخطـاب الـذي بـين أيـدينا ينأى بنفسه عن السرد الطـولي أو الميـل إلى الرصد التاريخي المتتـابع أو توظيـف "الوقفـة" الطويلـة المسـتغرقة في وصـف الأشـياء

والنفسيات والأمكنة، دون أن يعني ذلك البتة غياب المقاطع الوصفية التي تأتي ممتزجة بالسرد من خلال صور تعبيرية أو سردية، كما سنرى.

الاستغراق الزمني/ الديمومة:

يوظف هذا المصطلح في دراسة العلاقة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، ويسمّي جينيت هذه العلاقة "سرعة النص"(٧٧)؛ إذْ تشير إلى النسبة بين المساحة النصّيّة وزمن الحدث المتضمّن فيها، ومن المعروف أنّ المساحة تقاس بالأسطر والفقرات والوحدات السردية، بينما يقاس الزمن بالساعات والأيام والأسابيع... وهكذا. والاستغراق، عادة، إمّا أنْ يكون تبطيئًا للسرد أو تسريعًا له، ويتوفّر الاستغراق على الحذف والتلخيص والمشهد والوقفة. ولعلّه من التزيّد الإسراف في سرد الأمثلة؛ ويكفي الإشارة إلى ما قد يحمل دلالة. فمن أشكال التسريع السردي التلخيص أو الإيجاز؛ ويقصد به الاكتفاء بمساحة نصية مكثفة لسرد أحداث تستغرق وقتًا طويلاً. ومن أمثلة ذلك إيجاز "سلمان" مدّة سبع سنوات في مقاطع استرجاعية قصيرة نسبيًّا، إذْ يتحدّث عن معاناته طوال هذه السنوات، كما رأينا في مواقع سابقة من هذه الدراسة، يختبئ في القرى المحيطة ببابل لا يخرج منها إلاّ ليلاً؛ خوفًا من مطاردة الأجهزة الرسميّة، ويأتي هذا الإيجاز، في الحكاية، قبل قدومه إلى سورية. ولعلّ هذا التلخيص المعبّر، في صفحة واحدة تقريبًا، يشير إلى أنّ المتلقي على معرفة بما حدث في العراق في أثناء فترة حرب الخليج الأولى، وأنّ الإمعان في تحليل هذه الفترة لا يضيف جديدًا، بمقدار ما يُلمح إلى فترة تاريخية حقيقية، وزيادة على ذلك فإنّ هذا الإيجاز الشديد قد يُعدّ بديلاً فنيّا لإدانة مرحلة كاملة خضعت لها الشخصية، وتروم تهميشها ونسيانها بشكل مقصود. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المرحلة تتضافر مع مقاطع سردية أخرى في إضاءة شخصية الرواية/ البطل، وتكشف عن أسباب هروبه ولجوئه. ومن الأمثلة الأخرى على التلخيص إشارات البطل العابرة إلى طفولته وعلاقته بوالدته، وبعض الأجواء العامة في القرى العراقية، وقد جاء كلّ ذلك ملخّصًا مُكثفًا للتعبير عن شكل حياته في العراق قبل الهجرة، مع أنه يأخذ شكل الذكريات البعيدة التي يختلط فيها الحلم بالواقع، والتي تقدّم مُفعمة بالشوق والحنين الجارف إلى موطن الصبا، وتُحمّل

من معاني الألم والتعبير عن الغربة ما لا يخفى على القارئ المتأنّي.

أمّا الحذف فيقصد به المرور على فترات زمنية طويلة دون سرد ما تحتضنه من أحداث، أو الاكتفاء بجمل قصيرة تفتقر في كثير من الأحيان إلى المعنى. ويأتي الحذف معلنًا مُحدّدا أحيانا وضمنيا أحيانا أخرى، وفي الحالتين كلتيهما نظفر، في مواقع لاحقة، بسرد لبعض الأحداث التي يُظنّ أنّ السارد تجاوزها، وغالبًا ما يأتي ذلك من خلال الاسترجاع. ومن أمثلة الحذف المعلن الصريح تحديد السارد للفترات الزمنية، كقوله: وبعد سنتين، وبعد أسبوع، ومرت خمس سنوات...إلخ، أما الحذف الضمني فيمثلّه ولادة ابنتيه؛ فلا يعرف القارئ ماذا حدث أثناء الحمل، أو الأحداث التي واكبت حياته في أثناء ذلك. ولعلّ أبرز أمثلة الحذف المرور سريعا على حياته في العراق، وإذا كان الكاتب لجأ إلى التلخيص أحياناً، فإنه تجاوز كثيراً من مفردات حياة بطل الرواية في بلاده، ولعلّ ذلك يعود إما إلى أنه رأى أن الحديث عن حياته الكاملة في العراق لا يعدو أن يكون حشوًا لا مبرر له؛ فيعمل على تضخم العمل، أو إلى أنه تقصّد التعتيم على بعض الأحداث التي عاشها، وتغليفها بالأسرار؛ حتى يخلق مسافة بين السارد والبطل من جهة، وبين البطل والكاتب من جهة أخرى، وزيادة على ذلك فإن الإمعان في تحليل المراحل الأولى لحياة البطل قد يُعدُّ أمرًا مُحرجًا، ولا سيّما إذا نُظِرَ إلى الظروف السياسية السائدة في العراق في الفترة التاريخية الواقعية نهاية السبعينات وبداية الثمانينات.

إنّ ما يُلْفت الانتباه في "موطن الأسرار" احتفالها بالوصف إلى حدٍّ كبير، والوصف سواء أكان متعلقا بالأشياء والأماكن أم بتحليل الشخصيات ينحى، كما سنرى، منحىً متميّزًا؛ إذْ يمتزج الزمن بالأشياء والأشخاص، وهو أمر يُسجّل للروائي وقدرته على تقديم صور سردية، دون التعويل على تقديم رقعٍ وصفيّة يمكن بترها من البناء دون أن يُفضيَ ذلك إلى خلخلة هذا البناء. وقبل تحليل هذه المسألة تجدر الإشارة إلى أنه يمكن الافتراض نظريًّا وجود مبانٍ حكائيَّة تتكئ على السرد الطولي الذي يبدأ من نقطة زمنية معينة -منطلق سردي- ويستمرّ حتى نهاية السرد، وهنا يكون الحدث هم المهيمنَ، ويتطابق المبنى الحكائي مع المتن المكون له، وربما يبرز ذلك في بعض الحكايات الشعبية، أو حكايات الأطفال التي تغيّب الوصف بشكل

ملموس؛ ليكون الهدف هو التسلية والحثّ على المتابعة. في هذه الحالة يفقد المبنى الحكائي جمالياته الأسلوبية، ويغدو رصفًا لسلسلة من الأحداث، وهو أمر لا يبدو مقبولاً في الخطاب الروائي الفنّي الذي ينبني أصلاً على المواءمة بين السرد والوصف؛ لما للوصف من وظائف جليلة تكشف عن نفسيات الشخصيات الروائية وتفسّر القيم والعادات والتقاليد وتحلل العلاقات الحضارية والإنسانية، وتُسْعف القارئَ في رصد حركة المجتمع. لا يمكن تصوّر سرد غير ممتزج بالوصف بصورة أو بأخرى؛ ولعلَّ هذا ما حدا بجينيت إلى القول: "إنّ الأشياء يمكنها أن توجد بدون حركة، ولكن الحركة لا توجد بدون أشياء"(٧٨)، وجينيت، وإن كان يُعْلي من شأن الزمن، فإنه يُلفت الانتباه إلى أهمية الوصف في تحرير الأشياء والشخصيات من سكونيتها.

ويمكن التأكيد ثانية على أنّ حركة الشخصيات لا يمكن أن تقدّم بمعزل عن أشكالها وسماتها النفسية والجسدية، سواء أكانت شخصيات إنسانية أم كائنات متخيّلة، وزيادة على ذلك لا يمكن تصوّر وجود أحداث تجري في فضاء زمني مجرّد، وإنما تجري على أمكنة يقوم الكاتب بخلقها وخلع الصفات عليها.

ولكن الوصف لا يعني تجميد الزمن كليّة أو إقصاءَه لصالح تقديم لوحات وصفية يمكن بترها من سياق السرد. وحتى في تنظيرات الشكلانيين والبنيويين عن الديمومة ولا سيما الوقفة، فإنهم لم يقصدوا ما فهمه بعض الباحثين من أن الوقفة تعني أن يكون الزمن صفرًا والمساحة النصية طويلة، إن الوقفة الوصفية لا تعيق حركة السرد، بل العكس من ذلك، قد لا تُفْهَمُ دلالة السرد ورسالته إلاّ من خلال الوقفة سواء أكانت تامّة أمْ ممتزجة بالسرد، بحيث يغدو بتر الوقفة الوصفية إخلالا بالسرد وإعاقة لتقديم المعنى. إنّ المكان المتخيل أو الحقيقي في المبنى الحكائي لم يعُدْ خلفية للأحداث، وإنما أصبح دلالة لا يمكن فهم النص دونها، وربما لا نبالغ إذا قلنا إن الوصف يُذكي الصراع في المبنى الحكائي بوصفه حاملاً لكثير من القيم والعادات والإيديولوجيات؛ فأصبح بإمكاننا الحديث عن الصراع بين الريف والمدينة أو الصحراء والمدينة، أو الغرب والشرق، وزيادة على ذلك فإن الحديث عن الأمكنة قد يشير إلى تسجيل مواقف سلبية أو إيجابية تجاهها، فثمة ما يسمى أمكنة الألفة والانتماء وأمكنة الطرد والعداء.

و"موطن الأسرار" عمل روائي يستغرق في وصف الأمكنة ومفردات الطبيعة الصامتة والصائتة، ناهيك بتحليل نفسيات الشخصيات وسبر أغوارها، وقلما نجد وحدة سردية صغرى أو كبرى تخلو من تحليل وصفي للناس أو الحيوانات أو الطيور أو النباتات أو الجبال والأنهار والبحار...إلخ. والرواية، وهي تفعل ذلك، لا تفصل بين الأشياء وجريان الزمن؛ ممّا يجْعلنا نؤكّد، ابتداءً، أنّنا إزاء صور سردية تعبيرية يمتزج فيها الزمان بالمكان والأشياء بالأحداث؛ ولأنّ الرواية مبنية على هذا المنحى، فإنّ الإسراف في ضرب الأمثلة يبدو حشوًا في دراسة لا تسعى إلى تحليل الوصف في بحث مستقلّ، وإنما يأتي الحديث عن الوصف هنا بوصفه أحد تجليّات العلاقة بين المساحة النصية وزمن المتن أو القصة المشكلّة للخطاب بقطع النظر عن تعدّد المصطلحات. ويطالعنا هذا المزج بين الحركة والسكون، بين السرد الزمني والوصف المادّي منذ بداية الاستهلال السردي، ففي حديث السارد عن عودة البطل إلى دمشق، وإشارته إلى الشرق الذي حلم به طويلاً، يقول: "الأفق يشاهده ويتنشّق غباره، الأصوات يسمعها: القبرة في جزرة الحلفاء، المعزى على كتِف الساقية، الديك فوق سارية الزريبة. احمرار خفيف لفجر قادم على عربات من تين، يتفتق عن دفقات ضوء وذؤابات أشجار بعيدة خلف شارع المطار والقرى النائمة. العطور من النساء والبخور في الشعور الطويلة. لا ضجّة في المطار، عمال الوجبة الصباحية، والمسافرون القادمون توًّا. كان هناك عدد من الشرطة وسائقي تاكسيات لحوحين يعرضون خدماتهم. في الأبهاء نائمون ينتظرون طائراتهم أو مستقبليهم. جلس يثرثر مع مسافر رافقه في الرحلة..."[٧٩]. وعند النظر في هذا المقطع الطويل، يمكن القول إن الوصف لا ينفصل عن السرد من حيث الحركة واللغة والدلالة وتكامل أركان الصورة من زوايا البصر والشم والسمع واللمس. ونحن نرى بوضوح امتزاج الأشياء والكائنات بالأفعال، بالمعنى النحْوي للكلمة، مما يُعطي انطباعًا بحركية الوصف وتماهيه في الزمن: فأفعال كـ: يشاهده، يتنشّق، يسمعها، يتفتّق أو الأفعال المضمرة التي يمكن رصدها على النحو الآتي: القبرة (تقبع)، المعزى (تقف)، الديك (يقف)، العطر (ينبعث)...أو استخدام اسم الفاعل (قادم)، كلّ ذلك يشي بالحركة وكثافة الحضور، وكأنما يضعنا السارد أمامَ مشهد من الأشياء والكائنات

مُشَاهَدَةً وهي تتحرك، وزيادة على ذلك فالوصف يقدم أفقًا للحياة الدمشقية/ الشرقية ويُفصح عن مجتمع يختلف عن المجتمع الغربي الذي غادره البطل على التوّ؛ فثمة مجتمع يُعنى بتربية الماشية والطيور، كما يعنى بالزراعة والاتجار بها، فضلا عن الإشارة إلى قرى نائمة تنبعث من جوانبها روائح العطور والبخور...ولعلّ المرأة هنا تعدّ مفردة من مفردات الطبيعة الشرقية، تشكّلت مع تشكّل هذه الطبيعة الحية المتحركة النابضة بمنظومة من القيم والعادات. إنّ الوصف هنا يقوم بدور تمهيدي يمنحنا فرصة الولوج إلى المجتمع الشرقي بأماكنه وناسه، ولا سيَّما المرأة التي شكلت وتشكل هاجسًا لبطل الرواية بوصفها أداة من أدوات المقارنة بين الشرق والغرب، أو رمزًا للوطن/ الأم والرحِم، كما فصّلنا القول في ذلك.

ويقدّم السارد مقطعاً وصفيّاً آخر لمشاهد يُطلّ عليها البطل من مقهى "الكرنك"، ويستثمر السارد هذه المساحة لتقديم مجموعة من اللقطات التي يمتزج فيها الوصف بالسرد: "برج الإسمنت الأبيض ينتصب كأنه مارد، يحمل في رأسه بناية محطّة أو قصرًا بطراز ليس قديمًا. سيسأل عن سرّه في الأيّام القادمة. لا يتذكّر أنه كان موجوداً قبل عشْر سنوات. هل كان موجوداً؟

البنايات العالية طوّقت الساحة، فندق وعمارة وبناية غير مكتملة، فنادق ترصّع واجهاتِها إعلانات بلغات أجنبية وصور وأسماء أطباء ومحامين. أصبح في الوسط ساحة مشجّرة خضراء، وفي المنتصف النُّصُب الأسود القائم على عمود يُطل على الساهرين والنساء والشوارع. وفي المقهى عددٌ من الرجال يرتدون كوفيّات، يتكلمون بلهجة بدوية لم يسمعها منذ أعوام طويلة وودّ لو يمتدّ الوقت، وقت ارتشافهم الشاي بصوت مسموع إلى الأزل. ذكّره جرس الكلمات والمصطلحات بأيام الطفولة، الحياة البسيطة التي وجد نفسه فيها. جاسم العكران، عناد، سعيد الوزان، محمود الساعي، جده، أسماء تطلّ بملامح واضحة، كوفيات ودشاديش وعقل وأحذية حمر... لكن ذلك كان عالَما مرّت على اندثاره عشرات السنين"[٨٠]. إنّ هذا الوصف يكشف بالضرورة عمّا أصاب دمشق من تغيّرٍ لم يشهده البطل عندما كان يعيش فيها قبل عشر سنوات، وتحمل هذه المكوّنات الجديدة قيماً جديدة وتتوفّر على

مفردات أصابت السطح من الزوايا الثقافية والعمرانية. والنّصّ يشي هنا بالانفتاح الذي بدأ المجتمع السوري يعايشه، إنه دلالة صارخة على بداية الدخول في نظام جديد، "العولمة"، دون أنْ يُفضي ذلك إلى تغيّر في الرؤى والمفاهيم القارّة، وكأن هذا الجديد لم يصب الأعماق كما أثّر في القشور والمظاهر الخارجية، وزيادة على ذلك نلاحظ انفتاح المجتمع السوري على جيرانه من العرب والآخرين. ويمكن التأكيد على أنَّ الوقوف عند الأمكنة يوظّف تقنية استدعاء؛ إذْ يستدعي المكان المكتظّ بالشخصيات ما يتصل بها من عادات وقيم وأحداث، يُحيي المكان ما كاد يندثر من مخزون الذاكرة: جرس الكلمات والمصطلحات المتصلة بأيام الطفولة والحياة البسيطة. ويبدو أن الشخصيات المذكورة لا تعدو أن تكون من حيث كونها غائبة يستدعيها المكان، طللاً يقف عليه البطل؛ ولكنه يُعيد إلى الشخصية جزءًا من وعيها بالماضي يتمنّاه ويشتاق إليه، ويطلّ الماضي برأسه بين لحظة وأخرى، يربطها بماضيها.

إنّ هذه الرقعة الوصفية تمزج الأشياء بالأحداث، فالبرج الإسمنتي يستدعي ذاكرته الدمشقية قبل عشر سنوات، ليسأل عن حقيقة وجوده. واستدعاء الماضي البعيد/ الطفولة قد يُعدّ أيضًا سرداً مُتضمّنًا في الوصف. إنّ مجمل الصور المقدّمة هنا وفي مواقع أخرى هي صور تعبيرية سردية وليست وصفية بحتة يمكن اختزالها من سياق السرد دون أن يختل البناء؛ لأن اختزال هذه الصور وحذفها يقودان إلى إعاقة فهم الدلالات التي أراد الكاتب إيصالها، وزيادة على ذلك، فإن الوصف يكتسب أهميته من ارتباطه بالناس بكلّ ما يمثلون.

ويُستثمر المكان أحيانا للمقارنة الحضارية، أعني العلاقة بين الشرق والغرب؛ فجوّ الألفة الذي يشيع في دمشق، وجرأة الناس في النظر إلى الآخرين حدّ التعرية، يقدّم فرصة للحديث عن رفض الغربي لهذا السلوك، ويشير في الوقت نفسه إلى الحياة الفردية الغربية، وكما قلنا في موقع سابق يوظف المكان الشرقي لاستدعاء الآخر الغربي، فحمام دمشق الذي يطير بعيدًا يختلف تماما عن حمام كوبنهاجن. ويقدّم السرد أحيانا تصويرًا بانوراميا تمتزج فيه مفردات الأمكنة بالبشر والروائح والألوان والأصوات والأذواق... بشكل لا ينفصل عن الحدث الذي تلبّس فيه؛ إذْ يمتزج الزمن بالأشياء على نحو

شعري أخّاذ ليشكّل صورة متكاملة. وقد يشكّل المكان جزءا من ذات الشخصية وجوهرها إلى حدٍّ يجعل الأمكنة والأشياء وما تحمله من قيم عصيّة على الموت[٨١]. وقد يميل الكاتب أحيانًا إلى تقديم مفردات المكان، أو يصرّح بألفته للمكان بطريقة تقريرية مباشرة[٨٢].

ويجب التأكيد على أن الكاتب لا يكتفي بمستوى أو اثنين من مستويات الوصف للمظهر الواحد وإنما نجد أحيانا احتفاءً بتعدّد المستويات وغناها؛ ولعلّ من أبرز الأمثلة على ذلك وصف هدية "هيام" للبطل، إذْ يتجاوز الوصف خمسة مستويات مرتبطة بالسرد، وتحمل دلالات تكشف عن خواطر الشخصية "هيام" وما يعتلج في دواخلها: "علبة صغيرة جدًّا، ملفوفة بورق علي أزهار حمْر، مربوطة بخيط فضيّ، فتح الخيط بعجلة بانت العلبة البلاستيكية التي أزاح غطاءها فأصابته الدّهشة. لم يكن يتوقّع الهدية. ثمّة صليب صغير من الذهب، وقرآن صغير من الذهب أيضا" [٨٣].

ويمكن بيان تعدد المستويات على وفق الترسيمة التالية:

١. **علبة**

٢. **صغيرة بلاستيكية ملفوفة بورق**

٣. **عليه أزهار**

٤. **حمر** مربوطة **بخيط**

٥. **فضي**

الرؤية السردية: [البطل/السارد/ الكاتب]، وأدب الاعترافات:

استقرّ في وعي النقّاد أنّ الرواية لا تقدّم من خلال صوت الكاتب، وإنما تُقدّم من خلال سارد/ راوٍ يصطنعه الكاتب، فهو لا يعدو أن يكون، عند كثيرين، شخصيّة متخيّلة تتكفّل بسرد الأحداث وتقديم الوظائف السردية من وصف وتأويل وتقييم... ويرى رولان بارت أنّ السارد ليس شخصا حقيقيا وليس الكاتب الحقيقي المشكل من لحم ودم "بل إن الرواة في نظره كائنات من ورق"[٨٤]، بيْدَ أنّ آخرين يرون أن رؤية السارد قد تتطابق، إلى حدّ ما، مع رؤية المؤلف؛ فيحمّلها المؤلّف شيئا من مواقفه تجاه الأنا والعالم. وينـاقش أوسبنسكي هذه المسألة في حديثه عن المنظور؛ إذْ يرى أن موقع الراوي قد يتطابق أحيانًا مع موقع الشخصية، كأنه هو الذي يقوم بالسرد من النقطة التي تقف فيها الشخصية، ويلازمها بصورة مؤقتة أو على طول السرد، وبذلك يحتلّ الموقع المكاني نفسه الذي تحتله الشخصية، وهنا يمتزج

الراوي بالشخصية، ويتبنّى، بصورة مؤقتة، أنظمتها الأيديولوجية والتعبيرية والنفسية، وبالتالي تكشف وجهة النظر الذي يتبنّاها **المؤلف** عن نفسها على جميع المستويات المقابلة لها لدى الشخصيّة(٨٥). وقبل الحديث عن العلاقة بين البطل في "موطن الأسرار" وعلاقته بالسارد والمؤلّف، تجدر الإشارة إلى أنّ الرؤية السردية مصطلح يشير إلى من يتكفل برواية الأحداث، وللراوي تقسيمات عديدة لا أرى أن استيعابها في هذا البحث يبدو ذا قيمة أو يضيف جديدًا، غير أن الإشارة إلى الرؤية الموضوعية التي توظّف في الرواية التي بين أيدينا تبدو ضرورية. وتكون الرؤية موضوعية عندما يتكفّل بالسرد راوٍ عليم، أو تكون الرؤية من الخلف حسب بويون وتودوروف؛ إذ يعلم السارد أكثر مما تعلم الشخصيّة(٨٦)، ويطلق اسم الحكاية ذات التبئير الصفر، حسب جينيت(٨٧)، على الحكاية ذات الراوي الكلي العلم.

وبقطع النظر عن تعدد المصطلحات، فإن الراوي في "موطن الأسرار" هو الراوي الكليّ العلم، أو الكاتب الضمني أو ذات المؤلف الثانية – على وفق تعبير وين بوث–(٨٨). إنّ الراوي يعرف كلّ صغيرة وكبيرة، ويرافق الشخصيات إلى الأماكن؛ فيسافر حيث تفعل، ويغوص في نفسياتها، وينقل لنا مناجاتها، وأفكارها الخاصّة. والحقيقة أننا نادرًا ما نسمع صوت الشخصية، وإن حدث ذلك في مواقع قليلة، فإنما يتمّ ذلك من خلال الراوي العليم بوصفه ناقلا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. إنّ لدى الراوي هنا معرفة شمولية تمكنّه من تحليل القيم والعادات والتقاليد، كما تمكنه من المقارنة بين الأنا والآخر من خلال ما يسرده، أحيانًا، أو من خلال محكي الأقوال أحيانًا أخرى؛ فغالبا ما نراه، على سبيل المثال، يستدعي شخصية "تاتا" عند الحديث عن "هيام"، وينطق كلتيهما بما يدعم رؤية معينة، دون أن يُعطيَ أيًّا منهما حرية التعبير دون تدخّله. والسارد يشرح ويعلّق ويطلق أحكام قيمة، ويبدي الآراء؛ وهو هنا يقدّم وظيفة سردية تأويلية، أي أنه يقيّم الأحداث والشخصيات بوصفه عالما بالخلفيات النفسية والذهنية والاجتماعية لشخصياته. إنه يُعطي أمثلة تشي بالتصاق السارد بالمؤلف، كما يرى سعيد بوكرامي في دراسته لمجموعة محمد زفزاف "بائعة الورد"، ويرى الباحث أنّ التأويل في القصص وظيفة تتجاوز السارد ليضطلع بها المؤلف الضمني الذي يبرز في مواقع سردية

عديدة مُسْتلِذًّا هذا الدور الاستعاري الذي يقوم به بدل المؤلف الواقعي[٨٩].

إنّ الحديث عن وظائف السارد يُسهِمُ إلى حدٍّ كبير في الكشف عن إشكالية التماهي بين السارد والمؤلف الواقعي، ويشير بعضهم إلى أنّ الراوي بوصفه شخصية تخييلية قد ترتدي، في أحيان كثيرة، "أقنعة متناقضة تتراوح بين صورة مؤلف من لحم ودم وصورة شخصية ما، يبلّغ من خلالها السارد أفكاره"[٩٠]، ويتحدّث الهادي غابري عن سبع وظائف رصدها من خلال دراسته لرواية "باب الشمس" لإلياس خوري، وتتلخص هذه الوظائف فيما يلي: الوظيفة العامة أو الأيديولوجية، الوظيفة التأثيرية، الوظيفة التفسيرية، وظيفة ما وراء السرد، وظيفة الشهادة، الوظيفة الاتصالية، الوظيفية التقييمية، ويمكن بيسر أن يتجلّى بعض هذه الوظائف في "موطن الأسرار"؛ فالوظيفة التقييمية، مثلاً، "تركز على القيم وتُظهر الحكم الذي يصدره السارد بشأن الحكاية والشخصيات والقصة، ويتسم السارد بأنه عليم بخصائص تفاصيل الحكايات، وكذلك بمهمة العليم برغبات الشخصيات"[٩١]؛ فيصدر أحكامًا قيمية على ما يسمع ويعاين. ويتّضح ذلك في سرد حياة "سلمان"، وكيف تصلح أن تكون نموذجًا لمعاناة العراقي، والسارد، وهو يفعل ذلك، يعلم بحقائق الأمور ويكاد يكون شاهدًا عليها؛ وربما يعود ذلك إلى أنه اندمج بحياة الشخصيات وتمثّل أدوارها، وإذا اقترب السارد من الكاتب، يكون ذلك رؤية تقييمية من الكاتب نفسه، ولا سيّما أن السارد يُصدر هذه الأحكام من الخارج بوصفه كليّ العلم ورؤيته موضوعية؛ مما يشي بتلبّسه بالكاتب. إن استخدام مصطلحات بعينها أو وصف أمكنة واقعية أو متابعة أحداث تاريخية واقعية أو الإشارة إليها بطريقة مقتضبة، أو ضرب الأمثال- مما هو وارد في "موطن الأسرار"- يؤشّر عند بعض الباحثين على الخلط بين الكاتب والسارد أحيانًا[٩٢]، أي أنّ الكاتب يتسلّل بين الفينة والأخرى حتى يُرى وجهه ويُسمع صوته بوضوح، زيادة على أفعال تشير، مع وجود القرائن، إلى الكاتب صراحة؛ لأنّ القارئ قادر على التمييز بين الصوتين.

إنّه من الصواب القول إنّ السارد في المبنى الحكائيّ متخيّل يخلقه الكاتب، تمامًا كما أن الشخصية الروائية لا تعدو أن تكون تشكيلاً نصيًّا ومفردة من مفردات العمل الفني لا وجود لها خارج اللغة. ولكن من الصواب أيضًا القول إنّ الفصل

المطلق بين السارد والشخصية والكاتب يبقى أمرًا مستبعدًا؛ لأنّ السارد أو الشخصية تُعبّر، متضافرة مع عناصر أخرى كالمكان والثيمات الفكرية والزمن الواقعي، بشكل صريح أو ضمني عن رؤية الكاتب أو على الأقلّ بعض أفكاره. إنّ شخصيات العمل تُحيل إلى مرجعيات ثقافية واجتماعية معيّنة تجعل من بعض الأعمال سيرًا ذاتية روائية. ولعلّ ذلك واضح في "موطن الأسرار"؛ لأنّنا إذا قارنّا بين شخصية البطل غير المسمّى والكاتب أو بين المتخيّل السردي والواقع الموضوعي، نجد تشابها بين البطل والمؤلف الضمني والكاتب. ثمّة مؤشّرات على هذا التشابه في الجوانب المتصلة بالأمكنة وبعض الأحداث التاريخية دون أن يعني ذلك أن العمل الذي بين أيدينا يمثّل وثيقة تاريخية أو يُقصي الجانب التخييلي؛ إذ يتوسّل الكاتب بالخيال للتعبير عن معاناته.

إنّ نظرة متأنية في أسلوب السرد وأعني هيمنة السارد العليم، زيادة على الإشارات الدّالة- يمكن أن تسعفنا في وضع هذا العمل ضمن سلسلة من الأعمال التي تعكس حياة كتّابها كرواية "عصفور من الشرق"، و"موسم الهجرة"... إنّ الحديث المباشر عن حياة البطل في العراق، ووصف بعض الأماكن العراقية بشكل ينطبق إلى حدّ كبير مع الواقع يجعل من الرواية محاولة مراوغة لتقديم سيرة روائية؛ فالقارئ للرواية يظفر ببعض المواقع الوصفيّة التي تشبه قريته التي ولد فيها، يقول السارد: "شواطئ الفرات، ومزارع الباميا، وحفلات صيد الزرازير. الطائرات المحلقة في سماء بغداد في أول حرب عاشها..."، ويمكن مقارنة ذلك بوصف زعيم نصّار لقرية الحامضية- قرية الكاتب- التي تبعد عن الرمادي خمسة عشر كيلومتراً ؛ إذ يقول "وهذه القرية تحيطها البساتين ومياه الأنهار العذبة من نهر الفرات"[٩٣]، ويضاف إلى ذلك الإشارة إلى أنَّ بعض القيم في العراق وسوريا والدنمارك، زيادة على التوقيع على هروب بعض العراقيين من العراق إبان الثمانينات- ينطبق، إلى حدّ كبير، على المؤلف؛ فهو عراقي هاجر إلى سورية، ثمّ إلى الدنمارك ثمّ عاد يتنقّل بينهما[٩٤]. إنّ الأنباري استطاع أن يشيّد قارئه العربي أو الغربي من خلال تحليل الأمكنة والشخصيات لتكون مشتركات أو موحّدات نصية بين المؤلف والمتلقي؛ فالحديث عن العراق وسوريا إزاء الحديث عن الدنمارك يُحيل إلى أماكن حقيقية يتلقاها العربي والغربي، والحديث عن "تاتا"

إزاء "هيام" يدشّن متلقيًا ذا حضور ثقافي يستطيع من خلاله المقارنة بين منظومتين من القيم. ومن الموحدّات السردية بين المنشئ والمتلقي إشكالية الحياة والموت، وفيها نرصد تلاحما في هذه الثنائية، إذْ بمقدار ما يتوق البطل إلى حياة حرّة كريمة لم يحظَ بها في وطنه، يستيقظ ماضيه في الوطن ليلحّ على فكرة الموت: "يهمس له مرارا قائلاً: إنك لن تستقرّ في مكان، لن تجد راحتك إلاّ في القبر... مثل ابنتك سمارة"[٩٥]، ويُفْزِعُ حياتَه الماضي البعيدُ/ أمُّه كما يفزعه الحاضر؛ إذْ تنتهي علاقته بـ"هيام"- على الرغم مما تشكّله من تمرّد وحيوية- بالموت، ولا ينسى البطل مناظر الجثث والدّمار الدّالة على الموت في العراق. القارئ يتلقّى، إذن، مفردات عاشها المؤلف، وكأنما ثمّة تواطؤا ضمنيا بين المؤلف والقارئ الذي قدّمت له الرواية، وكلّ ذلك يدعم ما نذهب إليه من أن الرواية تقترب، إلى حدّ ما، من السيرة أو الاعترافات؛ وذلك لكثرة المتشابهات بين ما يرصده النصّ وما يعيشه الكاتب ويلتقطه القارئ؛ ممّا حدا بباحث عراقي عرض لثلاث رواية عراقية من بينها "موطن الأسرار"- إلى القول: "تنتمي هذه الرواية إلى روايات السيرة الذاتية، ولكن الكاتب يفلح في تحقيق مسافة كافية مع الذات المتكلمة في العمل بما يصنع من عمله رواية بالمعنى المليء والتام للكلمة"[٩٦].

إنّ استبدال ضمير الغائب -المهيمن على السرد في "موطن الأسرار"- بضمير المتكلّم الذي يقرّب الأعمال الروائية من السيرة الذاتية لا ينفي اقتراب الرواية من السيرة أو الاعترافات على الأقلّ؛ لأنه يمكن- كما يرى البنيويون- أن نضع ضمير الغائب بدلا من المخبر عن نفسه؛ فيتحوّل السرد إلى موضوعي أو لا شخصيّ، والعكس جائز أيضًا، أيْ أن نضع ضمير الغائب مكان المتكلم، ويأتي ذلك نوعا من المراوغة من المؤلف ليتّقيَ شبهة الاعترافات المحرجة. ومن جهة أخرى هناك سيرٌ ذاتية كـ"الأيام"، مثلاً، توسّلت بضمير الغائب للتعبير عن حياة طه حسين، والأمر نفسه ينطبق على "عصفور من الشرق" إذْ عوّل الحكيم على ضمير الغائب على الرغم من إجماع كثير من الدارسين على أنّ هذه الرواية مع روايتيه "يوميات نائب في الأرياف" و"عودة الروح" تمثّل سيرة ذاتية متكاملة لحياة الحكيم، فضلاً عن اعتراف الكاتب نفسه في كتابه "زهرة العمر" كما هو معروف، بأنّ "أندريه" الفرنسي، صديق

"محسن" بطل "عصفور من الشرق" شخص حقيقي يعرفه الحكيم.

وأخيراً فإنّ قراءة هذه الرواية في سياق روايات اللقاء الحضاري تؤكّد تجربة الكاتب الشخصية؛ إذْ إنّ الذين كتبوا مثل هذه الرواية إنما انطلقوا من وحي تجاربهم الشخصية وواقعهم المعيشي في الغرب، وفي ذلك يقول إلياس خوري: "على أنّ الذين كتبوا حول المسألة، إنما انطلقوا من تجربة ذاتية، وهذا قد يكون صحيحا على مستوى الواقع، ولكن التجربة الذاتية لا تكتسب أهميتها إلاّ من خلال القدرة على تعميقها"[٩٧]، ويؤكّد طرابيشي هذه المسألة عندما يرى أنّ أبطال روايات اللقاء الحضاري هم من المثقفين، وكلّ رواية هي تجربة ذاتية، حتى لو لم تروَ بضمير المتكلّم، وبهذا المعنى فإن الرواية العربية الحضارية تستحيل إلى ضرب من الاعترافات، ولئن لم تسرد بضمير الأنا، فهذا بلا ريب، وفي معظم الأحوال، يعدّ تحاشيا لقيام القارئ بإجراء عملية مماهاة أو توحيد في الهوية بين البطل والمؤلف[٩٨]. ويمكن القول إذن إن الرواية التي بين أيدينا رواية تعكس تجربة مؤلفها وجزءًا من حياته، ولكن هذه المسألة لم تأتِ مباشرة أو خطابية، زيادة على أنها لم تطح بجماليات التشكيل الفني أو الاتّكاء البيّن على التخييل.

خاتمة:

يتبيّنُ من العرض السابق أنّ بطل "موطن الأسرار" تبنّى موقفًا نقديًّا تجاه الغرب، ويمثّل هذا الموقف أحد ثلاث مراحل مرَّ بها: مرحلة التعرّف والاستكشاف للجوانب الحضارية في البلد المُضيف (الدنمارك)، أما الثانية فتتمثّل بالمقارنة بين الغرب والشرق قيمًا وعاداتٍ وتقاليدَ ومُنْجزاتٍ حضاريّة، وتتوفر الثالثة على تقديم الرؤيا النقدية العامّة.

ومن الرؤى التي تشكّل إحدى إيقاعات الرواية ثنائية الرجولة والأنوثة بشكل يختلف، إلى حدّ ما، عمّا هو ملحوظ في روايات اللقاء الحضاري. وقد رسمت الرواية تصوّر المرأة الغربية للرجل الشرقيّ، وأسرفت في التوقيع على "فحولة" الشرقيّ، إنَّ تصور المرأة الغربية للرجل الشرقيّ لا يعدو أنْ يكون تصوّرًا مسبقًا متشكّلا من مقروء المرأة، فالعربيّ يبدو شيخًا عربيًّا أو شبحًا خارجًا من بطون السير الشعبية كقصص ألف ليلة وليلة وغيرها. وإذا أخذنا هذه المسألة بعين الاعتبار، فإنّ سلوك

البطل/ الرجل يحاول الانسجام مع هذه الأفكار ويدعمها؛ ومن هنا يمكن تفسير إمعان السارد في الحديث عن فحولة البطل، وكيف استطاع أن يستحوِذ على جسد المرأة الغربية وروحها.

أمّا في الشرق فتنقلب المسألة؛ فتصبح المرأة الشرقية متمثّلة بـ"هيام" ذاتًا مطارِدة تمتلك إرادتها في الاختيار على الرغم مما يحيط بها من غموض وشذوذ وانحراف عن المتواضع الاجتماعيّ. إنّ عشْرَ سنواتٍ قضاها البطل في الدنمارك لم تُثر إلاّ القليل من الأسئلة الخاصّة باللقاء الحضاريّ، بينما أثارت علاقته "بهيام" كثيرًا من الأسئلة التي أخفق البطل في الإجابة عنها، وكان غموض هذه المرأة وسلوكها وأسرارها متضافرةً مع ارتباك البطل وشكوكه- تعبيراً عن فشله في الانفلات من قبضة الماضي البعيد في العراق، والماضي القريب في الغرب- وعبوراً من جهة أخرى إلى نهاية "هيام التراجيدية التي تكشف عن شرخ جليل في شخصيتها يعود بالضرورة إلى طفولة بائسة مضطربة. ربما كانت ممارسات "هيام" الجنسية الإرادية تعبيرًا عن حال نزوع إلى المحرّم والممنوع، وتخليًّا متقصّدًا عن المسؤولية الأخلاقية، وإعلانا عن التحدي الصارخ لسلطة الرجل؛ ومن هنا يبدو مسوغا القول إنها بهذا تدمّر جسدها، تحوّله إلى حالة عدم وفناء.

أما بالنسبة إلى التشكيل فقد استخدم الكاتب البناء المتداخل؛ فامتزج الماضي بالحاضر بوحدات سردية لم تُقصِ الاستشراف. وقد جاء الاسترجاع على أشكال مختلفة توسّل الكاتب من خلالها إلى التفسير والتأويل والمقارنة. أخذ الاسترجاع أشكالاً مختلفة كالجزئيّ والكُلّي والتكميلي والداخلي والخارجي، مستعينًا بأنواع الاستدعاء المتنوعة كأن يستدعي المكان مكانًا أو حدثًا أو الشخصية، والأمر نفسه ينطبق على الشخصية والحدث، ووظّف ذلك كلّه في تفسير النفسيّات وتحليل الأمكنة، واستحضار الطفولة والصِّبا، وبيان أثرها في تشكيل الشخصيَّات وتطوير الأحداث وتحميلها كثيراً من الدِّلالات. ولم ينسَ الكاتب الإشارة إلى أزمان حقيقية تشكّل موحّدات سردية أو قواسم مشتركة بينه والمتلقّي. وقد وظّف الكاتب التلخيص والحذف، ولكنَّ الوصف التعبيري حَظِيَ باهتمام بالغ؛ إذْ امتزجت الأحداث بالأشياء والأماكن وتحليل الشخصيات بشعريَّةٍ أخّاذة، فسما بمفردات الطبيعة الصامتة والمتحرّكة إلى فضاءات زمانية. وقد توسّل لتقديم ذلك بصور سمعية وبصرية

وشميـــة...وانحاز إلى المجـــاز؛ فاســـتخدم الانزياح في معظم أشكاله.

وقد تبـيّن مـن التحليـل أنّ السـارد الموظّـف في الروايـة هـو الكلـيّ العلـم ذو الرؤيـة الخلفيـة الموضـوعيّة؛ فكـان لـذلك مسـيطرًا علـى مفـردات السـرد والوصـف كافّـة، وكـان علـى قـدرة كـبيرة في رصـد مظـاهر الطبيعـة وتحليـل النفسـيات وسـبر أغوارها، إضافة إلى متابعـة الشخصـيات في حلّها وترحالها، ورصد حركاتها وسكناتها، وتحليل قيمها الخاصّة. ولم يتوانّ السارد عن تقديم الآفاق العامّـة للمجتمـع الروائـي في الغـرب والشـرق. وبإيجـاز لقـد اضـطلع بتقـديم الوظـائف التأويليّـة والتحليليّـة والتأثيريّة والتفسيريّة. إنّ أسلوب السـرد في "موطن الأسرار" يشـير بوضـوح إلى حـالات من التمـاهي بـين المؤلّـف والبطـل؛ كأنّمـا الكاتـب يـروي سـيرته الذاتيّـة؛ وهـذا مـا يقودنا إلى القول إنّ الرواية تقترب من أدب الاعترافـات المعبّـر عـن تجـارب شخصـيّة، دون أن يعـني ذلـك أنَّ العمـل الـذي بـين أيدينا يفتقر إلى القوانين العامّـة الـتي تجعـل منه عملاً روائيًّا بامتياز.

الهوامش:

(*) المؤلف هو شاكر حسين حميـد الأنبـاري، وُلـدَ سنة ١٩٥٧،م في قريـة الحامضـية في الأنبـار، وهي قرية تبعد ١٥ كلم عن الرمادي. نشأ في الريـف علـى الفـرات، وتلقـى تعليمـه في العـراق، بيـد أن ظـروف الحـرب العراقيـة الإيرانيـة، ومعارضـته للنظـام أفضـتا بـه إلى الهجـرة واللجـوء إلى سـوريا وبريطانيـا والـدنمارك، وكانـت بدايـة هجرتـه سـنة ١٩٧٩م، وقد عاش مغتربًا فترة طويلة. فقـد والده ووالدته واثنين من إخوته أثناء قصـف الطائرات الأمريكية لقريتـه سـنة ٢٠٠٥. لـه مجموعة مـن الأعمـال القصصـية والروائيـة؛ فمن أعماله القصصية: "ثمار البلوط"، "شـجرة العائلة"، "أنا والمجنون"، "تشكيل شامي قصصـي"، "أذرع تشـبّثت بنـا". ومـن رواياتـه: "الكلمـات السـاحرات"، "ألـواح"، "كتـاب اليـاسمين"، "الراقصة"، "ليالي الكاكا"، "موطن الأسرار"، "بـلاد سعيدة". انظر: الرابط:

☐ shakeralanbari@yahoo.com

وفيه شاكر الأنباري: كاتب عراقي يقيم بين دمشق وكوبنهاجن؛ وجهاد، كاظم. "ثلاثة وجوه للعراق، قراء في روايات للتكرلي وحلاّوي والأنباري"، جريدة النهار، الملحق الثقافي، الأحد ١٦ شباط، ٢٠٠٣، الرابط:

http://www.anhaar.com/vb/showthread.php?p=121994

الرابط:

http://www.elaph.com/ElaphWeb/AsdaElaph/2005/11/104953.htm?sectionarchive=AsdaElaph

(١) حول روايات اللقاء الحضاري، انظر:

- باردي (ال) محمد. "**جدليّة الشرق والغرب في الرواية العربية المعاصرة**"، م. الفكر التونسيّة، ع٣، ١٩٨٣م٣.
- بو علي، عبدالرحمن. **من تأنيث الغرب إلى تأنيث العالم العرب**"، ج. أنوال المغربية: ٢٩/ ٣/ ١٩٨٤.
- حرب، طلال. "**البطل الروائي الشرقي والغرب**"، م. الآداب، ع٩، سبتمبر ١٩٨٠.
- خطيب (ال) محمد كامل. المغامرة المعقّدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦.
- خوري، إلياس. **تجربة البحث عن أفق، مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة**، منظمة التحرير، مركز الأبحاث، ١٩٧٤.
- صالح، صالح. **سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٣م.
- صالح، فخري. "**الرواية العربية والإفريقية: الالتقاء بالغرب ...واكتشاف الهوية الثقافية**"، الكاتب العربي، دمشق، ع٦، ١٩٨٣م.
- صبحي، محيي الدين. **عوالم من التخييل**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م.
- طرابيشي، جورج. **شرق وغرب: رجولة وأنوثة**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٧م.
- عاني(ال)، شجاع مسلم. **الرواية العربية والحضارة الأوروبية**، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٩م.
- عياد، شكري. **الرؤيا المقيدة**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.
- معوش (ال)، سالم. **صورة الغرب في الرواية العربية**، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(٢) الأنباري، شاكر. **موطن الأسرار**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م: ٩٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ٣١.

(٤) **المصدر نفسه** ٩٤.

(٥) **المصدر نفسه** ٤٧-٤٨.

(٦) **المصدر نفسه** ٤٤.

(٧) **المصدر نفسه** ٤٠.

(٨) **المصدر نفسه** ١٦١-١٦٢.

(٩) **المصدر نفسه** ٥، ١٤.

(١٠) النصير، ياسين. إشكاليّة **المكان في النصّ الأدبي**، دار الشؤون الثقافية العامّة آفاق عربية، بغداد، ط١، ١٩٨٦: ٢١.

(١١) الرواية: ٣٧-٣٨.

(١٢) **المصدر نفسه**، ٣٩.

(١٣) **المصدر نفسه**، ١٠.

(١٤) **المصدر نفسه**.١٠.

(١٥) **المصدر نفسه**، ٩٢-٩٣.

(١٦) **المصدر نفسه**، ١٢.

(١٧) **المصدر نفسه**، ١٤.

(١٨) بن جمعة، بوشوشة. **القص والتحوّل**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقيّة، ١٩٩٨م، ص١٢٢.

(١٩) حقّي، يحيى. قنديل أم هاشم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٥٤: ٣٢.

(٢٠) الرواية: ٢٨.

(٢١) **المصدر نفسه**، ٣١.

(٢٢)**المصدر نفسه،** ٣٠.

(٢٣)**المصدر نفسه،** ٢٩-٣٠.

(٢٤)**المصدر نفسه،** ٣٥.

(٢٥)**المصدر نفسه،** ١٠٨.

(٢٦)**المصدر نفسه،** ١٣٢. وانظر حول العنصرية: ٤٢، ١٢٢، **والروتين القاتل**: ٣٦.

(٢٧)**المصدر نفسه،** ٩٢.

(٢٨)**المصدر نفسه،** ٣٦.

(٢٩) طرابيشي، جورج. **شرق وغرب رجولة وأنوثة**، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩: ٥.

(٣٠)**المصدر نفسه،** ٨-١٣.

(٣١) **الرواية:** ١٣٠.

(٣٢) منيف، عبد الرحمن. **الكاتب والمنفى**، دار الفكر الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٢: ١٠٤-١٠٥.

(٣٣) **الرواية:** ١٢٤.

(٣٤) **الكاتب والمنفى**: ٨٧.

(٣٥) **الرواية:** ١٢٧.

(٣٦)**المصدر نفسه،** ١٠٣.

(٣٧)**المصدر نفسه،** ١٠٥-١٠٦.

(٣٨)**المصدر نفسه،** ٩٤-٩٥.

(٣٩)**المصدر نفسه،** ٩٥.

(٤٠)**المصدر نفسه،** ٩٧.

(٤١)**المصدر نفسه،** ٢٠-٢٣.

(٤٢)**المصدر نفسه،** ٩١.

(٤٣)**المصدر نفسه،** ٧٢-٧٥.

(٤٤)**المصدر نفسه،** ٨٣.

(٤٥)**المصدر نفسه،** ٧٨.

(٤٦) طرابيشي، جورج. "**هجاء التصوّر الجنسوي للتاريخ، قراء في رواية غرفة المصادفة الأرضية**" **لمجيد طوبيا**، ضمن رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٥: ٥٠-٥٢.

(٤٧) **موطن الأسرار:** ٨٩. رُبّما يسند هذا الميل الخافت إلى حياة آمنة بحثها عن مخلّص، وربما رأت في البطل مخلّصًا لها، وعلى الرغم من غياب الوازع الديني، أو على الأقلّ ضعفه، فإنها كانت تستشعر الحياة الروحية، وترى فيها سبيلا للخلاص، وإحياءً للأمل، ينقل السارد عنها مخاطبة ماجدا "بين لحظة وأخرى أتصور ظهور المسيح ماشيًا على الماء، لماذا المسيح وكيف جاء إلى خاطري. تخيلته سيبرز مضيء الوجه، مهيب النظرات...هالة شمسية تحيط رأسه. كنت انتظره جادّة، وأترصّد الجهات". **الرواية**: ٧٩.

(٤٨) نجمي، حسن. شعري الفضاء: **المتخيل والهوية في الرواية العربية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط١، ٢٠٠٠: ١٨٩، وانظر إفادته من خالدة سعيد، المرأة، التحرر، الإبداع، دار النشر الفنك، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١: ٨٩٩.

(٤٩) شاخت، ريتشارد. **الاغتراب**، ت: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠: ٢٨٥.

(٥٠)**المصدر نفسه،** ٦١.

(٥١)**المصدر نفسه،** ١٨٦.

(٥٢)**المصدر نفسه،** ٦٣-٦٤.

(٥٣)**المصدر نفسه،** ٦٦.

(٥٤)**المصدر نفسه،** ١٦٣. وفي موقع آخر تأخذه الذاكرة إلى المكان، إلى قرية عراقية منزوية في طرف الصحراء، قرب نهر ضخم يدعى الفرات، وفيها عشرات البيوت، ومئات البشر...حاول أن يسترجع أجواءها، المدن التي رآها لا تحصى، حسب أنّه عمّر قرونًا. **الرواية:**١٦٧.

(٥٥)**المصدر نفسه،** ١٨٤.

(٥٦)**المصدر نفسه،** ١٨٩.

(٥٧)**المصدر نفسه،** ١٩٨. يكاد مزج المرأة بالمدينة، أو تصوير المدينة بوصفها امرأة، يشكّل إحدى إيقاعات الرواية اللافتة، ويكفي هنا إيراد بعض الأمثلة المعبّرة بوضوح، والتي لا تحتاج إلى تأويل؛ فعلى الرغم من أن السرد يتحدّث عن "تاتا" في الغرب، فإنّ دمشق تحضر بكثافة بوصفها امرأة، أو من خلال وصف المرأة: "دمشق، العنق الطويل، والشعر المبعثر على الشراشف...دمشق التي كانت توقظه..." الرواية: ١٠٦، وفي موقع آخر يشير السرد إلى الفجوة اللغوية بين "تاتا" والبطل، ويقفز إلى "هيام" مشيرًا إلى حالة اتحاد جليّة بين المرأة والمدينة: ١٣٢.

(٥٨) **المصدر نفسه:** ١٣٢.

(٥٩)**المصدر نفسه:** ١٩٥.

(٦٠)**المصدر نفسه:** ١٨٦.

(٦١)**المصدر نفسه:** ٢٠٣.

(٦٢)**المصدر نفسه:** ٢٠٤، وممّا يُلفت الانتباه أنها منذ طفولتها عرفت معنى الموت، لم تكن تخشاه، بل على العكس من ذلك، كما يرى السارد، "قرّرت أنْ تُحبّه، أنْ تجعله صديقًا لها"، الرواية: ١٥٨.

(٦٣) جينيت، جيرار. **خطاب الحكاية، ت: محمد معتصم وعب الجليل الأزدي وعمر الحلي،** الهيئة العامة للمطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، ط٢، ١٩٩٧م، ٢٠١، وتودوروف، تزفتيان. "مقولات السرد الأدبي"، ت: الحسين سحبان وفؤاد صفا، في طرائق التحليل السردي لمجموعة من النقاد، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢: ٥٨.

(٦٤) الشوابكة، محمد علي. **السرد المؤطّر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف،** البنية والدلالة، منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٦: ١٨.

(٦٥) ابراهيم، عبد الله. **البناء الفني لرواية الحرب في العراق،** بغداد، ط١، ١٩٨٨: ٣٨-٣٩.

(٦٦) **موطن الأسرار:** ٥.

(٦٧)**المصدر نفسه،** ٥-٦.

(٦٨)**المصدر نفسه،** ٦.

(٦٩) تودوروف، تزفتيان. "**مقولات الحكاية الأدبية**"، مجلة العرب والفكر العالمي، ع١٠: ١٠٤.

(٧٠) أفاض جيرار جينيت في الحديث عن النظام الزمنيّ، وتحدّث عن المفارقات الزمنية التي تعني الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة؛ وذلك لأنّ نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه

القرينة غير المباشرة أو تلك... ويسلم كشف هذه المفارقات الزمنية السردية (مختلف أشكال التنافر بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية)، يسلمان ضمنًا بوجود نوع من درجة الصفر التي قد تكون حالة توافق زمني تام بين الحكاية والقصة. هذه الحالة المرجعية افتراضية أكثر مما هي حقيقية، ويبدو أن الحكاية الشعبية قد اعتادت أن تتقيّد في تمفصلاتها الكبرى على الأقلّ بالترتيب الزمنيّ، ويشير أيضًا إلى استحالة توازي نظام الزمن الحكائي لنظام الزمن المحكي (زمن التخييل)...واستحالة التوازي تؤدّي إلى الخلط الزمني الذي نميّز فيه بين الاسترجاعات والاستباقات. انظر، جينيت، جيرار، خطاب الحكاية: ٤٧-٤٨، ومحمد الشوابكة، **السرد المؤطّر**، ٦٥-٦٦.

(٧١) الرواية: ١٦.

(٧٢) **المصدر نفسه**، ١٧.

(٧٣) **المصدر نفسه** ١٩.

(٧٤) **المصدر نفسه** ٥١-٥٢.

(٧٥) **المصدر نفسه** ٦٤.

(٧٦) **المصدر نفسه** ١٦.

(٧٧) خطاب الحكاية: ٩٢.

(٧٨) الحمداني، حميد. **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣: ٧٩.

(٧٩) **الرواية**: ٥.

(٨٠) **المصدر نفسه**، ١٥-١٦.

(٨١) **المصدر نفسه**، ٣١.

(٨٢) **المصدر نفسه**، ٣٦.

(٨٣) **المصدر نفسه**، ١٠٩.

(٨٤) أسعد، سامية أحمد. "**التحليل البنيوي للسرد**"، مجلة الأقلام، ع٣، ١٩٧٨: ٧.

(٨٥) أوسبنسكي، بوريس. "**وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان**"، ت: سعيد الغانمي، مجلة فصول، مجلد ١٥، ع٤، شتاء ١٩٩٧: ٢٥٧.

(٨٦) تودوروف، "**مقولات السرد الأدبي**": ٥٨-٦٠.

(٨٧) جينيت، **خطاب الحكاية**: ٢٠١-٢٠٢.

(٨٨) بوث، وين. "**البعد ووجهة النظر- مقالة في التصنيف**"، ت: علاء العبادي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، س١٢، ع٢، ١٩٩٢: ٤٦-٤٨.

(٨٩) بوكرامي، سعيد. "**وظائف السارد في مجموعة بائعة الورد لمحمد زفزاف**"، مجلة علامات، النادي الأدبي، جدة، مجلد ١٥، جزء ٥٩، ٢٠٠٦: ١٦٩-١٧٠.

(٩٠) غابري، الهادي. "**وظائف السارد في باب الشمس**"، مجلة علامات، مجلد ١٥، جزء ١٥: ٣٠٨.

(٩١) **المصدر نفسه**، ٣٣٨، وانظر حول **وظائف السارد**: ٣١٠-٣٣٨.

(٩٢) بنسليمان، حسناء. **بنية الخطاب السردي**، مجلة علامات، مجلد ١٤، جزء ٥٤، ٢٠٠٤م، ٢٨٦.

(٩٣) انظر: **الرواية**: ١١٧، **وإيلاف**، العدد ٢٦٥٨، الأحد: ٣١ أغسطس، ٢٠٠٨.

(٩٤) الرابط: shakeralanbari@yahoo.com، وفيه شاكر الأنباري: كاتب عراقي يقيم بين دمشق وكوبنهاجن.

(٩٥) **الرواية**: ١٠.

(٩٦) جهاد، كاظم. "ثلاثة وجوه للعراق، قراء في روايات للتكرلي وحلاّوي والأنباري"، **جريدة النهار**، الملحق الثقافي، الأحد ١٦ شباط، ٢٠٠٣.

(٩٧) إلياس خوري، **تجربة البحث عن أفق**: ٢٩.

(٩٨) طرابيشي، **شرق وغرب، رجولة وأنوثة**: ١١٢.

الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس من خلال كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي

د. محمد تركي محمد شطناوي *

تاريخ وصول البحث: ٢٢ / ٨/ ٢٠١٦م تاريخ قبول البحث: ٦/ ٣/ ٢٠١٧م

ملخص

تناولت هذه الدراسة الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس، من خلال كتاب البيان المغرب لابن عذاري، الذي يعتبر من أهم المؤرخين الذين تناولوا تاريخ المغرب والأندلس في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

وقد ركزت الدراسة على تناول ابن عذاري للحياة الاجتماعية بتفصيلاتها مثل الفئات التي يتكون منها المجتمع الأندلسي، والعادات والتقاليد إضافة إلى المراسيم والاحتفالات وعادات البذخ والترف عند أهل المغرب والأندلس في مناسباتهم الاجتماعية. وبما أن الحياة الاجتماعية تشمل كل ما يتعلق بالفئات الاجتماعية، والعادات والتقاليد وغيرها، فقد جاءت هذه الدراسة لتوضحها، بدءاً من فئات المجتمع الأندلسي، من العامة والعلماء والشعراء وغيرهم، إضافة إلى توضيح عادات الأحزان والأفراح، والعادات الدينية، كما تناولت الدراسة الملابس للرجل والمرأة، والدور السياسي والاجتماعي الذي لعبته المرأة الأندلسية من نساء العامة ونساء القصور والجواري في هذا المجال.

الكلمات الافتتاحية: عادات، تقاليد، مراسيم، احتفالات، فئات اجتماعية.

Abstract

This paper investigates the social life in Morocco and Andalusia as shown in the book entitled Al-Bayan Al-Maghreb by Ibn Azari, who was considered one of the most important authors introducing the history of Morocco and Andalusia in the 7th. Hijri century, the 13th century.

*أستاذ مساعد، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

The study also explores Ibn Azari's analysis of social context in all its details such as traditions, habits and norms and all Andalusian social groups, in addition to luxurious and extravagant rituals and ceremonies. Since social life includes social classes, customs and traditions, and others, this study was conducted to clarify them; starting from Andalusian social groups, public figures, scientists, poets and others, in addition to explain the habits of grief and happiness and religious rituals. The study also identifies the clothes of men and women, and the political and social roles of the Andalusian women whether common, royal, maids in this field.

Keywords: Habits, Traditions, Ceremonies, Celebrations, Social groups.

المقدمة:

مؤلف الكتاب:

لم يذكر أي من المصادر والمراجع ترجمة وافية لابن عذارى، تحيط بتفاصيل حياته، والتاريخ الدقيق لوفاته، وما يمكن استنتاجه منها أنه: الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية، المطالع الحسيب الأفضل: أبو العباس، وقيل: أبو عبدالله، أحمد، وقيل: محمد، ابن محمد بن عِذَارِي المَرَّاكُشِي[1]، وتدل نسبته إلى مراكش على أنه مؤرخ مغربي سكن مدينة" مَرَّاكُش"، ولكنه ذو أصول أندلسية، وهو أحد المؤرخين المعروفين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وكتابه من أهم المؤلفات التي تناولت تاريخ بلاد المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي حتى انقضاء الدولة الموحدية. ويُعَدُّ كتابه أوسع المصادر التاريخية حول عصري المرابطين والموحدين.

ويرى بعض المؤرخين أن ابن عذاري توفي أواخر القرن السابع الهجري[2]، ولكن المتتبع لما ورد في قسم الموحدين من كتابه يدرك-بما لا يدع مجالاً للشك- أنه عاش أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث أدرك العقد الثاني منه، إذ كان حيّاً في هذه الفترة، وبالتحديد سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، ومن المؤكد أنه عاش بعد ذلك مدة، فقد قال وهو يتحدث عن

أبناء الخليفة الموحدي أبي حفص عمر المرتضى (٦٤٦-٦٦٥هـ/ ١٢٤٨-١٢٦٦م) وما فعله معهم أبو دبوس من الأسر والاضطهاد، وما فعله معهم السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق (٦٦٨-٦٨٥هـ/ ١٢٧٠-١٢٨٥م) من إطلاق سراحهم وإكرامهم:..." ولما أخرجهم أبو يوسف -رحمه الله- من السجن توجهوا إلى الأندلس وحصلوا عند الفنش بإشبيلية أعواماً عديدة، ثم انتقلوا منها إلى غرناطة وحصلوا تحت طاعة أميرها، وهم الآن بها في عافية بمرتبات شهرية يقبضونها في كل شهر، وكبيرهم أبو عبدالله فيها معهم، وأما أخوهم أبو زيد فوصل من الأندلس إلى السوس على حمارة، فسمته العوام أبو حمارة، وذلك في عام أربعة وثمانين وستمائة، وهو الآن بقيد الحياة في جبل سكساوة يعيش من النسخ، وأخوه محمد بغرناطة في وقتنا هذا، وهو عام اثني عشر وسبعمائة (١٣١٢م)[٣]

الكتاب:

ذكر ابن عذاري في مقدمة كتابه أنه سماه: (البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب)، فقد قال: "ولما كمل ما قيَّدته وجرَّدته جزأته على ثلاثة أجزاء، كل جزء منها كتاب قائم بنفسه؛ ليكون لِمُطالِعه أوضحَ بيان، وأسهلَ مَرامٍ لدى العِيان، وسمَّيْتُه بالبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب"[٤]. غير أن ناشري الكتاب لأول مرة اختاروا له عنوان **(البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)**، وبه اشتهر. وأبرز هؤلاء الناشرين: ليفي بروفنسال، ورينهارت دوزي، وجورج كولان، وإحسان عباس، ومحمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت الطنجي، وعبدالقادر زمامة، ومحمد زنيبر.

وقد ذكر عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة المري عنوانين آخرين للكتاب هما: البيان المغرب في أخبار المغرب، والبيان المعرب (بالعين المهملة) عن أخبار المغرب.[٥]

ويتألف الكتاب -كما ذكر مؤلفه- من مقدمة، وثلاثة أجزاء، وتشير المقدمة إلى سبب تأليف الكتاب، وموضوعه، ومنهجه، ومصادره، وأجزائه.

ويعرض الجزء الأول من الكتاب أخبار إفريقية منذ الفتح الأول في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ (٤٧ ق.هـ-٣٥هـ/ ٥٧٦-٦٥٦م) حتى ابتداء الدولة اللمتونية المرابطية، حيث يتناول أخبار أمراء إفريقية من ولاة الخلفاء

الأمويين، ومن دخل المغرب منهم، ومن قام بها من الخوارج: الصفرية والإباضية، ومن ملكها من بني الأغلب التميميين (١٨٤-٢٩٧هـ / ٨٠٠-٩٠٩م)، وأخبار بني عبيد الشيعة الذين أقاموا دولتهم خلال الفترة (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧٢م)، وأخبار بني مدرار (١٤٠-٢٩٦هـ/ ٧٥٧-٩٠٨م)، وهم من الخوارج الصفرية، والأدارسة (١٧٢-٣٦٣هـ/ ٧٨٨-٩٧٤م) الذين أسس دولتهم في بلاد المغرب: إدريس بن عبدالله، وأخبار زناتة والصنهاجيين من البربر وغيرهم. وهذا الجزء من تحقيق، ومراجعة ج.س.كولان وأ.بروفنسال.

ويتناول الجزء الثاني تاريخ الأندلس من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، ويشتمل على الفترة التي تم فيها فتح مدن الأندلس على يد ولاة بني أمية، ثم فترة الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٩م) والخلافة الأموية (٣١٦-٤٠٠هـ / ٩٢٩-١٠٠٩م)، وفترة الدولة العامرية (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) التي أسسها المنصور محمد بن أبي عامر، ويركز على ما قام به المنصور من حروب وأعمال عمرانية، ويختم هذا الجزء بقول الشاعر مادحاً المنصور:

آثاره تنبيك عن أخباره
حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله
حقا ولا قاد الجيوش سواه

وهما البيتان اللذان نقشا في رخامة على قبره.

والجزء الثاني من تحقيق كولان وبروفنسال أيضاً.

أما الجزء الثالث فيبدأ من عهد الخليفة الأموي هشام المؤيد بالله (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م)، وقد تناول أخبار تداول الأمراء الأمويين والحجاب العامريين بقرطبة، وأخبار الفتنة البربرية التي انتهت بتغلب الثوار على الأندلس. وفترة ملوك الطوائف حتى سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م). وينتهي هذا الجزء بذيل يشتمل على أوراق مبتورة لمؤلف مجهول تتناول أخبار دولة بني حمود (٤٠٧-٤٤٨هـ/ ١٠١٦-١٠٥٦م)، ودولة بني خزرون (٤٠٥-٤٦١هـ/ ١٠١٥-١٠٧٠م)، وينتهي بذكر دولة بني عباد في إشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/ ١٠٢٣-١٠٩١م). وقد نشر هذا الجزء ليفي بروفنسال سنة ١٩٣٠م.

ثم عثر المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال على قطعة من كتاب البيان

المغرب تختص بعصر المرابطين في المغرب والأندلس، ونشر جزءا منها يتعلق باستيلاء السيد الكنبيطور[٦] على بلنسية[٧].

ثم قام المؤلف الإسباني هويسي (هويثي) ميراندا بنشر القطعة كاملة في مجلة هسبريس(Hesperes) عام ١٩٦٠م. وقد عرضت دار الثقافة في بيروت هذه القطعة على الأستاذ إحسان عباس، فحققها، وذيلها بملحقات مهمة، يتعلق معظمها بأخبار الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٦٣-٥٠٠هـ/ ١٠٧١-١١٠٦م) وشكلت هذه القطعة وملحقاتها التي نشرتها الدار المذكورة الجزء الرابع من الكتاب[٨].

وتم نشر الكتاب في أربعة أجزاء في دار الثقافة ببيروت عام ١٩٦٧م، وكان الجزءان الأول والثاني مصورين عن طبعة دوزي، والثالث كان مصوراً عن طبعة بروفنسال، والرابع كان بتحقيق إحسان عباس. وأخيراً ظهر «البيان المغرب» (قسم الموحدين) بتحقيق الباحثين: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت الطنجي، وعبدالقادر زمامة، ومحمد زنيبر في بيروت عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ويعد كتاب البيان المغرب تاريخاً محلياً إقليمياً، حيث اختص بتاريخ الأندلس والمغرب منذ فتحهما على أيدي المسلمين حتى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ويلاحظ أن ابن عذاري اعتمد في كتابه على مصادر كثيرة، بعضها وصلنا وهو محقق، وبعضها مفقود أو غير محقق لغاية الآن، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه فقال: "جمعت ذلك من الكتب الجليلة، مقتضِباً من غير إسهاب ولا إكثار، فاقتطفتُ عيونها، واقتضبتُ فنونها، ووصلتُ الحديث بالقديم، والقديم بالحديث، لأنه إذا اتصل يُسْتظرف ويُسْتحلَى... فنقلتُ -والله ولِيُّ التوفيق- من تأريخ الطبري، والبكري، والرقيق، والقضاعى، ومن كتاب "الذيل" لابن شرف، ومن كتاب ابن أبى الصلت، ومن المجموع المفتَرِق"، ومن كتاب "بهجة النفس وروضة الأنس"، ومن كتاب "المقباس"، و"المقتبَس"، و"القَبَس"، ومن مختصري عريب وابن حبيب، ومن "درر القلائد وغرر الفوائد"، ومن"القلائد" و"المطمح" لابن خاقان، ومن كتاب ابن حزم، و"ذخيرة "ابن بسام، ومن "أخبار الدولة العامرية "لابن حيَّان، ومن كتاب "تقصى الأنباء فى سياسة الرؤساء"، ومن كتاب ""الأنوار الجلية فى الدولة المرابطية"، ومن "نظم الجمان في أخبار الزمان "لابن

القطان، ومن كتابَيْ الأشيري والبيذق، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحب الصلاة أبى مروان، ومن كتاب ابن رشيق، ومن كتاب وجدته أو تعليق، ومن شيوخ أخذت الأخبار الوقتية عنهم بتحقيق، والله الهادي إلى سواء الطريق[٩]"

وسيتناول هذا البحث -بعد التعرف على مكونات المجتمع الأندلسي وعناصره والفئات التي كان لها دور فيه- عادات المجتمع الأندلسي المختلفة، وملابسه، والمرأة ودورها في هذا المجتمع، وما كان يشهده من مراسيم واحتفالات في المناسبات المختلفة.

أولا: عناصر المجتمع الأندلسي وفئاته:

تكون المجتمع الأندلسي من عناصر عديدة، **وأول هذه العناصر** هم سكان البلاد الأصليون، وغالبيتهم من الإسبان، وقد دخل بعضهم في الإسلام فسموا: مسالمة، وظل بعضهم الآخر على ديانتهم، وهم: أهل الذمة. **والعنصر الثاني** هم العرب الفاتحون الذين قدموا من المشرق، **والعنصر الثالث** هم البربر الفاتحون الذين قدموا من شمالي إفريقية، وقد اختلط هؤلاء العرب والبربر بأهل البلاد الأصليين، وتزوجوا منهم، ونتج عن هذا الزواج **عنصر رابع** هو: المولدون. وإلى جانب هذه العناصر الأربعة التي كونت المجتمع الأندلسي كان هناك **عنصر خامس** يتمثل في الصقالبة، وهم المماليك الذين كان يأتي بهم تجار الرقيق الأبيض من أوروبا، وخاصة من المناطق السلافية، ويبيعونهم في أسواق اسبانيا. **وعنصر سادس** يتمثل في: الموالي، وهم الذين ساهموا في فتح الأندلس مع جيوش الفتح الأولى، والذين دخلوا في طاعة بني أمية من البربر وأهل بلاد الفرس والعراق والشام. أما **العنصر السابع** من مكونات المجتمع الأندلسي فيتمثل في اليهود الذين كانت أعدادهم كبيرة في اسبانيا، وازدادت أعدادهم في ظل الحكم الإسلامي، حيث هاجروا إلى الأندلس من أقطار أوروبا الأخرى لينعموا بالحرية والعدل. **والعنصر الثامن، وهو الأخير،** من العناصر التي يتكون منها المجتمع الأندلسي يتمثل في: النورمان (الفايكنج)، الذين غزوا الأندلس في عهدها الأموي قادمين من المناطق المحيطة ببحر البلطيق، ووقع بعضهم في أسر المسلمين، فقد أعلن هؤلاء إسلامهم مشكلين عنصراً من عناصر المجتمع الإسلامي الأندلسي[١٠].

وليس من شك في أن هذه العناصر المختلفة التي تكون منها المجتمع الأندلسي قد اختلطت وامتزجت أنساباً ودماء ونظماً

وعادات وتقاليد ولغة وعقيدة دينية، وكان لتعاليم الإسلام السمحة، وقيمه النبيلة الدور الأكبر في ذلك.

ومما يلاحظ على ابن عذاري أنه لم يتطرق إلى الحديث عن الأحوال الاجتماعية لتلك الفئات بالتفصيل كلٌ على حده، بل أنه أغفل الكثير منها وبعضها ذكره بشكل عام، ومع ذلك نستطيع أن نستخلص بعض الفئات التي ذكرها ابن عذاري وخصّ لها بعض الصفحات وتطرق إلى عاداتها وتقاليدها، ومن أبرز تلك الفئات البروغواطيون، وهم جماعة غريبة في عقائدها وتقاليدها وعاداتها، إضافة إلى الشعراء والأدباء، والعلماء، والعامة.

١. ١ـ البرغواطيون:

يشكل هؤلاء فئة من فئات المجتمع جديرة بالتوقف عندها لغرابتها، وقد أفرد لهم ابن عذاري نحو خمس صفحات في الجزء الأول من كتابه، حيث ذكر أن طريفاً كان أبا ملوكهم، وكان على دين الإسلام، وأن ابنه صالح ولي الأمر من بعده" فتنبأ فيهم، وشرع لهم ديانة، وسمى نفسه: صالح المؤمنين، وعهد إلى ابنه إلياس بديانته، وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي أمره...وأمره بموالاة أمير الأندلس."[١١]

وقد ادعى صالح بن طريف بأنه تلقى من الله قرآناً باللغة البربرية، كما ادعى أنه يوحى إليه في كل خطبه وأقواله، ومن شك في ذلك فهو كافر.[١٢]

وقد ظهر البرغواطيون في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واستمروا حتى منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتقع إمارتهم في إقليم تامسنا (الشاوية حاليا)، حيث تمتد من موضع مدينة الرباط الحالية حتى ثغر فضالة (المحمدية)، وتنتهي حدود هذه الإمارة عند مصب وادي أم الربيع.[١٣]

وقد ولي إلياس بن صالح الأمر بعد وفاة أبيه، "فأظهر ديانة الإسلام والعفاف، وبقي أميراً خمسين سنة إلى أن هلك... فولي ابنه يونس...فأظهر ديانة جده (صالح)، ودعا إليها، وقتل من لم يدخل فيها، حتى أخلى ثمانيمائة موضع من مواضع البربر؛ قيل إنه قتل منهم سبعة آلاف ونحو السبعمائة. وهلك بعد أن ملك نحو أربعين سنة"[١٤].

وقام بالأمر بعد يونس بن إلياس: أبو عُفَير يحمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف، الذي دان بدين آبائه، وأوقع مذابح بالبربر، وكانت له أربع وأربعون زوجة، وقد مات بعد حكم دام تسعا وعشرين

سنة. وولي بعده ابنه عبدالله (أبو الأنصار) الذي حكم اثنتين وأربعين سنة، وولي بعد وفاته ابنه أبو منصور عيسى. وكان أبوه قد وصاه بموالاة أمير الأندلس.[١٥]

وكان يونس القائم بدين برغواطة -كما يقول ابن عذاري- "أصله من شذونة، من جهة وادي برباط،...قد قتل خلقاً كثيراً من البربر حتى أطاعوه، وعلى دينه بايعوه..."[١٦]

وقد ذكر ابن عذاري ما يقوم عليه الدين (الضلال) الذي شرعه يونس بن إلياس بن صالح بن طريف للبرغواطيين "فإنهم يقرون بنبوة صالح بن طريف، وأن الكلام الذي ألف لهم هو وحي من الله تعالى، لا يشكون فيه -تعالى الله عن قولهم- وفرض لهم صوم رجب وأكل رمضان، وخمس صلوات في اليوم وكذلك في الليلة، والضحية اليوم الحادي عشر من المحرم، وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين، ثم الاستنجاء والمضمضة، وغسل الوجه، ومسح القفا، وغسل الذراعين والمنكبين، ومسح الرأس ثلاث مرات، ومسح الأذنين كذلك، ثم غسل الرجلين من الركبتين. وبعض صلاتهم دون سجود، وبعضها على كيفية صلاة المسلمين، وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلات، ويرفعون وجوههم وأيديهم من الأرض مقدار نصف شبر، ويقرأون نصف قرآنهم في وقوفهم، ونصفه في ركوعهم... وقرآنهم الذي وضع لهم صالح ثمانون سورة، أكثرها منسوبة إلى أسماء النبيين، أولها سورة أيوب...ولم يزل كثير من القبائل على مذهبهم إلى عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م)"[١٧]

والجدير بالإشارة هنا هو أن المرابطين حاولوا إرغام البرغواطيين على تصحيح إسلامهم، غير أنهم لم ينجحوا، ثم استطاع الموحدون -بعد حروب معهم- استئصال شأفتهم[١٨].

٢. ٢ـ الشعراء والأدباء:

تتشكل هذه الفئة من فئات المجتمع الأندلسي التي ذكرها ابن عذاري من: الشعراء والأدباء، ففي مجال الشعر والأدب يلاحظ أنه يكثر من الاستشهاد بشعر المتكسبين من الشعراء، وغيرهم الذين يقولون الشعر لمجرد التعبير عما يجول في أذهانهم، وكثيراً ما يكون الشعر الذي يستشهد به سياسياً، يقال للحث على جهاد الأعداء، أو للتعبير عن نشوة الانتصار عليهم.

ويلفت الانتباه في كتاب البيان المغرب حرص مؤلفه على إيراد نماذج من الشعر لكبار رجالات الدولة كالخلفاء والوزراء والحجاب والأمراء، وقد شكل هؤلاء طبقة من الشعراء لها تأثيرها الواسع على المجتمع.

وفيما يلي نماذج مما أورده ابن عذاري في كتابه من شعر هذه الفئة، فقد نقل عن العالم بالأخبار والأنساب: الزبير بن بكار أن أحد الشعراء حدثه بأنه مدح يزيد بن حاتم عندما ولاه الخليفة العباسي المنصور مصر بقوله:

يا واحد العرب الذي دانت له
قحطان قاطبة وساد نزارا
إني لأرجو إذ بلغتك سالماً
ألا أكابد بعدك الأسفارا

فأعطاه رزمتي ثياب، وعشرة آلاف دينار[19]، وقال ابن عبد ربه، صاحب العقد الفريد، مادحا الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وكان الناصر قد خرج يوما على فرس أبلق، في هيئة جليلة، والوزراء قد حلَّقوا به:

بدرٌ بدا مِنْ تَحتهِ أبلقُ
يحسدُ فيه المغربَ المشرقُ
لو يعلمُ الأبلقُ من فوقهُ
لاختالَ عن عُجبٍ به الأبلقُ
إمامُ عدلٍ باسطٌ كفَّهُ
يرزقُ منها اللّهُ مايرزُقُ
عادَ به الدهرُ الذي قد مضى
وجُدِّدَ الملكُ به المُخْلَقُ[20]

وقال ابراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، والي إفريقية للخليفة العباسي هارون الرشيد سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، وكان قد خلَّف أهله بمصر:

ما سرتُ ميلاً ولا جاوزتُ
رحلةً إلاَّ وذكركَ يَثني دائباً عنُق
ولا ذكرتكَ إلاَّ بتُّ مرتفقاً
صباً حزيناً كأنَّ الموتَ معتنقي[21]

وقال الشاعر المعروف أبو العتاهية في هارون الرشيد عندما خرج إلى الري سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م وكان قد وُلد فيها:

إن أمين الله في خلقه
حن به البر إلى مولده
ليصلح الري وأقطارها
ويمطر الخير بها من يده[22]

وذكر ابن عذاري أن إبراهيم بن أحمد حبس كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن

البريدي سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، فكتب إليه من السجن مستعطفاً:

هَـبْني أسـأتُ؛ فـأين العفـوُ والكـرمُ
إذ قـادَني نحـوَكَ الإذعـانُ والنّـدَمُ
يا خـيرَ مَـن مُـدَّتِ الأيـدي إليـه؛ أما
تَرثـي لشـيخٍ نَعَـاهُ عنـدَكَ القلـمُ
بالغتَ في السُّخطِ فاصفَحْ صفحَ مقتدرٍ
إنَّ الملوكَ إذا ما استُرحِموا رَحِمُوا[٢٣]

وقال الشاعر عبيدالله بن يحيى بن ادريس مخاطبا الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر عندما فتح مدينة سبتة سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م:

بسـيفك دانـت عنـوة وأقـرت
بصـائر كانـت برهـة قـد تولـت
ومـا قربـت أهواؤهـا إذ تقربـت
ولا حليـت بـالزي لمـا تحلـت
ولكـن أزالـت راسـيات عقودهـا
عـزائم لـو ترمـي بهـا العصـم زلـت
ودولـة منصـور اللـواء مؤيـد
تـدل بحـد الله مـن شـر دولـة
فهـذا أوان النصـر منهـا وهـذه
بشائـره تـروي الأنـام بسـبتة[٢٤]

وقال الأمير عبدالرحمن الداخل(صقر قريش)(١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م)عندما وطد ملكه بالأندلس مخاطبا من وفدوا إليه من قريش:

مـا حـق مـن قـام ذا امتعـاض
بمنتضـى الشـفرتين نصـلا
فبـزّ ملكـا وشـاد عـزا
ومنـبرا للخطـاب فمصـلا
فجـاز قفـرا وشـق بحـرا
مسـاميا لجـة ومحـلا
وجنـد الجنـد حـين أودى
ومصّـر المصـر حيـن أجلـى
ثـم دعـا أهلـه جميعـا
حيـث انتـأوا أن هلـم أهـلا
فجـاء هـذا طريـد جـوع
شـريد سـيف أبيـد قتـلا
فحـل أمنـا ونـال شبعـا
وحـاز مـالا وضـم شـملا
ألم يكـن حـق ذا علـى ذا
أوجـب مـن منعـم ومـولى[٢٥]

ومن شعر الأمير الأموي الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) قوله في خمس جوار كان قد استخلصهن لنفسه،

"فذهب يوماً إلى الدخول عليهن، فأبين عليه، وأعرضن عنه:

قضب من البان ماست فَوق كُثْبَان
ولَّين عني وَقد أزمعن هجراني
ناشدتهن بحقي فأعتزمن على
الْعِصْيَان حَتَّى حلا مِنْهُنَّ عصياني

ملكنني ملك من ذلت عَزَيمته
للحب ذل أَسِير موثق عان

من لي بمغتصبات الرّوح من بدني
يغصبنني فِي الْهوى عزي وسلطاني[٢٦]

وأورد ابن عذاري وصف الشاعر عباس بن فرناس معركة وادي سليط التي وقعت سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) بين المسلمين بقيادة الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، والنصارى، ومنه:

ومختلف الأصواتِ مؤتلفِ الزحف
لهوم الفلا عبل القنابل ملتف
إذا أومضت فيه الصوارم خلتها
بروقاً تراءى في الجهام وتستخفي
كأن ذرى الأعلام في سيلانه
قراقير يمٍ قد عجزن عن القذف
وإن طمحت أركانه كان قطبه
حجى ملكٍ نجدٍ شمائله عفٍّ
سميّ ختامِ الأنبياءِ محمدٍ
إذا وصفَ الأملاكُ جلّ عن الوصفِ
فمن أجله يوم الثلاثاء غدوةٌ
وقد نقض الإصباح جل عرى السجف
بكى جبلا وادي سليطٍ فأعولا
على النفر العبدان والعصبة الغلف[٢٧]

ومن شعر الخلفاء الذي أورده ابن عذاري قول الخليفة الأموي سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر (المستعين بالله)(٤٠٠-٤٠٧هـ / ١٠٠٩-١٠١٦م) متغزلاً:

عجباً يهاب الليث حد سناني
وأهاب لحظ فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيباً
منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى
زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لُحن لناظر
من فوق أغصان على كثبان[٢٨]

وأورد ابن عذاري شعراً لابن زيدون في مدح بني جهور(٤٢٢-٤٦١هـ/ ١٠٣٠-١٠٦٨م) الذين حكموا قرطبة في عهد ملوك الطوائف:

مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد الخامس، العدد (١) رجب ١٤٣٩هـ/آذار ٢٠١٨م

لولا بنـو جهـور ما أشرقت بهـم
غيـد السوالـف في أجيـادها تلـع
قوم متى تحتفل في وصف سؤددهم
لا يأخذ الوصف إلا بعض ما يدع
أبو الوليـد قد استـوفى مناقبهـم
فللتفاريـق منهـا فيـه مجتمـع
إن السيوف متى ما طاب جوهرها
في أول الطبع لم يعلق بها الطبع[٢٩]

ومن شعر الرثاء الذي أورده ابن عذاري: رثاء الشاعر أبي بكر بن سوار لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين عندما توفي سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، ومنه قوله:

مـلك الملوك وما تركت لعامل
عملاً من التقوى يشارك فيه
يا يوسف ما أنت إلا يوسف
والكل يعقوب بما يطويه
جوزيت خيراً عن رعيتك التي
لم ترض فيها غير ما يرضيه
أما مساعيك الكرام فإنها
خرجت عن التكييف والتشبيه
في كل عام غزوةٌ مبرورة
تردي عديد الروم أو تفنيه
تصل الجهاد إلى الجهاد موفقاً
حتم القضاء بكل ما تقضيه
ولقد ملكت بحقك الدنيا وكم
ملك الملوك الأمر بالتمويه[٣٠]

وأورد ابن عذاري شعرا للقاضي أبي موسى عيسى بن عمران يحرض فيه أمير الموحدين عبدالمؤمن بن علي على أخذ البيعة لابنه محمد، ومن هذا الشعر قوله:

طال انتظار العالمين لبيعة
فقلوبهم كالنار ما لم تعقد
إن الخلافة قد تبين نورها
للناظرين على جبين محمد
ذاك الذي أعطته كنيتك اسمه
ليحوز أكرم غاية للسؤدد[٣١]

٣. ٣ـ العلماء:

أشار ابن عذاري إلى بعض العلماء، مثل الطبيب أبي العلاء ابن زهر، الذي نال حظوة لدى المرابطين، وكان شاعراً أيضاً، فقد مرض هذا الطبيب، مما جعل قاضي إشبيلية ابن منظور يستغرب مرضه قائلاً: "وطبيب ماهر يمرض!"، وعندما انتهى استغرابه إلى الطبيب قال:

إن ابن منظور تعجب هازلا
لما مرضت، فقلت: يعثر من مشي
قد كان جالينوس يمرض دائما
فمن الفقيه المرتضي أكل الرشا[٣٢]

وأشار ابن عذاري إلى علم التنجيم والمنجمين، وذلك في معرض تناوله لتصدي الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين للنصارى في الأندلس، فقد وجه قائداً يكنى أبا القاسم لحربهم سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م، وكان لدى هذا القائد منجم، وقد أمره باستطلاع النجوم في أمر هذه الحرب، وكان جوابه أن الدائرة ستكون على المسلمين، وبعد أيام قلائل أعاد أبو القاسم الطلب من منجمه، فوجد الوقت ملائما، وأكد أن النصر سيكون حليفا للمسلمين، وهكذا كان.[٣٣]

واكتفى ابن عذاري في ذكره لكثير من العلماء بالإشارة إلى تاريخ وفاتهم، وبعض مؤلفاتهم، ومن هؤلاء: الفقيه القاضي أبو الوليد ابن رشد "وهو محمد بن أحمد بن رشد، وله (شرح المستخرجة)، (وهو كتاب البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل العتبية)، تأليف لم يسبق أحد من العلماء إلى مثله، ينيف على المائة جزء...وله مقدمات في الفقه، فسر فيها مذهب مالك -رحمه الله- بأبلغ حجة وأوضح معنى"[٣٤]

٤. ٤ العامَة:

تضم هذه الطبقة شرائح اجتماعية متنوعة من حرفيين، وعمال، وأجراء، وعاطلين، وعبيد، ومرتزقة، وفلاّحين، ومزارعين، ورعاة، ومعلمين، وأئمة، وغير هؤلاء من الذين يكافحون من أجل الرزق والعيش البسيط، فمنهم الحجام والسقّاء، والحمّال، والدلاّل، والبوّاب، والصيّاد، والحلاّق[٣٥]، ومنهم أيضا بائعو الحوت، والعطّارون، والصيادلة، وبائعو الأطباق والقدور، والفحم، والخبّازون، ومن مهنهم: تدريس العلوم وسرد كتب الوعظ في المساجد، والإمامة، وولاية نظارة، وحسبة، وكتابة عند الملوك، وولاية الأمور الصالحة"، فهذه الطبقة تشمل السواد الأعظم من الناس، وأهم ما يميزها مستوى معيشتها المنخفض، وسرعة تأثّرها بالأزمات[٣٦].

والسمة الغالبة على العامة هي تلك النعوت التي ألصقت بهم، فقد وصفوا بالأنذال، والسفهاء، والأوباش، والرعاع، والهمج[٣٧]. كما وصفوا بالجهل وسذاجة التفكير وقلة الإدراك، وأنهم أصحاب قلاقل وفتن. وأيا كان ما وصفت به هذه الطبقة لابد من التأكيد على أنها كانت تستوحي قناعاتها من الأفكار الدينية والمفاهيم العامة السائدة في المجتمع. فقد آمن أبناء هذه الطبقة بالقضاء والقدر، وأدركوا أسباب الخير والشر، واكتسبوا

الخبرات من ممارساتهم اليومية، ومع ذلك ظل الفقر سمة عالقة بهم، إذ "كانوا مهددين في كل الأوقات بالجوع والعوز والحرمان".(٣٨)

وقد كان ذكر ابن عذاري للعامة من فئات المجتمع الأندلسي مقتضباً، مع أنهم الفئة الأكبر إذا ما قورنوا بالفئات الأخرى، وقد ذكر بعض الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه الفئة التي تضم جماعات متباينة من حيث الثروة والثقافة، وإذا استثنينا العلماء والشعراء والمثقفين والأغنياء من هذه الفئة، فإن البقية يدخل ضمنهم أصحاب الحرف والمهن، وصغار التجار، والباعة المتنقلون، والفلاحون، ومن العامة أيضاً: أسرى الحروب والسبايا والعبيد، كما يدخل ضمن العامة: العرب والبربر والسودان وغيرهم.

وقد نعت ابن عذاري العامة بصفات سيئة، مثل: أرذال الناس، وأهل الشر والفساد، وسفلة القوم، واللصوص...ففي سرده لحوادث سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م مثلا قال: "وثارت العامة أيضا بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود -لعنهم الله-، بسبب قتل وجد بين أظهرهم...وثارت السفلة أيضاً بإشبيلية على قاضيهم أبي بكر ابن العربي(٣٩) وذلك أنه كان له في عقاب الجناة اختراعات مهلكات ومضحكات، فانتدب أنفسا جمة صلبا وضرباً، وسيق إليه أحد الزَّمرة فأمر بضرب يديه وثقب شدقيه فانبطلت الحكمة عليه..."(٤٠) ووصفهم بعض الناس بأنهم "أراذل العامة حجامين وخرازين وكنافين وزبالين"(٤١).

وكثيراً ما كانت العامة تتعرض للمخاطر الناجمة عن القحط والأوبئة، وقد أورد ابن عذاري أكثر من إشارة إلى ذلك مثل قوله: "وفي سنة ١٣١ أمحلت الأندلس، وعم المحل، وتمادى إلى سنة ١٣٦، واتصل المحل الشديد سنة أو اثنتين؛ ثم سقي الناس سنة ١٣٣، وعادت إلى بعض الصلاح"(٤٢).

ثانياً: العادات:

انتقلت كثير من العادات المعروفة في المشرق العربي إلى بلاد المغرب والأندلس، وبعض هذه العادات قديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام واستمرت خلاله، بينما استحدث بعضها الآخر بتأثير الدين الإسلامي، والفتوحات الإسلامية التي امتدت من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، حيث اختلط العرب المسلمون بأقوام وعناصر أجنبية كثيرة، وتأثروا بعادات تلك العناصر وتقاليدها، وما زال بعضها ماثلا للعيان حتى اليوم. ويمكن للمطلع

المتفحص أن يستخلص من كتاب البيان المغرب عادات اجتماعية ودينية وقبلية وصحية وغيرها.

أ. العادات الاجتماعية:

١. العادات المتعلقة بالفرح:

كانت الجمال تنحر ترحيباً بمقدم القائد أو الزعيم عند وصوله بالسلامة، أو فرحا لنجاته من خطر أو مرض تعرض له، فقد وصل موسى بن نصير إلى فلسطين قادما من مصر سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م، "فتلقاه آل روح بن زنباع الجذامي، فنزل بهم، فنحروا خمسين جملا"[٤٣]، وكانت لحوم هذه الجمال توزع على المحتاجين والفقراء.

وكان القائد أو الزعيم يغدق الأموال على مضيفيه، إذ يذكر ابن عذاري أن موسى بن نصير عندما خرج من عند آل روح بن زنباع قد أفرغ عليهم "كثيراً من الكسي والوصائف والوصفان، وغير ذلك من الأموال"[٤٤]

وكان التزيُّن بالحناء من العادات الدارجة، وخاصة لدى الطبقة الحاكمة، فالخليفة الأموي المنذر بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م) كان "يخضب بالحناء والكتم (والكتم نبات يشبه ورقه ورق الزيتون)"[٤٥]

والخليفة الأموي عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) كان يخضب بالسواد.[٤٦]

وقد أورد ابن عذاري قصة ظريفة عن فعل الحناء، وتأثيره في وصفه فتح مدينة ماردة[٤٧] على يد موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م بعد حصارها مدة طويلة، إذ يذكر أن أهلها مالوا إلى الصلح، وقد هدهم طول الحصار، فقد أخذت رسلهم تأتي إليه لتفاوضه على الصلح، ولما جاؤوا أول مرة وجدوه أبيض الرأس واللحية "فكلموه بما لم يوافقهم عليه ولم يرضه، فرجعوا عنه، ولم يعقدوا شيئاً، ثم عاودوه يوما آخر، فألفوه قد حمر رأسه ولحيته بالحناء، فعجبوا منه، وراعهم ما رأوه، ولم يتم لهم أمر، ثم عادوا إليه في اليوم الثالث، وذلك يوم عيد الفطر، فألفوه قد سود رأسه ولحيته، فرجعوا إلى المدينة، وقالوا لمن فيها: ويحكم! إنما تقاتلون أنبياء يتشببون بعد المشيب، فقد عاد ملكهم حدثاً بعد أن كان شيخا!! فقالوا: اذهبوا إليه وأعطوه ما سألكم، فوصلوا إليه، وصالحوه..."[٤٨].

وعلى الرغم من ظرافة هذه القصة وغرابتها، إلا أنها توضح إحدى طرق

التزيين التي مارسها العرب في الأندلس وهي الحناء .

وكان غسل اليدين بماء الورد من العادات المعبرة عن الفرح أيضاً، ففي سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م "اصطلح أهل القيروان[٤٩] وأهل سوسة[٥٠]، وقد كانت جرت بينهم وحشة، فصنع القيروانيون للسوسيين دعوات غُسلت فيها الأيدي بماء الورد، ومسحت بمناديل الشرب"[٥١].

٢. ٢ـ العادات المتعلقة بالحزن:

كان اللباس الأسود شعاراً للحزن لدى الطبقة الحاكمة والعامة عند فقدان عزيز، وقد يتم تسويد الوجه أيضا، كما أن البنات في هذه الحالة قد يحلقن رؤوسهن، ففي سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥٢م تعرض باب تونس، أحد أبواب مدينة القيروان لهجوم الأعراب، "فخرج إليهم العامة... فحملت عليهم فرسان العرب، وتمكنت منهم سيوفهم ورماحهم، فتساقطوا على وجوههم وجنوبهم... ورأى الناس ما أذهلهم من قبيح تلك الجراحات، فتفتت الأكباد، وذابت القلوب والأجساد، لبنيات قد سودن وجوههن، وحلقن رؤوسهن على أبنائهن وإخوانهن.."[٥٢].

وكان الأغنياء يكثرون من النفقات على الجنازة، ففي سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢١م كفنت زوجة نصير الدولة[٥٣] فيما لم يذكر أن ملكا من الملوك كفن في مثله، فحكى من حضره من التجار أن قيمته مائة ألف دينار، وجُعلت في تابوت من عود هندي، قد رصع بالجوهر...وكانت مسامير التابوت بألفي دينار"[٥٤]

وكفن المنصور محمد بن أبي عامر صاحبه سعيد بن خزرون عندما توفي في رجب سنة ٣٨٢هـ/ أيلول ٩٩٢م بسبعين ثوبا، تقديرا له[٥٥].

وكان يُصلى على الجنازة في الطبقة الحاكمة بالبنود والطبول والعماريات (الهوادج)، فعندما توفيت أم ملّال بنت عدة العزيز سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م "صُلي على جنازتها بالبنود والطبول والعماريات، والسيدتان الجليلتان الوالدة والأخت بحال من التشريف لهذه الجنازة"[٥٦]

٣. ٣ـ عادة تقبيل اليد:

تعتبر هذه العادة إحدى العادات الاجتماعية العربية المتوارثة، ولها أكثر من دلالة، إذ قد تشير إلى احترام الصغير لمن هو أكبر منه سنا، أو احترام الشخص لمن هو أعلى منه منزلة، وقد تحدث بعد طول لقاء، أو بعد عودة من السفر...[٥٧] وقد تحدث عند التهنئة بالحصول على لقب أو

مركز، فعندما تسمى محمد بن أبي عامر ب(المنصور)" أخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يده"[٥٨]

ب. بـالعادات الدينية:

١. ١ـالاستسقاء:

يعتبر الاستسقاء والدعاء إلى الله بأن يغيث عباده من العادات الدينية التي يلجأ إليها المسلمون إذا أصابهم القحط، وقد وصف ابن عذاري هذه العادة وصفا دقيقا في أكثر من مناسبة؛ فعندما دخل موسى بن نصير إفريقية "وجدها قد قحطت قحطاً شديداً، فأمر الناس بالصيام والخروج إلى المصلى، الرجال على حدة، والنساء على حدة، والصبيان على حدة، وكذلك جميع البهائم مع أصنافها، فاجتمعوا في موضع واحد، ودعا الله تعالى، ودعا الناس معه، وبكى، وبكوا، وبكى الصبيان والنساء، وصاحت البقر والعجل والغنم والخرفان وأهل الذمة. فأقاموا كذلك حتى انتصف النهار. ثم خطب الناس، فلم يلبث أن سقوا (سقاً) شافياً"[٥٩]

وأمحل الناس في سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م "وتوالى القحط وعم، فبرز إلى مصلى الربض محمد بن عمر بن لبابة[٦٠]، صاحب الصلاة، واستسقى بالناس خمس مرات في أيام مختلفة، فلم تكن سقيا، وغلت الأسعار، وقلت الميرة في الأسواق"[٦١]، ثم استسقى الناس "يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من شوال، وهو أول شهر مايُه، فنزل رذاذ تماسك به بعض الزرع، وذهب الأكثر."[٦٢]

٢. ٢ـالاحتفال بختم القرآن الكريم:

كان هذا الاحتفال يتم عادة في ليلة السابع والعشرين من رمضان، فقد ذكر ابن عذاري أن الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أثناء مواجهته الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي (٥٢٦-٥٥٨هـ/ ١١٣١-١١٦٢م) صعد إلى ربوة في ظاهر وهران، "وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون، وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (٢٢ آذار ١١٤٥م)، صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه"[٦٣].

٣. ٣ـتحرير الرقاب (العتق):

كان بعض السادة يحررون عبيدهم تقربا إلى الله تعالى، ورغبة في الأجر، وكان تحرير العبيد يتم توثيقه، ويوقع على وثائق تحريرهم شهود من الفقهاء أهل الشورى والعدول، فقد ذكر ابن عذاري أن الحكم

الثاني المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) مرض في ربيع الأول سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، "واحتجب عن جميع مملكته إلى أن تخفف وصبه، وظهر لخاصته يوم الجمعة لليلة بقيت من ربيع الآخر منها، وفي عقب ربيع المذكور، أعتق الحكم نحوا من مائة رقبة من عبيد له،...وعقدت بذلك وثائق، فكان أول من أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن الحكم، ثم الفقهاء أهل الشورى، ثم العدول."[٦٤]

ج. ج-العادات القبلية:

وكان دفع الدية لذوي المجني عليه من أبرز هذه العادات، وهي عادة معروفة قبل الإسلام واستمرت بعده، وقد مارسها حتى رجال السلطة في عهد الأمويين في الأندلس، إذ يذكر ابن عذاري أن الأمير الأموي هشام بن عبدالرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م) دفع الدية عن رجل كناني جاءه شاكياً من ظلم وقع عليه من أحد أعوانه، فبعد التحقق من شكواه أمر بدفع الدية عنه، وعن قومه من بيت مال المسلمين.[٦٥]

د. د-العادات الصحية:

وكان القصد من أبرز هذه العادات التي كان المسلمون يتبعونها، وكان بعض الحكام يتخذ فصّادا خاصاً، ومن هؤلاء المنصور محمد بن أبي عامر، فقد كان له فصاد يدعى (محمد)، وقد احتاجه يوما لإجراء عملية فصد، فأرسل إليه من يستدعيه، إلا أن الرسول وجده في السجن بسبب خلاف مع امرأته، فأمر المنصور بإخراجه من السجن للقيام بالعملية، وأعاده إليه بعد إتمامها[٦٦].

ثالثاً. الملابس وأنواعها:

كان لباس الرأس ولباس الجسم وأنواعهما أكثر ما أشار إليه ابن عذاري في كتابه، ويتمثل لباس الرأس في: العمامة، والقلنسوة، واللثام. ويتمثل لباس الجسم في أنواع عديدة منها: البرنس، والغلالة، وغيرهما.

وكانت العمامة معروفة في شمالي إفريقية والأندلس، وهي غالباً ما تكون بيضاء، وقد تتحول إلى اللون الأسود تبعا للتأثر بالدولة العباسية، وقد خلعت إفريقية السواد بأمر من وإليها عبدالرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧-١٣٧هـ/ ٧٤٥-٧٥٥م)، ولذلك قصة يرويها ابن عذاري، إذ يذكر أنه غضب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وخلع طاعته سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٥م، ثم دعا إلى خلع السواد معتبراً إياه لباس أهل النار.[٦٧]

وكانت العمامة كبيرة وطويلة، يدل على ذلك أن مغيثا مولى عبدالملك بن مروان، الذي كان في جيش طارق بن زياد، استعمل عمامته وسيلة لتسلق أسوار قرطبة لفتحها، فقد تسلق رجل من المسلمين الأسوار "ونزع مغيث عمامته، فناوله طرفها، وارتقوا بها حتى كثروا بالسور..."[٦٨] ويدل على طول العمامة وكبرها أيضا أنها كانت تلقى في عنق الرجل، فيجر بها، وقد فعل ذلك والي إشبيلية أبو حفص عمر بن يوسف بن تاشفين، بواليها السابق خالصة بن زهر سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م.[٦٩]

هذا، وقد أجبر أبو المطرف عبدالرحمن بن أبي عامر، عندما أصبح ولياً للعهد، أجبر جميع الطوائف في الأندلس سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م على طرح "قلانسهم الطوال المرقشة الملونة، وكانت على قديم الدهر تيجانهم التي يباهون بها طبقات الرعية، ويباهون بها أهل المملكة، وأمرهم بالانتقال عنها إلى العمائم"[٧٠] ويظهر من هذا النص أن القلنسوة كانت أيضاً من الملابس التي يتباهى الأندلسيون بارتدائها. وقد أجبر الخليفة الأموي محمد بن هشام (المهدي) سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م البربر على ارتداء القلانس وخلع العمائم.[٧١]

وكان اللثام من ملابس المرابطين، فهم قوم يتلثمون، ولا يكشفون وجوههم ما عدا العيون، فقد "جعلوا اللثام سنة، يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب، ولا يزيلونه ليلاً أو نهاراً، ومما قيل في اللثام:

قوم لهم درك العلا من حمير
وإن انتموا صنهاجة فهمُ همُ
لما حووا أحراز كل فضيلة
غلب الحياءُ عليهمُ فتلثموا"[٧٢]

ويعتبر مطرف الخز من ملابس الجسم، وقد ارتداه والي إفريقية للعباسيين الأمير عبدالرحمن بن حبيب الفهري.[٧٣]

وكان البرنس من لباس الجواري، وقد يرتديه المتشبهون بهن من الرجال، كما فعل الحاجب عبدالرحمن بن أبي عامر في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله (٣٥٤-٤٠٣هـ/ ٩٦٥-١٠١٣م)، "وكانت عادته يلبس برنسا كما يفعله الجواري فلا يعرف منهن."[٧٤]

وقد يرتدي الرجال، وخاصة الجنود، البرانس، وهذا ما يفهم من قصة ذكرها ابن عذاري تتعلق بخلع الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر نفسه عن الملك سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م، وتسليمه السلطة ليوسف بن تاشفين، إذ يذكر أن يوسف خرج من

مراكش في جنده، وتلقاه أبو بكر في نصف الطريق، "وقعدا على برنس بسط لهما في ذلك المكان، فسمي ذلك الموضع: فحص البرنس إلى الآن..."[٧٥] وكانت الدروع لباساً عسكريا يرتديه الجند وغيرهم من المحاربين.[٧٦]

وقد أشار ابن عذاري اشارات خافتة إلى أنواع أخرى من الملابس، إلا أنها كانت ظرفية، بمعنى أن ارتداءها كان مقترنا بحالة ما، أو وقت ما، مثل إشارته إلى ارتداء والي الأندلس عبدالعزيز بن موسى بن نصير (٩٥-٩٧هـ/ ٧١٣-٧١٥م) التاج بإلحاح من زوجته المسيحية (أيلة أم عاصم)، وهي امرأة لذريق سابقاً.[٧٧] وإشارته إلى ارتداء العامة في مدينتي بلنسية وشاطبة الجلود والحصر بسبب ما لحقهم من ظلم مبارك ومظفر العامريين.[٧٨]

ويُظهر نص لابن عذاري أن بعض العامة في عهد الموحدين كان لباسهم الغالي من الحرير، وكانت النساء يرتدين الغالي من الثياب من الديباج المطرز بالحرير والذهب، فأمر أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (٥٧٩-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) "بقطع لباس الغالي من الحرير، والاجتزاء منه بالرسم الرقيق الصغير، ومنع النساء من الطرز الحفيل (أي الغالي الثمن) وأمر بالاكتفاء منه بالساذج (الرخيص الثمن) القليل، وأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب الحرير والديباج المذهب، فبيعت منه ذخائر لا تحصى"[٧٩]

رابعاً: المرأة ودورها:

وردت في البيان المغرب إشارات إلى نوعين من النساء؛ سيدات القصور، ودورهن سياسي واجتماعي وأدبي، والجواري، ودورهن ترويحي وأدبي.

أ. أـ سيدات القصور:

وهن أمهات وزوجات رجال الحكم من الخلفاء والأمراء والحجاب، وكان بعضهن غير عربي، ومن غير المسلمين، وقد ذكر ابن عذاري من بينهن المشهورات، ومنهن: زينب النفراوية، زوجة يوسف بن تاشفين، وأم ولده الفضل، وكانت "أحب ما لديه، امرأة غالبة عليه...ولا كان أمر إلا أمرها، وكان يقول لبني عمه إذا خلا بهم وورد ذكرها: إنما فتح البلاد برأيها"[٨٠] ومنهن الشريفة بنت العزيز بالله، إذ يذكر ابن عذاري أن الظاهر لإعزاز دين الله[٨١] بمصر صلى عليها عندما توفيت "وكانت قد ضبطت المملكة، وقومت الأمور بحسن رأي وتدبير...وباشرت تدبير المملكة، فلا ينفذ أمر جل أو قل إلا بتوقيع يخرج عنها بخط أبي البيان الصقلي عبدها"[٨٢].

ومنهن الأميرة أيلة، زوجة لذريق سابقاً، التي تزوجها عبدالعزيز بن موسى بن نصير، وقد سبقت الإشارة إليها، وهي نصرانية، فقد كان لها تأثير كبير عليه، وأشارت عليه بما أدى إلى قتله، فقد ذكر ابن عذاري نقلاً عن الواقدي أن عبدالعزيز نكح ابنة لذريق "فجاءته من الدنيا بما لا يوصف. فلما دخلت عليه، قالت له: (ما لي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك، ولا يسجدون لك، كما كان أهل مملكة أبي يفعلون له؟) فأمر بباب، فنقب في ناحية قصره، وجعله قصيراً؛ فكان يأذن للناس منه؛ فيدخل الداخل منكساً رأسه قبالته لقصر الباب؛ وقد جعل لها مجلساً، تنظر منه إلى الناس إذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها. فلما رأتهم على ذلك، ظنت أنهم يسجدون له. فقالت لعبدالعزيز: (الآن قوي ملكك)، وبلغ الناس ما أراد بذلك الباب؛ فثار به حبيب بن أبي عبدة الفهري، وزياد بن عذرة البلوي، وزياد بن نابغة التميمي، ومن معهم من الناس، فقتلوه."[٨٣]

وتمثل نساء القصور الأديبات: الشاعرة الحرة حواء اللمتونية، زوجة القائد العسكري سير بن أبي بكر اللمتوني في عهد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، فقد كانت -كما يصفها ابن عذاري- "أديبة شاعرة جليلة ماهرة"[٨٤] وكانت تحاضر الكتبة والشعراء في مجلس لهم بمراكش، وكان أحد الشعراء في ذلك المجلس يدعى: ابن المرخي قد قال صدر بيت من الشعر، ولم يستطع أحد من الشعراء غيرها إجازته[٨٥].

بالجواري:

يستنتج من أخبار الجواري التي ذكرها ابن عذاري أن كثيرات منهن كن موهوبات في الأدب والشعر والموسيقى، وأن أسعارهن كانت تتفاوت بمقدار تفاوت جمالهن، وتفاوت المواهب لديهن، كما يستنتج من تلك الأخبار أن كبار الشخصيات كانوا يمتلكون أعداداً من الجواري، ويجلبون بعضهن من الخارج مثل بلاد الرافدين.

ومن هؤلاء الجواري جارية للأمير الأغلبي زيادة الله بن إبراهيم الأغلبي (٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٧-٨٣٧م) الذي غضب على غلام له يدعى (خطّاب)، وحبسه بعد أن كان كلفا به، فغنت إحدى جواري زيادة الله تستعطفه على خطاب قائلة:

يـا أيهـا الملـك الميمـون طـائره
رفقا فـإن يـد المعشـوق فـوق يـدكْ
كـم ذا التجلـد والأحشـاء خافقـة
أعيذ كفك أن تسطو على كبدكْ[٨٦]

وكان زيادة الله كثيراً ما يصاب بـالغم والهم بسبب حروبه مع الشيعة في شمـالي إفريقيـة، وكانـت بعـض جواريـه يحـاولن التسرية عنه، وقد غنت له إحداهن:

إصـبر لـدهر نـال منـك
فهكـذا مضـت الـدهورُ
فـرحٌ وحـزنٌ مـرة
لا الحـزن دام ولا السـرورُ[٨٧]

وكانت بعض الجـواري يـتم ابتياعهـا من الخارج، وتدفع فيها أموال طائلة بسبب شهرتها، وهذا ما فعله حـاكم إشـبيلية أبـو إسحاق إبراهيم بن حجاج في عهـد الأمـير الأموي عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بـن الحكم (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)، فقـد "سمع بجارية بغداديـة اسمهـا قمـر؛ فوجـه بـأموال عظيمـة إلى المشـرق في ابتيـاع هـذه الجاريـة، إلى أن اسـتقرت بـدار مملكتـه إشبيلية، وكانـت كالبـدر المـنير، ذات بيـان وفصاحة، ومعرفة بالألحان والغناء...وكـان لها شعر يستحلى ويستحسن، فمن قولها...:

قالـوا أتـت قمـرٌ في زيّ أطمـار
مـن بعـد مـا هتكـت قلبـاً بأشـفارِ
تَمشي علـى وجـلٍ تغـدو علـى سُبُلٍ
تشـقّ أمصـار أرضٍ بعـد أمصـارِ
لا حـرّة هـي مـن أحـرارِ موضعهـا
ولا لهـا غيـر ترسـيلٍ وأشعـارِ
لَـو يعقلـونَ لمـا عابـوا غَريبتهـم
لِلّـه مـن أمـة تـزري بأحـرارِ
ما لابـن آدم فخـرٌ غـير همّتـهِ
بعـد الديانـة والإخـلاص للبـاري
لَـولم تَكـن جنّـةٌ إلا لجاهلـةٍ
رضيت من حكم ربّ الناس بالنـارِ[٨٨]

خامساً: المراسيم والاحتفالات:

تشكل المراسيم والاحتفـالات جانبـاً مهماً من جوانـب الحيـاة الاجتماعيـة الـتي عكسـها ابـن عـذاري في بيانـه المغـرب، وغالباً ما تكون هذه المراسيم والاحتفـالات رسمية؛ لإعلان البيعة للأمير أو الخليفـة أو ولي العهد، أو للاحتفال بمنح لقـب، غالبـاً ما يكون عسكرياً، أو لإعلان مناسبة عامـة، مثل اعلان العيد.

وكانـت مراسـيم البيعـة تجـري في احتفالات كبيرة، غير أنها غالبـاً مـا تكـون خاصة، إذ نادراً ما يشترك العامة فيها، ففـي

سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م جلس الأمير الأموي عبدالرحمن الناصر للبيعة "في محراب المجلس الكامل بقصر قرطبة، وتولى أخذها له على الخاصة والعامة بدر بن أحمد[٨٩] مولاه، وموسى بن محمد بن حُدير[٩٠] صاحب المدينة، وأحضر أعمامه وأعمام أبيه، وطبقات قريش، وصنوف الموالي، وعامة الناس؛ فبايعوا مبايعة رضى واغتباط، بوجوه متهللة، وصدور منشرحة، وألسنة داعية شاكرة لله -عز وجل- على ما قلده من أمرهم، وأصاره إليه من رعايتهم، والذّبِّ عن حرماتهم؛..."[٩١]

وقد تؤخذ البيعة من أعلام الناس والرؤساء وحسب، فقد أخذ يوسف بن تاشفين البيعة لابنه علي من أعلام المرابطين، وبعض ملوك الطوائف منهم عماد الدولة عبدالملك ابن المستعين بن هود، صاحب سرقسطة.[٩٢]

وقد تؤخذ البيعة في المسجد الجامع، وهو ما حدث عندما أُخذت البيعة لتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، فقد اجتمع أشياخ المرابطين في المسجد الجامع الكبير بمراكش، "وتشاوروا في من يختارون، ومن عليه يجتمعون، فقالوا كلهم بصوت واحد: تاشفين، تاشفين..."[٩٣]

وكانت الألقاب تمنح في مجلس الحاكم وفي قصره، وأحياناً في المسجد الجامع، ففي سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م اجتمع أشياخ القبائل على الأمير أبي يعقوب يوسف بن تاشفين، واختاروا له لقب (أمير المسلمين) "فأمر الكتاب أن يكتبوا بهذا الاسم إذا كتبوا عنه أو إليه"[٩٤]

وكان بعض الوزراء في عهد ملوك الطوائف يمنحون أنفسهم ألقاباً تدل على التعاظم، فأبو الوليد محمد بن جهور الذي لقبه أهل قرطبة (الرشيد)، طلب من الناس مبايعة ابنه عبدالملك، وكان ابنه "قد اعتدى وصحب الأرذال، واستباح أموال المسلمين، وسلط عليهم أهل الفساد، وأهمل الأمور الشرعية، وأخاف الطرق، وشرع في المعاصي والفسوق، وأظهر الخنى...وكان هذا السفيه القوي قد تعاظم وتعاطى حتى سمى نفسه ذا السيادتين: المنصور بالله الظافر بفضل الله"[٩٥]

وكانت تقام عند النصر على الأعداء احتفالات كبرى، من أمثلتها ذلك الاحتفال الذي أقيم لعبدالملك بن محمد بن أبي عامر (المظفر) في قرطبة عام ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م بعد عودته من غزو النصارى حيث دمر عدداً كبيراً من حصونهم، وسبى أكثر من خمسة آلاف منهم، فقد "تلقاه أهل قرطبة

وعلماؤها ووجوهها مسلّمين داعين مهنئين شاكرين، ثم دخل الحاجب (عبدالملك) إلى الخليفة هشام (المؤيد بالله) فرفع مجلسه، وأعلى مكانه، وكساه من ملابسه السنية ثلاث رزم، قرن بها سبعين من خاص سيوفه، فأظهر عبدالملك السرور بذلك، وشكر الخليفة، وقبل يده، ثم رحل عنه منصرفا إلى قصوره بالزاهرة"[٩٦]

سادساً: البذخ والإنفاق

كان البذخ -كما أظهره ابن عذاري- ظاهرة اجتماعية ملحوظة، وخاصة في الإنفاق على بناء المساجد والمدن والقصور، فقد أنفق الأمير الأموي عبدالرحمن الداخل على بناء المسجد الجامع في قرطبة الذي استغرق عاماً كاملاً ١٦٩- ١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م "ثمانين ألفاً من لجين وعسجد"[٩٧] وقد زاد من جاؤوا بعد الداخل في بناء المسجد حتى أصبح أكبر مسجد في العالم الإسلامي، وقد بلغت أعمدته أكثر من ألف وأربعمائة، وزين منبره بثلاث رمانات إحداها فضة والأخرى ذهب إبريز وفوقها سوسنة ذهب مسدسة، وأصبحت منارته إحدى عجائب الدنيا، وقد بلغ طول الجامع ثلاثمائة وثلاثين ذراعاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب مائتين وخمسين ذراعا. وقد أنفق الخليفة عبدالرحمن الناصر في صومعة المسجد وتعديله" سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية"[٩٨] وأنفق الناصر في بناء مدينة الزهراء وقصورها "خمسة وعشرون مدياً من الدراهم القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف"[٩٩] أما مدينة الزاهرة التي بناها المنصور محمد بن أبي عامر على نهر قرطبة فقد فاق ما أنفق في بناء قصورها وأسواقها ومتنزهاتها الوصف.[١٠٠]

وليس من شك في أن البذخ والإنفاق كان واسعاً في حفلات الزواج وغيرها، غير أن ابن عذاري الذي صرف اهتمامه الأول إلى الجانب السياسي لم يذكر هذه الحفلات إلا نادراً، ومنها حفل زفاف أم العلو بنت نصير الدولة، الذي كان البذخ فيه منقطع النظير، إذ يذكر ابن عذاري أنه "لما كان يوم الأربعاء غرة شعبان المكرم (سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) زين الإيوان المعظم للسيدة الجليلة أم العلو، ودخل الناس خاصة وعامة، فنظروا في صنوف الجوهر والأسلاك والأمتعة النفيسة، وأواني الذهب والفضة ما لم يعمل مثله، ولا سمع لأحد من الملوك قبله،...وحُمل جميع ذلك إلى الموضع الذي ضربت فيه الأبنية والقباب والأخبية، وحمل المهر في عشرة أحمال على أبغل على كل حمل جارية

حسناء، وجملته مائة ألف دينار، وهذا ما لم يـر قـط لامـرأة قبلـها بإفريقيـة. وزفـت العروس في يوم الخميس، ومضى بين يديها عبيـد أخيهـا شـرف الدولـة، وأبيهـا نصـير الدولة، وجدها عدَّةُ العزيـز بـالله، ووجـوه رجال الدولة؛ فكان يومـا سـارت الركبـان بمحاسن آثاره، وامـتلأت البلـدان بعجائـب أخباره»[١٠١]

الخاتمة:

يعتـبر كتـاب البيـان المغـرب لابـن عذاري المراكشي من أهم المصادر التاريخيـة لتاريخ الأندلس والمغرب، ولا يكاد يستغني عنـه أي باحـث متخصـص في تاريخهمـا، وخاصة أنه يتناول هـذا التـاريخ منـذ فـتح القطرين على أيدي المسلمين حتى مـا بعـد منتصـف القـرن السـابع الهجري/ الثالـث عشر الميلادي.

وترجـع أهميـة هـذا الكتـاب إلى أنـه اعتمـد في مضـمونه علـى مصـادر كـثيرة بعضها مفقود، كما أنه -إضافة إلى الجانـب السياسـي- اعتنـى بـالأحوال الاقتصـادية والظـواهر الطبيعيـة وانعكاسـاتها علـى المجتمـع، والحيـاة الاجتماعيـة. وقـد أمكـن التعرف علـى جوانـب منهـا مثـل: الفئـات التي تكون منها المجتمع المغربي والأندلسـي، وعاداتـه، وملابسـه، وأحـوال المـرأة فيـه، والمراسيم والمواكب التي شهدها، وحـالات البذخ والإنفاق التي ميزته.

وقد حرص البحث على رصـد تلـك الفئات التي كان بعضـها غريبـاً مـن حيـث العقيدة والـدين والتقاليـد والعـادات مثـل البرغـواطيين، بينمـا كـان بعضـها الآخـر مألوفاً في المجتمع الإسلامي، مثل: الشـعراء، والأدباء، والعلماء، والعامة.

وقد ركز البحث في جانب منـه علـى المرأة ودورها في المجتمع، ذلك الدور الـذي اختلف باختلاف الطبقـة الاجتماعيـة الـتي تنتمي إليها، حيث كانت إمـا مـن سـيدات القصور، وإما من الجواري أو العامة.

الهوامش:

(١) السملالي المراكشي، العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،** مراجعة عبدالوهاب بن منصـور، المطبعـة الملكيـة، الربـــاط، ١٩٦٧م، ج٤، ص٢٨٤-٢٨٥، الترجمـة رقـم (٥٧٥)؛ كحالـة، عمـر رضـا، **معجـم المـؤلفين،** مؤسسـة الرسـالة، ط١، بـيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٣، ص٧١٠؛ بروكلمـان، كـارل، **تـاريخ الأدب العربـي،** ترجمة السيد يعقوب بكـر، **مراجعـة رمضـان عبدالتواب،** ط٢، دار المعارف، القاهرة، ج٦، ص١٠٠.

(٢) سالم، السيد عبدالعزيز، **المغرب الكبير، العصر الإسلامي،** الدار القومية للنشر والتوزيع، ١٩٦٦م، ص١٠٠.

(٣) ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)،** تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبدالقادر زمامة، ط١، **دار الغرب الإسلامي،** بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٤٤٧.

(٤) ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج١، ص٣.

(٥) ابن سودة المري، عبدالسلام بن عبدالقادر، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى (دليل ابن سودة)،** ضبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٨٧-٨٨.

(٦) السيد الكنبيطور: يرد في بعض المصادر والمراجع باسم (القنبيطور)، ويسميه ابن عذاري: لذريق النصراني، ويرد في مصادر أخرى باسم: رذريق، وهو فارس قشتالي مغامر، كان مرتزقا، أي أنه كان يحارب إلى جانب من يدفع له، وكان أتباعه ينادونه: السيد. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣١؛ ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء،** تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٦٨؛ حتاملة، محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،** مطابع الدستور التجارية، ٢٠٠٠م، ص٤٨٦.

(٧) بلنسية: مدينة تقع في شرقي الأندلس قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتعتبر قاعدة من قواعد الأندلس، حتاملة، محمد عبده، **موسوعة الديار الأندلسية،** ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص٣٠١-٣٠٣.

(٨)ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج٤، تحقيق احسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٥.

(٩) ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج١، ص٢-٣.

(١٠) ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، **تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري،** ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٩-٣٦؛ مجهول، **تاريخ الأندلس،** تحقيق عبدالقادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٥٣ وما بعدها؛ ويدار، حسين يوسف، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٥-١٠٣٠م)،** ط١، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٤وما بعدها؛ مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس،** ط٥، دار الرشاد، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٦٨ وما بعدها؛ مؤنس، حسين، **فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية)،** ط٤، دار الرشاد، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٨٧ وما بعدها.

(١١) ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

(١٢) **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٢٤؛ وانظر: الطالبي، محمد والعبيدي، إبراهيم، **البرغواطيون في المغرب**، ط١، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩م، ص٥٠ وما بعدها. وسيشار إليه لاحقا: الطالبي والعبيدي، **البرغواطيون في المغرب**.

(١٣) الطالبي والعبيدي، **المرجع السابق**، ص٤٢، ٤٧.

(١٤) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج١، ص٢٢٤.

(١٥) **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٢٤-٢٢٥.

(١٦) **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٧) **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٢٧.

(١٨) الطالبي والعبيدي، **البرغواطيون في المغرب**، ص٧٥-٧٧.

(١٩) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج١، ص٨١.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٢٧.

(٢١) **المصدر نفسه**، ج١، ص٩٢.

(٢٢) **المصدر نفسه**، ج١، ص٩٤.

(٢٣) **المصدر نفسه**، ج١، ص١٢١.

(٢٤) **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٠١.

(٢٥) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٥٩.

(٢٦) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٩.

(٢٧) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١١١.

(٢٨) **المصدر نفسه**، ج٣، ص١١٨- ١١٩.

(٢٩) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٢٣٣

(٣٠) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٤٧.

(٣١) المصدر نفسه، **قسم الموحدين**، ص٤٨.

(٣٢) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٤٩.

(٣٣) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٦٢-٦٣.

(٣٤) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٧٤.

(٣٥) جباري، سامية، **الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي كما صورها الأدب**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص٦٦-٦٧.

(٣٦) **المرجع نفسه**، ص٦٧؛ بوتشيش، ابراهيم القادري، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٦٩؛ دندش، عصمت عبداللطيف، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين ومستهل الموحدين**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٨١.

(٣٧) جباري، **الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي**، ص٦٧- ٦٨.

(٣٨) السعيد، محمد مجيد، **الشعر في ظل بني عباد**، ط١، البصرة، ١٩٧٢م، ص٥٤.

(٣٩) أبو بكر بن العربي: محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، ولد في إشبيلية بالأندلس سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م، في أسرة عريقة النسب، لها مقام رفيع، ومكانة عالية في المجتمع، فقد كان والده من وجوه القوم، ومن علماء إشبيلية الذين يشار إليهم بالبنان. وقد صحب ابن العربي كثيرين من العلماء المشهود لهم بالعلم مثل: ابن حزم، وكان قد حفظ القرآن الكريم وحذقه وهو ابن تسع سنوات، واستطاع وهو صغير أن يلم بفنون كثيرة من العلم، فقد أخذ من كل علم بطرف ولما يبلغ السادسة عشرة، وارتحل

مع والده في عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م إلى المشرق، حيث أمضيا عشر سنوات تنقلا خلالها بين مصر وبيت المقدس ودمشق وبغداد ومكة المكرمة، وسمع أبو بكر أثناء تنقله من علماء هذه البلدان، فقد جالسهم وطلب العلم على أيديهم. وأثناء عودتهما إلى الأندلس عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م توفي والد أبي بكر في الاسكندرية وذلك عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، بينما استأنف هو سيره إلى إشبيلية ووصلها سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م، وولي القضاء فيها، مضطلعا بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفساد والفسق والمجون الذي كان منتشرا في إشبيلية آنذاك، إلا أن الفاسدين لم يرضهم تصديه لهم، فحاربوه، وألبوا عليه العامة، ورعاع الناس، وأكثروا الدسائس ضده، وأدى ذلك إلى عزله، فانتقل إلى قرطبة حيث تفرغ للدرس والتعليم والوعظ والتأليف، وعندما انتصر الموحدون بقيادة عبدالمؤمن بن علي على المرابطين، واستقر لهم الأمر، وصل وفد برئاسة أبي بكر بن العربي إلى عاصمة الموحدين (مراكش) لمبايعته بالإمارة، وأمضى هناك سنة كاملة، ثم أزمع العودة إلى إشبيلية، غير أنه توفي في الطريق إليها عندما وصل إلى مشارف مدينة فاس حيث دفن، وذلك سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م. انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨-٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٤، ص٢٩٦-٢٩٧؛ المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٦٢٦-٦٢٧؛ الحسين، عبدالكريم بن إبراهيم، **أبو بكر بن العربي حياته وأثره في الدعوة والاحتساب**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف محمد زين الهادي، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص١١ وما بعدها.

(٤٠) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٩٣.

(٤١) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٧٤.

(٤٢) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٨.

(٤٣) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٩.

(٤٤) **المصدر نفسه**.

(٤٥) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١١٣.

(٤٦) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٢٠-١٢١.

(٤٧) ماردة: مدينة قديمة، تقع ما بين الغرب والشمال من مدينة قرطبة، وتبعد عن مدينة قرطبة مسيرة خمسة أيام للراكب، وعشرة للماشي. حتاملة، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص٩٨٧ وما بعدها.

(٤٨) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٥.

(٤٩) القيروان: مدينة قديمة عظيمة بإفريقية، غبرت قبل الإسلام، وعندما فتحها المسلمون مصروها، وعاد إليها مجدها، وكان ذلك على يد القائد عقبة بن نافع الفهري في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، فقد أعاد عقبة بناء المدينة لكي يسكنها المسلمون،

واختار لبنائها مكانا بعيدا عن البحر لكي لا تكون عرضة لمراكب الروم، وعندما أمر أصحابه بالبناء - كما يذكر ابن خلكان- قالوا له:" هذه غياض كثيرة السباع والهوام، فنخاف على أنفسنا هنا، وكان عقبة مستجاب الدعوة، فجمع من كان في معسكره من الصحابة، وكانوا ثمانية عشر، ونادى: أيتها الحشرات والسباع، نحن أصحاب رسول الله ﷺ، فارحلوا عنا فإننا نازلون، فمن وجدناه بعد قتلناه، فنظر الناس يومئذ إلى أمر هائل؛ كان السبع يحمل أشباله، والذئب يحمل أجراءه، والحية تحمل أولادها وهم خارجون أسراباً أسراباً، فحمل ذلك كثيراً منهم على الإسلام." ثم اختط عقبة داراً للإمارة، واختط الناس حوله، وبذلك عمرت المدينة. انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت:٦٢٦هـ) **معجم البلدان،** تحقيق محمد أمين الخانجي الكتبي، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م، ج٦، ص١٩٣- ١٩٦.

(٥٠) سوسة: مدينة بالمغرب، يحيط بها البحر من ثلاث جهات: الشمال والجنوب والشرق، ولها سور صخري حصين يضرب في البحر، وتبعد عن القيروان ستة وثلاثين ميلا. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٧٣- ١٧٥.

(٥١) ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج١، ص٢٧٩.

(٥٢) **المصدر نفسه،** ج٣، ص٢٢٢.

(٥٣) نصير الدولة: هو باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، كان يتولى إفريقية نيابة عن الحاكم العبيدي، صاحب مصر، الذي لقبه: نصير الدولة. وقد كان باديس حازم الرأي، شديد البأس، وقد توفي في ذي القعدة سنة ٤٠٦هـ/ نيسان ١٠١٦م. لمزيد من التفاصيل، انظر: **البيان المغرب**، ج١، ص٢٤٧-٢٤٩؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٥٤) ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج١، ص٢٧٠.

(٥٥) **المصدر نفسه،** ج١، ص٢٤٦.

(٥٦) **المصدر نفسه،** ج١، ص٢٧٢.

(٥٧) **المصدر نفسه،** ج٣، ص٢٢٢.

(٥٨) **المصدر نفسه،** ج٢، ص٢٧٩.

(٥٩) **المصدر نفسه،** ج٢، ص١٩.

(٦٠) محمد بن عمر بن لبانة: هو شيخ المالكية، أبو عبدالله محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي، كان من الأئمة في الفقه، وكان حافظاً لأخبار الأندلس، وله حظ من النحو والشعر، وقد ولي الصلاة بقرطبة، ومات في شعبان ٣١٤هـ/ تشرين الأول ٩٢٦م، عن عمر ناهز التسعين سنة. انظر: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله، (ت٤٨٨هـ)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،** تحقيق بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، **دار الغرب الإسلامي**، تونس، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، (الترجمة رقم ١١٠)، ص١١٦-١١٧؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، **سير أعلام النبلاء**، أشرف

على التحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١٤، تحقيق أكرم البوشي، (الترجمة رقم ٢٧٨)، ص٤٩٥.

(٦١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٦٦.

(٦٢) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

(٦٣) **المصدر نفسه**، ج٤، ص١٢٥.

(٦٤) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٦٥) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٧- ٦٨.

(٦٦) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٩٠.

(٦٧) **المصدر نفسه**، ج١، ص٦٧.

(٦٨) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٠.

(٦٩) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٦٦.

(٧٠) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٨.

(٧١) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٨٢.

(٧٢) **المصدر نفسه**، ج٤، ص١٢٩.

(٧٣) **المصدر نفسه**، ج١، ص٦٧

(٧٤) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٠.

(٧٥) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٢٥.

(٧٦) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٨٨.

(٧٧) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٣.

(٧٨) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٥٨-١٦٢.

(٧٩) ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين.**

(٨٠) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٣٠.

(٨١) الظاهر لإعزاز دين الله: هو الخليفة الفاطمي علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي عبيدالله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل، المصري المولد والنشأة والوفاة، وقد ولد في القاهرة سنة ٣٩٥هـ، وولي الخلافة سنة ٤١١هـ، وعمره ست عشرة سنة وبضعة أشهر، وقامت عمته ست الملك المذكورة بتدبير مملكته أحسن قيام، وقد توفي الظاهر بالقاهرة سنة ٤٢٧هـ، وعمره إحدى وثلاثون سنة. انظر التفاصيل: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، ج٤، ص٢٤٧-٢٥٥.

(٨٢) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج١، ص٢٧١.

(٨٣) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٤.

(٨٤) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٥٧.

(٨٥) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

(٨٦) **المصدر نفسه**، ج١، ص١٤٣.

(٨٧) **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

(٨٨) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٢٨-١٢٩.

(٨٩) بدر بن أحمد، هو بدر بن أحمد الصقلي، كان وصيفا للآمير الأموي عبدالله بن محمد، ثم أعتقه، وعندما تولى عبدالرحمن الناصر الخلافة ولّاه "الوزارة والحجابة (أي رئاسة الوزراء)، والقيادة والخيل والبرد، وكان ينفرد بالولايات، فتُكتب السجلات في داره، ثم يبعثها للطبع فتطبع، وتُخرج إليه، فيبعث في العمال فينفذون على يديه..."، انظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٥٢- ٢٥٣.

(٩٠) موسى بن محمد بن حدير، هو أبو الأصبغ موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن

حدير، ذكر ابن الأبار أنه كان من أهل العلم والأدب والشعر، وأنه ولي خطة المدينة، وعزل عنها، وأعيد إليها، وأن الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر استوزره ثم استحجبه. وقد توفي أبو الأصبغ في صفر سنة ٣٢٠هـ/ شباط ٩٣٢م، ولم يستحجب الناصر بعده أحداً. انظر: **ابن الأبار، الحلة السيراء،** ج١، ص٢٣٢- ٢٣٣.

(٩١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٥٨.

(٩٢) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٤٣.

(٩٣) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٩٧- ٩٨.

(٩٤) **المصدر نفسه**، ج٤، ص٢٧- ٢٨.

(٩٥) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٩٦) **المصدر نفسه**، ج٣، ص٧-٩.

(٩٧) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢.

(٩٨) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١.

(٩٩) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٣١- ٢٣٢.

(١٠٠) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٩٨- ٣٠٠.

(١٠١) **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٧٢- ٢٧٣.

أسباب الطلاق في المجتمع الأردني

دراسة حالة لواء المزار الجنوبي/ محافظة الكرك في الاردن

د. رياض محمد الصرايرة* د. حسني محمد السعود **

تاريخ وصول البحث: ١٠/ ٨/ ٢٠١٥م تاريخ قبول البحث: ٢١/ ٥/ ٢٠١٧م

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أهم الأسباب التي تؤدي إلى وقوع حالات الطلاق في لواء المزار الجنوبي بالكرك، ولتحقيق أهداف الدراسة تم بناء استبانة لغرض جمع البيانات، وتكونت عينة الدراسة من (٤٨) مطلقاً ومطلقةً، وقد تم اختيارهم بطريقة العينة القصدية، وتوصلت الدراسة إلى نتائج كان من أهمها:

١. هناك علاقة إيجابية بين عامل الجهل بطبيعة الحياة الزوجية وواجباتها وحقوقها وحالة الطلاق، حيث يؤدي هذا العامل إلى وقوع حالة الطلاق.

٢. هناك أثر ذو دلالة إحصائية لعامل تدخل الأهل في شؤون الحياة الزوجية على وقوع حالة الطلاق.

٣. هناك أثر هام ذو دلالة إحصائية لوجود الشك، أو الغيرة بين الزوجين على وقوع حالة الطلاق.

وتوصي الدراسة بضرورة العمل مع الأزواج حديثي العهد بالحياة الزوجية -كل على حدة- لتبصيرهم بدوافعهم، وكوامن عللهم ليتفهموا طبيعة مشكلتهم، ويكتسبوا القدرة على حلّ صراعاتهم المختلفة.

* محاضر متفرغ، كلية الآداب والفنون، جامعة عمان الأهلية.

** محاضر متفرغ، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

Abstract

This study aimed to identify the main reasons that lead to the occurrence of the event of divorce at Al-Mazar El-Janubi in Al-Karak, Jordan. To achieve objectives of the study, a questionnaire was demonstrated for data collection. The study sample consisted of (48) divorced men and women, who were intentionally selected. The results of the study revealed that there is an increasing relationship between the factor of ignorance of the nature of marital status, its duties rights and divorce, which lead to the occurrence of divorce.

Further, there is astatistically significant effect of the intervention of parents in the affairs of the couples which urges divorce. There is also astatistically significant effect of the suspicion or jealousy between the couples leading to the occurrence of the divorce. The study recommends the need for work with newlyweds, individually, to make them aware of their motives and deep concerns to help them to understand the nature of their problems and to solve their disputes.

المقدمة:

يُعد الزواج أحد أهم النظم الاجتماعية وأقدمها، إذ تتشكل من خلاله النواة الرئيسية الأساسية للمجتمع الإنساني "الأسرة"، كما أن الزواج أحد الوسائل التي يُقرها المجتمع لتنظيم العلاقات الاجتماعية، كما تبرز أهميته في حياة الأشخاص والمجتمع من خلال وظائفه الأساسية في تحديد شرعية العلاقات الجنسية بين الأفراد في المجتمع، وإنجاب الأطفال لتأسيس أسرة تُعد أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية في

المجتمعات الإنسانية، حيث لا يمكن أن تتحقق ويتم بناؤها إلا من خلال الزواج عموماً.

وفي مقابل ذلك، فإنّ الطلاق يعدّ إحدى المشكلات الاجتماعية التي تؤدي إلى انهيار الأسرة وتفكّكها، إذ ينتج عنه آثار سلبية تهدّد البناء الأسري وتعيقه عن القيام بأدواره الرئيسة داخل المجتمع.

بالإضافة إلى ما سبق، فإن هناك ارتفاعاً واضحاً في حالات الطلاق في المجتمع الأردني، حيث بلغت حسب التقرير الإحصائي الصادر عن دائرة قاضي القضاة لعام (٢٠١٥م) (٥٥٩٩) حالة طلاق في مقابل (٨١٣٧٣) حالة زواج لنفس العام، ما يشكل نسبة (٦,٩٪)، وهي نسبة مرتفعة -بل الأعلى- عما كان عليه الأمر في السنوات السابقة، حسب التقرير نفسه[1]) وليس هذا الارتفاع مقصوراً على عام ٢٠١٥م، بل إن حالات الطلاق ازدادت عموماً في السنوات الأخيرة بشكل يبعث على القلق، فزواج من كل خمس حالات زواج تقريباً مآله الفشل كما تشير الإحصاءات الرسمية في المملكة.

وبالنظر إلى هذه الإحصائيات، فإنه يحسن بالباحثين أن يلتفتوا إلى هذه الظاهرة، لا سيما أن للطلاق عواقب غير محمودة على المستويين الفردي والاجتماعي، ومن هنا وجد الباحثان الدافع لهذه الدراسة، لسدّ ثغرة في الدراسات المتخصصة في مجالات الأسرة، والتعرف إلى الأسباب الاجتماعية الحقيقية التي تؤدي إلى وقوع حالة الطلاق.

إن مبعث القلق في قضية الطلاق والدراسات المتعلقة بها نابع من حقيقة مفادها أن تماسك المجتمع وسلامته وإمداده بأعضاء جدد يبدأ من عتبة الأسرة، لأنها حجر الزاوية في البنية الاجتماعية، وهي الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الكبير، وأن الطلاق ومشكلات أخرى قد تعصف بأسرة اليوم تشكل معاول هدم في جدار المجتمع، خاصة عندما يتعلق الأمر بضحايا الطلاق كالأطفال الذين يحصدون نتائج ما يفعله الكبار، وإنها حقاً لمفارقة غريبة، أن يعتدي الكبار على حقوق الصغار، دون أن يكون للأخيرين كلمة ورأي في الموضوع.

إنّ الفرد لا يخلو من المشكلات والعقبات التي تحول بينه وبين إشباع حاجاته، والوصول إلى أهدافه، ويقاس التوافق السليم بمدى قدرة الفرد على مواجهة هذه المشكلات وحلّها، أو تقبلها

والحياة معها، فالمشاكل والعقبات أمر عاديّ في حياة الفرد، والأمر غير العادي هو فشل الفرد في حلّ هذه المشاكل، أو عجزه أن يتعلم كيف يعيش متقبّلاً لها، أو جنوحه إلى أساليب شاذّة من السلوك إذا تعذر عليه حلها[٢].

ويبين الشهري[٣] أنه لا يخلو أي زواج من أزمات يختلّ فيها التفاعل الزواجي وتتوتر العلاقة بين الزوجين وتضطرب حياتهما، وتتأزم أمورهما، ويغدو توافقهما في الزواج صعباً، يحتاج إلى جهد وصبر ورغبة منهما في حل التأزّم، وإلى مساندة من الأهل والأصدقاء حتى تمرّ فترة التأزم بسلام.

ويرى Darya & Dawn[٤] أنه إذا لم يستطع الفرد مقابلة تلك الأزمات بطريقة مقبولة فإنه يدخل في حالة من الخلل في التوافق الصحي، والشخصي، والاجتماعي، والمهني، فالفرد كل متكامل، وما يجده الفرد في عمله يؤثر في علاقته مع زوجته، والعكس صحيح.

ويحدد غيث[٥]، مظاهر هذه الأزمة الزواجية بإختفاء الأهداف المشتركة بين الزوجين، والتناقض في مجال العلاقات الشخصية المتبادلة، وزيادة فرص المشاحنات، وتعارض اتجاهات الزوجين.

ويختلف تأثير الأزمات على العلاقة الزوجية والتفاعل بين الزوجين، فالأزمات الشديدة والمزمنة أشد خطراً على الزواج من الأزمات الأخرى، لأنها تدلّ على استمرار التأزم، وصعوبة التغلب عليه أو التأقلم معه، أما الخفيفة فهي شائعة بين الزوجين، ومفيدة في تنمية الزواج وتقوية العلاقات الزوجية، وإكساب الخبرات التي تجعل التفاعل إيجابياً [٦].

وفي هذا الصدد أشارت مرسي والصبوة[٧] إلى أن سوء الزواج يمكن تسميته بـ"الاختلال الزواجي"، وهو يختلف في درجته من البسيط الذي لا يمثل مشكلة للزوجين إلى المعقد الذي يتطلب التعامل معه بجدية، بل يصل لمرحلة طلب المساعدة من الآخرين، كما أنه ينشأ بين الزوجين مجموعة من الاضطرابات نتيجة العجز عن مواجهة المشكلات، وعدم الاتفاق على طرق الحل، مما يؤدي بالتالي لانخفاض التواصل بين الزوجين، وعدم الاندماج بينهما في نشاط مشترك، وعدم الرضا عن العلاقة الزوجية بشكل عام.

وأورد العديد من الباحثين: أريكسون ونيكولز وريتر[٨]، والعامر[٩]، و Nicole&Robert[١٠]، وموسى وآخرون[١١]، وأبو أسعد[١٢]، وكتابي [١٣]، Darya & Dawn

(١٤)، والشهري(١٥)، مجموعة من الأسباب المؤدية إلى الطلاق منها: مشكلات الاتصال والمتعلقة بعدم القدرة على التحدث عن المشكلات، أو سوء الفهم في العلاقة، وعدم القدرة على التعبير عن الأفكار بإيجابية، وتنوع المشكلات المالية، والضغوطات الجنسية، ووجود التوقعات غير الواقعية بسبب التصورات غير الناضجة في العلاقات، وهجرة الزوج إلى الخارج للعمل وترك الزوجة مدة طويلة، والزواج المبكر للزوجين، وعقم أحد الطرفين، وتدخل الآخرين في شؤون الأسرة، والزواج الإجباري، والاختلاف الشاسع في التعليم والتدين، والعناية بالوالدين المسنين، وغير ذلك من أسباب.

اختلفت نتائج الدراسات حول تأثير الطلاق على كل من الرجل والمرأة، والمعاناة التي يشعر بها الاثنان معاً، فالطلاق صدمة بالنسبة للرجل والمرأة، يؤثر سلباً على الصحة النفسية والجسدية للمطلقين(١٦)، حيث تتغير نظرة المجتمع إلى فئة المطلقين والمطلقات، وهذا يعني أن الطلاق يقلل من المكانة الاجتماعية للرجل والمرأة، فيفقدان كثيراً من أصدقائهما، ويعانيان من الوحدة، ويتحملان الكثير من اللوم، وقد يتعرضان للفشل في الحياة الزوجية إذا ما حاولا من جديد، وكذلك الشك والريبة في سلوكهما مما يجعلهما يعيشان على هامش الحياة الاجتماعية Karney & Bradbury(١٧).

إن آثار الطلاق لا تخص الزوجين فقط، بل تمتد لتشمل الأبناء والأقارب والزملاء في العمل والمجتمع، فالمرأة هي التي تحسّ بألم الطلاق في المقام الأول، خصوصاً إذا لم يكن لها معيل غير الزوج أو مصدر رزق آخر، كما أنها تصبح مطمعاً للآخرين من المستغلين لتلك الظروف. وأما الرجل فيتأثر هو الآخر سلباً نظراً لكثرة تبعات الطلاق من مؤخر صداق، ونفقة، وحضانة، وأمور مالية أخرى، إضافة إلى العبء النفسي لإحساسه بالفشل في مشروع الزواج الذي لم يستمر(١٨). وكذلك الأبناء يتأثرون بسبب البعد عن حنان الأم إن كانوا مع الأب، وفي الرعاية والإشراف من قبل الأب إن كانوا مع الأم، ولا شك أن الأبناء هم أكثر ضحايا الطلاق من حيث المعاناة(١٩).

وبصفة عامة؛ فإنّ إنهاء الزواج يكون وسيلة للكراهية والخصام بين أفراد المجتمع، خصوصاً من أقارب طرفي النزاع، لا سيّما

إذا وصل ذلك إلى ساحات المحاكم، وتشرد الأولاد، وانعدمت الرعاية من قبل الأبوين حينئذٍ تكثر جرائم الأحداث، ويتزعزع الأمن والاستقرار في المجتمع، وللطلاق آثار ونتائج بعضها ينعكس على الزوجين، والبعض الآخر على الأولاد والأقارب، بل على المجتمع بأسره.

ومن ناحية أخرى، فإن الطلاق آلية تسمح للأفراد بالتخلص من ضغوطات ومتطلبات الارتباط الزواجي، لذلك ينظر إليه كحلّ قانوني واجتماعي يغير من طبيعة الالتزامات والامتيازات المنوطة بالمتزوجين؛ على الرغم مما ينجم عنه من آثار اجتماعية وقانونية واقتصادية وشخصية[٢٠].

وتتنوّع أسباب الضغوط التي تؤدي إلى الطلاق وانحلال عقد الزوجية، ومنها: عمل المرأة خارج البيت، وذلك لكون المرأة العاملة تتمتع باستقلالية وسلطة أكثر من غيرها من النساء غير العاملات، وهذا وحده كفيل بأن يكون سبباً كافياً إلى الطلاق شريطة انعدام التفاهم بين الزوجين وتعدي كل واحد على حقوق وواجبات الآخر إذا أخذنا بالحسبان ما للتبعية الاقتصادية والالتزام من تأثير في الاستقرار الأسري[٢١].

ومما يؤكد ذلك أن عينة أخذت من (٧١) دولة تبين أن نسبة الطلاق تزداد في الدول التي تمارس فيها المرأة أعمالاً خارج البيت، وعلاوة على ذلك فإنّ عملها لا يكسبها أي سلطة أو هيبة داخل البيت، وعلى العكس من ذلك فقد تبين أنّ نسبة الطلاق تقل في الدول التي لا تمارس فيها المرأة أي عمل خارج البيت، وعلى الرغم من ذلك فهي تتمتع بهيبة وسلطة في تصريف أمور البيت إلى جانب الزوج[٢٢].

ويشيرAstone[٢٣] إن عمل المرأة لا يزعزع حياتها الزوجية من الناحية الاقتصادية، ولكن يزيد من فرص الاضطراب على صعيد تأديتها لواجباتها الأسرية، مما يؤثر في النهاية في الجوانب الاجتماعية والثقافية لحياتها الزوجية والأسرية لأن المتزوجات يتمتعن ويعشن برفاهية اقتصادية أكثر من المرأة المطلقة، وأفضل حالاً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية من غير المتزوجات والعوانس على السواء[٢٤].

مشكلة الدراسة:

يُعد ارتفاع معدلات الطلاق في المجتمع الأردني من المشكلات التي أخذت تظهر في الآونة الأخيرة، حيث أصبحت ظاهرة زواج القاصرات في المجتمع الأردني ظاهرة تسجل تزايداً مستمراً في ظلّ

صعوبة الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها بعض الأسر في المجتمع، ولا يخفى على الجميع ما يترتب على هذه الظاهرة من آثار سلبية تهدد استقرار المجتمع، فالارتفاع المستمر في نسبة معدلات الطلاق من شأنه أن يهدد ببنية وتماسك المجتمع، وذلك لأن الاثار المترتبة عنه لا تمس المرأة فحسب، بل الأسرة والمجتمع بصفة عامة، ولعل أهم تلك الآثار هو الانتشار الكبير لمختلف أنواع الجرائم وفي مقدمتها الجرائم الجنسية مثل: الزنا، والعلاقات الجنسية غير الشرعية وغيرها.

والتقرير الإحصائي السنوي لدائرة قاضي القضاة في الأردن لعام ٢٠١٢م على أن العدد الإجمالي لحالات الزواج المسجلة لدى المحاكم الشرعية في الأردن خلال عام ٢٠١٢ بلغ ٧٠٤٠٠ حالة زواج، ومن بينها ٨٨٥٩ حالة زواج لفتيات عمرهن أقل من ١٨ عاماً وبنسبة وصلت الى ١٢,٦٪، وهنالك زيادة في حالات الزواج المبكر بمقدار ٠,٦٪ خلال عام ٢٠١٣[٢٥].

ودفعت الأعداد المتزايدة لقضايا الطلاق عموماً المسجلة في المحاكم العديد من الباحثين للتفكير بما إذا كانت هذه الظاهرة بازدياد في المجتمع الأردني أم أنها لا زالت ضمن المعدل المعقول، الأرقام الرسمية لحالات الطلاق في الأردن تتضارب بين أكثر من جهة رسمية وغير رسمية، ففي الوقت الذي تصدر دراسة رسمية عن دائرة الإحصاءات العامة تخرج دراسة أخرى بأرقام مختلفة من جمعيات ومؤسسات غير حكومية كاتحاد المرأة وجمعية العفاف الخيرية، وأرقام دائرة الإحصاءات العامة تشير إلى ارتفاع هذه الظاهرة مع انخفاض معدلات الزواج، حيث تشير الأرقام إلى أن عقود الزواج عام ١٩٩٩ حوالي ١٦٠٤٩ ارتفعت عام ٢٠٠٠ إلى ١٩٠٢٥ لترتفع عام ٢٠٠١ إلى ٢٠٤٦٠، ثم انخفضت عام ٢٠٠٢ إلى ١٩٢٦٦ ثم تعود لتنخفض عام ٢٠٠٣ إلى ١٩٠٤١، وفي مقابل عقود الزواج هذه كانت حالات الطلاق على النحو التالي عام ١٩٩٩ بلغ إجمالي عقود الطلاق ٣٢٠٥ لترتفع في عام ٢٠٠٠ إلى ٣٤٣٧ حالة، ثم عام ٢٠٠١ إلى ٣٦٣٠، ثم إلى ٣٩٢٨ عام ٢٠٠٢، و٣٩٣٤ عام ٢٠٠٣، وسجل عام (٢٠٠٦) ما يقارب (١٢١٧٦) حالة طلاق، وأنه خلال العام الماضي ٢٠٠٧ ومن بين ٦٥ ألف حالة زواج تم تسجيل ٣١٠٥ حالات طلاق معظمها وقع

في المدن الكبرى وتحديداً العاصمة عمان. وفي عام (٢٠٠٩) بلغ عدد حالات الطلاق (١٢٨١٥) حالة، وإن عدد حالات الزواج التي سجلت خلال العام ٢٠١١ بلغت (٦١٧٧٠) حالة، بينما بلغ عدد حالات الطلاق لنفس العام (١٥٧٠٧) حالة ٤٤٦٧ منها للفئة العمرية ما بين (٢١ ـ ٢٥) في حين بلغ عدد حالات الطلاق قبل الدخول (٦٤٦٢) حالة، "لافتة إلى أن "نسبة الزواج والطلاق كانت أكثر بين المتعلمين منها من غير المتعلمين"[٢٦].

وتتوزع حالات الطلاق الخاص بالزوجة حسب الفئة العمرية، فإن الفئة العمرية (٢١-٢٥ عاماً) شكلت النسبة الأكبر وبنسبة وصلت إلى ٣٤,٥٪ من مجمل حالات الطلاق، تلتها الفئة العمرية (٣٠-٤٠ عاماً) وبنسبة ٢٢,٣٪، ومن ثم الفئة العمرية (٢٦-٢٩ عاماً) وبنسبة ١٨,٢٪، وبعدها الفئة العمرية (١٨-٢٠ عاماً) بنسبة ١٤,٦٪، في حين شكلت الفئة العمرية (١٨ عاماً فأقل) ما نسبته ٦,٩٪، وأخيراً الفئة العمرية (٤٠ عاماً فما فوق) بنسبة ٣,٥٪.

فرضيات الدراسة وأسئلتها:

تحاول الدراسة الإجابة عن فرضياتها من خلال الدلالات الإحصائية حسب متطلبات الدراسة ومتابعة المتغيرات، بحيث تقاس هذه الفرضيات بنتائج الدلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠١):

١- تفترض الدارسة أن ازدياد الجهل بواجبات الحياة الزوجية يزيد في وقوع الطلاق.
٢- تفترض الدراسة أن تدخل الأهل والأقارب عموماً في شؤون الحياة الزوجية يزيد في وقوع حالة الطلاق.
٣- تفترض الدراسة أن وجود الشكّ أو الغيرة بين الزوجين يزيد في وقوع حالة الطلاق.

وأسئلة الدراسة التي تتعلق بهذه الفرضيات، هي:

١- هل يمكن اعتماد هذه المتغيرات كأسباب صحيحة لوقوع حالات الطلاق.
٢- هل هناك مبالغة في مدى اعتبار هذه المتغيرات أسباباً لوقوع حالات الطلاق.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أهم الأسباب التي تؤدي إلى وقوع حالة الطلاق من وجهة نظر المطلقين، مما يساعد

أصحاب القرار في وضع خطط لازمة لعلاج هذه الظاهرة والحد من زيادتها، كما تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- تكوين إطار نظري للتعرف على مفاهيم كلّ من ظاهرة الطلاق في الأردن والخلافات الزوجية، وسبل حلّها وما يرتبط بها من مفاهيم.

٢- معرفة مدى إمكانية التوصل إلى نتائج والقيام بتحليلها ومناقشتها لتقديم توصيات ومقترحات تهدف إلى الوقوف على ظاهرة الطلاق في مجتمع عينة الدراسة والخلافات الزوجية فيها، وسبل حلها.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من النقاط الآتية:

١- الشعور بعمق خطر مشكلة الطلاق التي تحيق بالمجتمع في ظل الإحصائيات التي تظهر تزايداً للظاهرة وتفشياً لها في المجتمع.

٢- الحاجة إلى تحديد الأسباب المؤدية لوقوع حالة الطلاق للعمل على تفاديها وحلها.

٣- تلبية الحاجة إلى دراسات خاصّة بالمشكلات الأسرية، حيث إنّ الدراسات المختصّة بذلك في الأردن قليلة نسبياً.

٤- الكشف عن حقيقة تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على وقوع حالات الطلاق، كالمعاناة الاقتصادية، والخلافات الزوجية، والضغوط النفسية، والجهل بالحقوق والواجبات الزوجية، وتدخل أهل الزوج.

٥- محاولة معرفة الأثر الإيجابي للعوامل المخففة من حدة أسباب حالة الطلاق، كالمساندة الاجتماعية، وتوعية أفراد الأسرة بالحقوق الواجبات المنوطة بكلّ، والتوافق الأسري بين الزوجين في القرارات الزوجية.

المفاهيم الإجرائية:

١- **الزواج:** علاقة جنسية دائمة نسبياً بين فردين أو أكثر (في حالة تعدّد الزوجات)، على أن تكون هذه الوحدة مقبولة من الناحية الاجتماعية، كما يمثل النمط الاجتماعي الذي على أساسه يتم الاتفاق بين شخصين أو أكثر على تكوين أسرة.

٢- **الطلاق:** ظاهرة اجتماعية يتم اللجوء إليها للتخلص من الخلافات

والصراعات والتوترات التي تحدث في أثناء الحياة الزوجية، بشكل شرعي ورسمي.

الاتجاهات النظرية في تفسير ظاهرة الطلاق:

تناولت نظريات عديدة الأسرة بشكل عام والحياة الزوجية بشكل خاص بالبحث والدراسة، ومن أهم هذه النظريات:

- نظرية التنافر المعرفي:

ترى هذه النظرية أن الإنسان ينفر من التناقض في أفكاره ومعتقداته، ويميل إلى أداء سلوك مملّ يوافق فيه بين الواقع والأفكار، فالزواج يسيطر عليه عدم الرضا إذا لم تكن توقعات الزوجين واقعية، وتعدّ العملية العقلية التي يقوم بها كل من الزوجين مهمة لتحقيق التقارب بين هذه التوقعات والواقع، وترى هذه النظرية أن التنازل عن بعض التوقعات المتوفرة هي جهود إيجابية لجعل الزواج موفقاً[٢٧].

- النظرية التفاعلية الرمزية:

تدعو هذه النظرية إلى دراسة العلاقة بين البشر ومنهم الزوجان كشخصيات متفاعلة، حيث نجد أن الزوجين يندمجان في الحياة بشكل عام في تفاعل غير رمزي، حيث يستجيبون لحركات بعضهم البعض وتعبيراتهم وأصواتهم، ولكن يوجد نوع من التفاعلات يحدث على المستوى الرمزي، حيث توجد إشارات قد يكون لها معان مختلفة بينهما، وهذا ما يسبب سوء التوافق[٢٨].

إن تكامل نوعية الزواج تنعكس في درجة التطابق بين ما تتوقعه الزوجة من زوجها، وبين ما يدركه هو فيمن تزوجها، بمعنى أن التناقض في الأدوار قد يؤثر على الرضا بين الزوجين، فكل فرد له مركز، وكل مركز له أدوار معينة، فالزواج له توقعات مناسبة وهذه التوقعات تنمو بالتفاعل، فهذه النظرية تركز على التغلغل داخل الأسرة وتحليل وظائفها أثناء التفاعل، وهذا يشمل الزوجين معاً[٢٩].

ظهر هذا الاتجاه وتبلورت مسلماته في الفترة ما بين ١٨٩٠م و١٩١٠م، في كتابات شالرزكولي C.Cooly، وجون ديوي J.Dewy، وجرييل تارد G.Tard، ووليام توماس W.Thomas، وجورج هبريت ميد G.Mead بأمريكا، وكتابات جورج سيمل G.Simmet، وماكس فيبر M.Weber، في ألمانيا، وقد تطور هذا الاتجاه عن ميداني علم الاجتماع وعلم النفس، وزاد استخدامه في مجال الأسرة كما تبين من أعمال هيل والدوز وستراوث.

وقد وجد هذا الاتجاه طريقة إلى علم الاجتماع العائلي من خلال أعمال بيرجس الذي قدم في عام ١٩٢٦م برنامجاً عن الأسرة أوضح فيه أن الأسرة عبارة عن وحدة من الشخصيات المتفاعلة، وقدم بيرجس أنماطاً من الأسرة بعد تصنيفها في ضوء العلاقات الشخصية التي تربط الزوج مع زوجته، والزوجين مع الأبناء (Van Schalkwyk).

وتركز النظرية التفاعلية الرمزية على دراسة الأسرة من خلال عمليات التفاعل التي تتكون من أداء الدور، وعلاقات المكانة ومشكلات الاتصال ومتخذي القرارات وعمليات التنشئة وتقليد الدور والجماعة المرجعية، بالإضافة إلى العلاقات الثنائية والعلاقات الثلاثية وبناء القوة في الأسرة.

ولأن هذه النظرية تركز على العمليات الداخلية للأسرة فوحدة الدراسة Unit of analysis فيه العلاقات الدينامية بين الزوج والزوجة والأبناء وفقا لمصطلحات الحاجة Needs، وأنماط السلوك Behavior Patterns، وعمليات التكيف Adjustment proesses، لذلك فإن وحدة الدراسة هي العلاقات الثنائية Dyadic (أي التفاعل بين شخصين)، أو العلاقات الثلاثية (Triadic) (أي التفاعل بين ثلاثة أشخاص).

وبما أن هذه النظرية تدرس الأسرة باعتبارها وحدة من الشخصيات المتفاعلة لذلك فهي ترتكز عند الفرضيات التي تستند إليها النظريات التفاعلية في دراسة ظاهرة الطلاق.

١- إن تغير معنى الزواج إلى مجرد إشباع الحاجات العاطفية جعل عقد الزواج غير ثابت وهو عامل يفسر ارتفاع معدلات الطلاق في أمريكا والدول الغربية، ونتيجة لذلك تحول شكل العقد من عقد "ديني" إلى "مدني" والى عقد شخصي Personal contract بين شخصين[٣٠].

٢- من المتوقع تغير أدوار الأسرة، وزيادة الصدام فيما بينهم نتيجة للتفسيرات المتغيرة للأدوار الحقيقية لكل من الزوج والزوجة والأبناء، فكل منهم يحاول أن يفرض تعريفاته الخاصة، سواء أكان رجلا أم امرأة.

٣- إن الرجال الذين يضربون زوجاتهم أو أبناءهم أو يتحرشون جنسياً ببناتهم أو بنات زوجاتهم، أمثلة واضحة لجماعة

مسيطرة تحاول الإبقاء على التعريف التقليدي لدور الرجل Man's Role، أما أدوار المرأة فما زالت محلّ جدل على أساس من الذي لديه الوقت أو الأفضلية، وليس وفقاً لبعض التنظيمات المحددة لتقسيم العمل، لذلك فالنساء ما زلن يقمن بأغلب الأعباء المنزلية، وهن في سوق العمل يحصلن على ٦٨٪ من دخل الرجل.

٤- وفيما يتعلق بإيذاء الطفل، يجب التركيز على المعاني المتغيرة لمفهوم الطفولة Childhood، فقد كان ينظر إليهم على أنهم أشياء صغيرة Miniatures، أما الآن فالأطفال لهم قيمة اقتصادية ويحققون إشباعاً عاطفياً لآبائهم، وعلى الآباء توفير أعلى مستويات الرعاية الاقتصادية والنفسية والاجتماعية لهم، مما ألقى عبئاً كبيراً وضغوطاً على الآباء لكي يوفروا لأبنائهم مستويات الإنجاز الجديدة New performance levels[٣١].

ويلاحظ التفاعليون أن عملية تعلم العنف ترتبط بشدة بمرحلة التنشئة الاجتماعية لدور الرجل Male sex role socialization، والذي يتضمن تعليم الصبية الخشونة Tough والصلابة، وأن يعتمدوا على أنفسهم، وعندما يشب الصبية ويصبحون رجالاً يواجه معظمهم بمواقف تتطلب إما استجابة عنيفة، وإما شعوراً لا يمكن الفرار منه، وهو الفشل في إثبات رجولتهم.

كما يرى التفاعليون أن تخفيف حدة العنف يكون أيضاً عن طريق التعلم كأن يتعلم الناس ألا يكونوا عنفاء في تصرفاتهم، لكن إحداث هذا التغيير لا يتم فجأة أو مباشرة، لكن هنالك برنامج للعلاج، ولتعديل السلوك لمن يرغب من الأفراد، وإن كانت هذه البرامج ليس لها تأثير كافٍ على جميع مظاهر العنف، أيضاً يرى أصحاب هذه النظرية أنه لحل هذه المشكلة لا بد من إحداث تغييرات ثقافية واسعة المدى large scale cultural change.

وتنحو هذا المنحى تفسيرات سوسيولوجية ترى أن العنف أحد إفرازات البناء الاجتماعي، حيث يحدث العنف عندما يفشل المجتمع في تقديم ضوابط قوية على سلوك الأفراد، كما أنه نتاج للإحباطات التي تحدث اللامساواة البنائية Structural inequalities بين الفقراء والأغنياء، إن الأفراد يتعلمون العنف في المنزل بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نوع من أنواع السلوك.

يـرى أتبـاع هـذا الاتجـاه أن الأفـراد يتعلمون العنف من خلال إدراكهم الأدوار المرتبطة بالجنس والتوقعات المرتبطـة بـذلك اجتماعياً، فالذكور في الكثير مـن الثقافـات يتصفون بالقوة وبالسيطرة والاعتمـاد علـى الـنفس، في حـين توصـف الإنـاث بـأنهن ضعيفات ومطيعات وتابعات، وعليه فكـل من الجنسين يستجيب بشكل عفوي مع مـا تم رسمه سلفاً، ويكون سـلوكه حسـب مـا يعتقد بـأنّ هـذا السـلوك مقبـول وصـحيح طبقاً لما يتوقعه الآخرون منه[٣٢].

- نظرية التبادل الاجتماعي:

تعـد هـذه النظريـة مـن أحـدث النظريـات، وتعـد المكافـآت الـتي يحققهـا الأفراد في سلوكهم المتبـادل حجـر الزاويـة لهذه النظرية، وركزت هذه النظرية على مـا يمكن تسميته الربح النفسي إن هذه النظريـة تؤيد مـا قدمـه علمـاء الـتعلم السـلوكيون، حيـث أن إثابـة السـلوك تدعمـه وتقويـه الإثابة، ويضيف بأن الـربح النفسـي عبـارة عن شعور الفرد بالارتياح النفسي في عمـل يرضي الناس، وهـي هنـا أقـرب إلى الـربح النفسي الروحي، حيث يبتغي الفرد مرضاة الله سبحانه وتعالى وأخـذ الثـواب مـن الله تعالى، ولهذا فإن الزوج يقابل مـودة زوجتـه بالمودة، ويقابل العداوة بالمودة، ويفسر ذلك حيث أن الفرد يرى أن الثواب الذي يحصل عليه من المـولى تعـالى يفـوق أي عقـاب أو خسارة[٣٣].

كما تعمل هذه النظريـة علـى التـأثير المتبـادل الـذي يعيشـه الفـرد بـين المكافـأة والتكلفة، وذلـك أن المكسـب النـاتج عـن العاطفـة يـؤثر علـى شـكل التفاعـل بـين الـزوجين، فـإذا كـان المكسـب مـن تفاعـل الـزوجين علـى شـكل مكافـأة، فالعاطفـة الناتجـة عنـه تكـون إيجابيـة، أمـا إذا كـان المكسب من التفاعل على شكل تكلفة فـإن العاطفة تكون سلبية، وهذا يعني أن التفاعل بالود والرحمة يكون داعياً للمحبة والتعـاون لما يعود على الزوج من الشعور بالطمأنينـة والراحة النفسية[٣٤].

- النظرية السلوكية الاجتماعية:

تدرس هذه النظرية الأسرة باعتبارها موقفا اجتماعيا يؤثر في السـلوك الإنسـاني، ولا بد من تحليل وظائف الأسرة، والمواقف التي يتفاعـل فيهـا الأفراد،كمـا تركـز هـذه النظرية علـى الجانـب السـلوكي، ومبـادئ التعلم، ويفسر السلوكيين التفاعل الزواجي كمتطلب مهم لحدوث الـزواج مـن خـلال الثواب والعقاب، حيث أن إثابة الفرد على

سلوك ما غالباً ما يدعمه ويقويه للظهور مرة أخرى، فعندما يتفاعل الزوجان ويعزز أحدهما الآخر فإنه يحفزه، وذلك يزيد من التقارب والزواج بينهما، ويختلف ذلك في حالة إساءة أحدهما للآخر، فإنه يشعره بعدم الارتياح ويسوء التوافق بينهما، ولذلك فإن الزواج يحدث إذا تفاعل الزوجان، وأشبع كل منهما الآخر مما يعود عليهما بالنفع[٣٥].

الاتجاه السلوكي (نظرية التعلم الاجتماعي):

يعد (ألبرت بندورا) و(ريتشارد دولتز) من أشهر رواد هذا الاتجاه، وتفترض هذه النظرية بأن الأفراد الذين يكتسبون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى, وأن عملية التعلم هذه تتم داخل الأسرة بحكم المؤثرات الخارجية، سواء كانت موجودة في البيئة الثقافية الفرعية أو في البيئة الثقافية الأوسع، فعلى سبيل المثال بعض الآباء يشجعون أبناءهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف من جهة, ويطلبون منهم بأن لا يكونوا ضحايا للعنف في مواقف مغايرة من جهة أخرى. ويرى (باندورا) أن طبيعة الرد على العدوان تتوقف على التدريب الاجتماعي الأول أو بصورة أكثر تحديداً تتوقف على تعزيز الإجراءات التي خبرها الشخص من قبل ومحاولة نمذجتها في تلك الصيغة العدوانية، وهكذا يمكن للمرء طبقاً لنظرية التعلم الاجتماعي أن يصنع بسهولة طفلا شديد العدوانية، وذلك بمجرد أن يتعرف على نماذج عدوانية ناجحة بنتائجها وتكافئ الفرد المعتدي باستمرار على سلوكه العدواني[٣٦].

كما تفيد كتابات أخرى أن بعض الثقافات الفرعية لديها اتجاهات إيجابية نحو العنف، وهي تشجع العنف في ظروف عديدة. هذه الثقافات تطالب الذكر أن يكون عنيفاً وعدوانياً. ويطلق مصطلح Machismo على الشخص الذي يستجيب بعنف وعدوانية نحو أية نظرة أو هفوة بسيطة يعتبرها إهانة له، فيعتدي على الآخرين، وقد يضرب الأزواج زوجاتهم ويقتلونهن لأقل هفوة تحدث في وقت غير مناسب، إن شعور الزوج بالمهانة بسبب ضحكة زوجته قد تجعله يقتلها أو يضربها. إن هذه الثقافات الفرعية التي تشجع العنف تكون أكثر شيوعاً بين الفئات الاجتماعية

الدنيا، وهي سبب رئيسي لارتفاع معدلات الجريمة لدى هذه الجماعات(٣٧).

ورغم أن نظرية التعلم الاجتماعي توضح الكيفية التي نشأ بها أفراد الأسرة لكي يكونوا عنفاء، لكن القليل الذي يقال عنه كيفية تعلم الأفراد أن يمتنعوا عن ارتكاب العنف بأن يكبحوا جماح غضبهم، كما أن نظرية التعلم تقلل من شأن الأدوار التي تلعبها العمليات الانفعالية والتي تعتبر متغيرات وسطية بين المتغيرات المستقلة وبين فعل العنف (المتغير التابع). ولا ننكر من جانب آخر أن بعض الاعتداء يكون الهدف منه إيقاع الألم والإيذاء النفسي على الآخر، لذلك يجب الاستفسار عن أثر العنف على اضطرابات التكيف النفسي للأطفال وللزوجات بدلاً من اعتبارهم ضحايا(٣٨).

نظرية الثقافة الفرعية:

تنطلق هذه النظرية من مسلمات ترتكز إلى أن المجتمع الواحد لا تسوده ثقافة واحدة، وكذلك أنه ليس من الضروري أن توجد كل السمات التي تؤلف الثقافة الواحدة في كل قطاع من قطاعات المجتمع، فكثيراً ما تقتصر بعض السمات الثقافية على قطاع واحد من قطاعات المجتمع دون بقية القطاعات.

وقد أوضح تاونسند (Tawncend) أن الثقافة الفرعية بحكم تعريفها إنما تتكون من أنساق متميزة للقيم والمعتقدات، كما تتكون من مجموعة خاصة من النظم تختلف في مجموعها عن مثيراتها السائدة في المجتمع. ويتم انتقال هذه القيم والمعتقدات من جيل إلى جيل آخر خلال عمليات التنشئة والضبط الاجتماعي. فبعض الجماعات والقبائل تورث أبناءها العنف وتراه سلوكاً مشروعاً ومقبولاً، بل محبذاً، ومنها العنف ضد المرأة(٣٩)، فالأفراد يتشربون القيم والاتجاهات الأساسية من ثقافتهم الفرعية.

وتكمن علاقة هذه النظرية بهذه الدراسة أن ظاهرة الطلاق تختلف باختلاف الثقافة الفرعية السائدة من مجتمع لآخر، وتكون ظاهرة الطلاق أكثر قبولاً في المجتمعات ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتدني.

إن العنف مثلاً يكون أسلوباً لحل الخلافات والصراعات في المجتمعات المتدنية في المستوى الثقافي أكثر من المجتمعات ذات

المستوى العالي، وبناء على هذه النظرية فإن ظاهرة الطلاق تحدث في الطبقات الاجتماعية المتدنية أكثر من الطبقات الاجتماعية الوسطى[٤٠].

استنتج عيّاش[٤١] أن المجتمع الواحد يتمتع بعدد من الثقافات حسب البيئة الاجتماعية لمجموعة من الأفراد، وبالتالي فإن مجموعة ما تتبنى ثقافة عنيفة أو إقصائية سوف ذات موقف حدّي مضاد للآخر، مما يجعل من الطلاق وأسبابه طريقة مفضلة للاستجابة للمشكلات الأسرية.

نظرية الإحباط والعدوان أو العجز المتعلم:
(Learned Helplessness)

ترى هذه النظرية بشكل عام أنه إذا كانت قوة الإحباط ثابتة، فإنه بقدر ما يكون توقع العقاب على عمل عدواني بعينه أكبر، فإن الميل للقيام بذلك العمل يتناقص، أما إذا افترضنا أن توقع العقاب ثابت، فإنه بقدر ما تشتد قوة الإحباط تشتد إمكانية حدوث العدوان[٤٢].

ويشير البداينة وأبو حجلة[٤٣]، إلى أنه بناء على هذه النظرية، فإن المرأة عندما تدرك بأنها مهما فعلت فلن تستطيع النجاة من العقاب، فإنها غالباً لن تحاول تحسين شيء في العلاقة، وهذا ما يفسر في كثير من الحالات بقاءها في العلاقة الزوجية رغم تعنيفها.

وتساعد هذه النظرية على فهم التبدلات السيكولوجية التي تحدث للمرأة، والتي تجعلها في علاقة اضطهادية مع زوجها، ويمكن تجنب العجز المتعلم بما يسمى بالتصليب النفسي للمرأة باستخدام المداخلات التدريبية التي ترمي إلى تنمية مهارات توكيد الذات، والكفاءة الشخصية، وتقوية احترام الذات، ومن شأن هذه المداخلات السلوكية المعرفية التدريبية إضعاف تعرض المرأة المعالجة للمشكلات النفسية الصحية الموقفية.

وقد توصلت ولكر (Walker) إلى أن ما يصيب المرأة المعنفة من اضطرابات اكتئابية تؤدي إلى فقدانها القدرة الإدراكية على الهروب؛ فتستسلم في نهاية المطاف إلى السلوك العنيف[٤٤].

نظرية الذات لروجرز:

ترى هذه النظرية أنّ التوافق يتوافر عندما يكون الفرد متّسقاً مع مفهوم ذاته من خلال الخبرات التي يمرّ بها الفرد، حيث يضع مفهوم الذات في وضع يسمح لخبرات الفرد بأنْ تتكامل مع مفهوم الذات، كما أنّ هناك علاقة موجبة بين مفهوم الذات وبين التوافق النفسي الجيد وتحقيق الصحة

النفسية، بل إن تقدير الذات له تأثير مهم على علاقات الشخص مع الآخر وعلى تقبله له، وتوافقه مع نفسه ومع الآخر، وذلك ينطبق على الزوجين فتقدير الذات لديهما يزيد توطيد علاقة الزواج بينهما[٤٥].

وتقوم فكرة هذه النظرية على أن الأشخاص المتماثلين في العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية، كالدين واللون والسن والجنس والمستوى التعليمي والاقتصادي والميول والاتجاهات، يستند عليها الاختيار الناجح لشريك الحياة وتشكيل الأسرة، حيث إن الشبيه يتزوج بشبيهته، والتجانس هو الذي يفسر أحياناً اختيار الناس بعضهم لبعض كشركاء في الزواج، فمن الرجال من لا يقبلون الزواج ممن يكبرنهم في العمر أو يماثلنهم في العمر إلا نادراً، أما بالنسبة للمرأة فإنها تتزوج ممن يكبرها في العمر أو ممن يماثلها سناً، وهذا يقلّل من فرصها في الزواج.

وبالنسبة للتعليم؛ فإنّ النساء يملن إلى الزواج برجال أعلى منهنّ في المستوى التعليمي، والعكس صحيح؛ حيث إن الرجال يميلون إلى الزواج من نساء أقلّ منهم من حيث المستوى التعليمي، أما بالنسبة للتجانس أو التقارب في المستوى والمكانة الاجتماعية، وهذه تتضمن العلاقات العائلية والأصدقاء والمستوى الثقافي والناحية الدينية والمستوى الاقتصادي، إذ إنها ذات أهمية في اختيار شريك الحياة، فكلما زاد المستوى الاجتماعي والمكانة ازدادت القدرة على التكيف في الزواج، ومن ثم نجاح الحياة الزوجية[٤٦].

الدراسات السابقة

أجرت النابلسي[٤٧] دراسة هدفت إلى التعرف على أسباب الطلاق في الأردن، وتكونت عينة الدراسة من ١٣٢ زوجاً وزوجة من المطلقين والذين يراجعون اتحاد المرأة الأردني فرع جبل الحسين، وكشفت الدراسة عن أن أسباب الطلاق الأخرى، بالنسبة للزوجة المطلقة، كانت على التوالي: الضرب المبرح للزوجة والإهانة المستمرة (٧٦٪)، وعدم احترامها وإعطائها الحب الكافي (٧٥٪)، وبخل الزوج (٥٥ ٪)، وضعف شخصية الزوج (٤٨٪). فيما كانت الأسباب من وجهة نظر الزوج، هي على التوالي: السكن المشترك مع أهل الزوج (٣٥ ٪)، وعدم الاهتمام الزوجة بمنزلها (٢٨ ٪)، وعدم احترام الزوج (٢٨٪)، وجهل الزوجة في إدارة شؤون البيت(٢٣٪)، وتوصلت الدراسة إلى أنّ

تدخل أهل الزوج وخصوصاً أم الزوج يُعد السبب الأول للطلاق بالنسبة للزوجة وبنسبة(٨٢٪)، فيما كان السبب من وجهة نظر الزوج هو "تدخل أم الزوجة الدائم بحياتهم الخاصة وبنسبة (٨٨٪).

وأجرى عبدالرزاق[٤٨] دراسة هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين إدراك المعاناة الاقتصادية كأحد أنواع الضغوط النفسية، والخلافات الزوجية، وكذلك الكشف عن دور المساندة الاجتماعية كمتغير نفس اجتماعي يحتمل أن يخفف من وقع المعاناة الاقتصادية على الخلافات الزوجية، وتكونت عينة الدراسة من (١٨٠) من المتزوجين (١٠٠) ذكور، (٨٠) إناث ممن تراوحت أعمارهم ما بين (٢٨-٥١) عاما واستخدم الباحث استبيان المعاناة الاقتصادية، وآخر للخلافات الزوجية، ومقياس المساندة، وأظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الأزواج والزوجات في كل من إدراك المعاناة الاقتصادية والمساندة الاجتماعية، بينما توجد فروق دالة بين الأزواج والزوجات في إدراك الخلافات الزوجية، حيث أن الزوجات أكثر إدراكاً للخلافات الزوجية من الأزواج، كما أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة طردية موجبة بين المعاناة الاقتصادية والخلافات الزوجية لدى كل من الأزواج والزوجات.

وفي دراسة لعلي[٤٩] هدفت إلى التعرف على المساندة الاجتماعية واتخاذ قرار الزواج، واختيار القرين وعلاقتهما بالتوافق الزواجي" بين مجموعتين الأولى (٥٠) عاملاً متزوجاً يتسمون بمشاركة أسرهم لهم في اتخاذ قرار الزواج، واختيار القرين قبل الزواج، ومدعمون بمساندة اجتماعية وعاطفية، والثانية (٥٠) عاملاً متزوجاً، ولكنهم غير مدعمين بمساندة اجتماعية عاطفية، لم يشارك أحد من الأسرة في اتخاذ قرار الأزواج واختيار القرين قبل الزواج، وجميعهم بمتوسط عمر (٣٠) عاماً من مصر، واستخدام استبيان المساندة الاجتماعية لساراسون وآخرون وتعريب الشناوي وأبوبية، ومقياس اتخاذ القرار لسيف الدين عبدون، واستبيان فحص العلاقة الزواجية واستبيان التوافق الزواجي، والاثنان من إعداد ماكوين وباربرا بلوم، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق بين المجموعتين في القدرة على اتخاذ القرار باتجاه المدعومين بالمساندة، كما تبين وجود فروق دالة بين المجموعتين في بعد العلاقة الزوجية الإيجابية في اتجاه المدعومين بالمساندة، كذلك وجدت

الدراسة فروق دالة بين المجموعتين في التوافق الزواجي تجاه المدعومين بالمساندة.

وفي دراسة لوانغ وغران[٥٠] هدفت إلى التعرف على العلاقة بين التكيف الزواجي والاستقرار الزواجي عند الأسرة النووية المكونة من أب وأم وأبنائهم، وأثر ذلك في اكتئاب الأبناء، وقد تكونت عينة الدراسة من (٧٤) عائلة لديهم طفل في سن المدرسة، وقد تم تطبيق اختبار التكيف الزواجي، قائمة الوضع الزواجي، استبانة النظام العائلي، وقائمة الاكتئاب عند الأطفال، وبينت نتائج الدراسة أن الآباء الذين لديهم عدم تكيف أو استقرار زواجي كانوا أكثر احتمالية لأن يكونوا مكتئبين، كما أظهرت النتائج أن الأمهات لم يكن لهن تأثير مهم على اكتئاب الأبناء، كما أظهرت نتائج الدراسة أن الآباء عندما يشعروا بعدم تكيف زواجي فإن أبنائهم يكونوا أكثر احتمالية لأن يكون لديهم أعراض اكتئابية.

وقامت الكركي[٥١] بدراسة هدفت إلى التعرف على العلاقة بين الصراعات الزوجية والعنف ضد الأطفال، وكذلك بيان أشكال الإساءة التي تعرض لها الطفل في محافظة الكرك، حيث تكونت عينة الدراسة من جميع ربات الأسر التي تكون منها مجتمع الدراسة، وقد تم التوصل إلى (٤٦) أسرة أظهرت النتائج أن أكثرية العينة تعرضوا للعنف في الصغر وشاهدوه في أسرهم، وأن أكثر العينة تعنيفاً للأطفال الأب، وأن العنف الأسري الجسدي أكثر انتشاراً، وأن الذكور أكثر عرضة للعنف من الإناث، سواءً كان الجسدي أو النفسي أو الإهمال، وأن الإناث أكثر عرضة للعنف العاطفي والصحي والاقتصادي، كما تبين وجود علاقة بين مشاهدة العنف في الأسر والتعرض للعنف ضد الأطفال، وكذلك من وجود علاقة بين أساليب حل الصراعات الزوجية والعنف ضد الأطفال.

وفي دراسة قام بها المطوع[٥٢] بعنوان "أساليب الزوجين في اتخاذ القرارات الأسرية في ضوء التوافق (بين الزوجين)"، وتناولت بالدراسة والتحليل عينة تكونت من ١٣٠ فرداً، ٦٥من الأزواج، و٦٥ من الزوجات، بعضهم يشغل مناصب قيادية، وبعضهم الآخر يشغل وظائف عادية، وأوضح البحث ضرورة مراجعة القرار، فعلى الرغم من أنه لابد أن يتبع الطرفان منهجا علميا قبل أن يصدرا القرار، إلا أن هناك عوامل تتعلق بمتخذ القرار نفسه مثل

مهاراته وعاداته وانفعالاته غير الشعورية، وقيمه وأهدافه، وما لديه من معلومات ومعارف وثقافات، لا سيما وأن حصيلة كل ذلك له تأثير على أسلوب الفرد في اتخاذ القرار.

وأجرت العمايره[٥٣] دراسة بعنوان "أثر بعض المتغيرات الشخصية والاجتماعية والاقتصادية في صنع القرار الأسري (مدينة السلط كحالة دراسية) هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر بعض المتغيرات الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والمتمثلة الخلفية التعليمية، الدخل الشهري، والعمر، وحجم أفراد الأسرة في صنع القرار الإداري، تكونت عينة الدراسة من(٦٩) أسرة وطور الباحثة استبيان شمل كافة أبعاد الدراسة، وخلصت الدراسة أن هنالك أثر للمتغيرات الشخصية في عملية صنع القرار في الأسرة الأردنية، وأن هنالك أثر للخلفية التعليمية للزوجين في عملية صنع القرار الأسري، وأن هنالك أثر لعمر الزوجين في عملية صنع القرار الأسري، وأن هنالك أثر للدخل الشهري الزوجين في عملية صنع القرار الأسري.

منهجية الدراسة:

لقد تبنّت الدراسة منهجية البحث الوصفي، والميداني التحليلي.

أما على صعيد البحث الوصفي، تمّ إجراء المسح المكتبي والاطلاع على الدراسات والبحوث النظرية والميدانية، لأجل بلورة الأسس والمنطلقات التي يقوم عليها الإطار النظري، والوقوف عند أهم الدراسات السابقة، التي تشكّل رافداً حيوياً في الدراسة وما تتضمنه من محاور معرفية.

وأما على صعيد البحث الميداني التحليلي، فقد تمّ إجراء المسح الاستطلاعي الشامل، وتحليل كافة البيانات المتجمعة من خلال الإجابة عن الاستبانات، واستخدام الطرق الإحصائية المناسبة، وكان اعتماد الدراسة على الاستبانة التي تم تطويرها من قبل الباحث.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع المطلقين والمطلقات في محافظة الكرك والبالغ عددهم (٣٤٠) مبحوثاً. ولقد تم اختيار عينة قصدية بنسبة (١٥٪) من المطلقين والمطلقات في محافظة الكرك، وذلك لصعوبة الحصول على قوائم بأسماء المطلقين، وبذلك سيكون (٥٥)، وتم

استبعاد (٧) استبانات لعدم صلاحيتها للتحليل الإحصائي، ليصبح عدد الاستبانات الصالحة للتحليل (٤٨) استبانة لتشكل ما نسبته (١٤,١٪) من مجتمع الدراسة الكلي، وما نسبته (٨٧,٣٪) من عينة الدراسة المختارة، وهي نسبة مقبولة لأغراض البحث العلمي.

أداة الدراسة:

تتمثل أداة الدراسة من خلال الوقوف والإطلاع على الجانب النظري لأهم الأسباب التي تؤدي إلى وقوع حالة الطلاق في محافظة الكرك. ولقد تم عرض الاستبانة على عدد من المحكمين من جامعة مؤتة، للتحقق من مدى صدق فقرات الاستبانة، ولقد تم الأخذ بملاحظاتهم، وإعادة صياغة بعض الفقرات، وإجراء التعديلات المطلوبة من تعديل وحذف وإضافة، بشكل دقيق يحقق التوازن بين مضامين الاستبانة في فقراتها. وجرى استخراج معامل الثبات، طبقاً لكرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) للاتساق الداخلي بصيغته النهائية الكلية، وقد بلغ (٠,٨٥٦)، وهي نسبة ثبات عالية لأغراض التحليل الإحصائي والبحث العلمي.

المعالجة الإحصائية:

لغرض الإجابة على أسئلة الدراسة ولاختبار فرضياتها، فقد اعتمدت الدراسة على الرزمة الإحصائية (SPSS) في التحليل، من خلال استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

١- مقاييس الإحصاء الوصفي:
(Descriptiv Statistic Measures)

وذلك لوصف خصائص عينة الدراسة، اعتماداً على النسب المئوية، والإجابة عن أسئلة الدراسة وترتيب أبعادها حسب أهميتها النسبية بالاعتماد على متوسطاتها الحسابية.

٢- (Analysis Simple Regression):

لاختبار صلاحية النموذج، واختبار أثر المتغيرات المستقلة -كل على حدة- على أبعاد المتغير التابع، كلٌ على حدة أيضاً.

عرض النتائج:

والجدول رقم واحد يبين نتائج تحليل الانحدار البسيط لاختبار المتغيرات المفترضة المؤدية إلى وقوع حالة الطلاق.

جدول رقم (١): نتائج تحليل الانحدار البسيط لاختبار المتغيرات المفترضة المؤدية إلى وقوع حالة الطلاق

المتغير	B	الخطأ المعياري	معامل الارتباط R	معامل التحديد R^2	قيمةt المحسوبة	مستوى دلالة t
الجهل بالحياة الزوجية	٠,٢٦	٠,٠٤	٠,٦٠٩	٠,٣٧١	٥,٨٥*	٠,٠٠٠
تدخل الأهل في شؤون الحياة الزوجية	٠,٢٣	٠,٠٥	٠,٤٦٩	٠,٢٤٩	٤,٨٩*	٠,٠٠٠
وجود الشك والغيرة	٠,٢٧	٠,٠٥	٠,٥٢٥	٠,٢٧٦	٥,٣٣*	٠,٠٠٠

* ذات دلالة إحصائية على مستوى($\alpha \leq$ ٠,٠١)

الفرضية الأولى: الجهل بالحياة الزوجية يؤدي إلى وقوع حالة الطلاق

يتضح من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول رقم(١)، ومن متابعة اختبار(t) أن متغير الجهل بالحياة الزوجية له تأثير في وقوع الطلاق وبدلالة قيم (t) المحسوبة والبالغة (٥,٨٥)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة ($\alpha \geq$ ٠,٠١). وأن المتغير المستقبل يفسر ما مقداره (١,٣٧٪) من التأثير في المتغير التابع، وذلك اعتماداً على معامل التحديد (R^2 =٠,٣٧١)، ويعزز ذلك قيم معامل ارتباط بيرسون والتي تشير إلى وجود علاقة ارتباط قوية بلغت (٠,٦٠٩)، وبناءً عليه نقبل الفرضية والتي تنص على: أنّ الجهل بالحياة الزوجية يؤدي إلى وقوع حالة الطلاق.

الفرضية الثانية: تدخل الأهل في شؤون الحياة الزوجية يؤدي إلى وقوع حالة الطلاق.

يتضح من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول رقم(١)، ومن متابعة اختبار(t) أن متغير تدخل الأهل في شؤون الحياة الزوجية له تأثير في وقوع حالة الطلاق، وبدلالة قيم (t) المحسوبة والبالغة (٤,٨٩)

وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \geq$ ٠,٠١). وأن المتغير المستقبل يفسر ما مقداره (٢٤,٩٪)، وذلك اعتماداً على معامل التحديد (R2 = ٠,٢٤٩). ويعزز ذلك قيم معامل ارتباط بيرسون والتي تشير إلى وجود علاقة ارتباط قوية بلغت (٠,٤٦٩). وبناءً عليه نقبل الفرضية التي تنص على تدخل الأهل في شؤون الحياة الزوجية وقوع حالة الطلاق.

الفرضية الثالثة: وجود الشك أو الغيرة بين الزوجين يؤدي إلى الطلاق.

يتضح من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول رقم (١)، ومن متابعة اختبار (t) أن متغير وجود الشك أو الغيرة بين الزوجين له تأثير في الطلاق، وبدلالة قيم (t) المحسوبة والبالغة (٥,٣٣) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \geq$ ٠,٠١) أن المتغير المستقبل يفسر ما مقداره (٢٧,٦٪) من التأثير في المتغير التابع وذلك اعتماداً على معامل التحديد (R2 = ٠,٢٧٦). ويعزز ذلك قيم معامل ارتباط بيرسون والتي تشير الى وجود علاقة ارتباط قوية بلغت (٠,٥٢٥).

النتائج:

١- هناك علاقة إيجابية بين الجهل بالحقوق والواجبات في الحياة الزوجية يؤدي إلى وقوع حالة الطلاق، فالحياة الزوجية للإنسان مرتبطة أساساً باحتياجات بيولوجية، وثقافية، تفرضها ضرورات استمراريته ككائن بيولوجي واجتماعي.

وعليه؛ فإنّ تقوية وتدعيم العامل الثقافي والفكري والتوعوي يكوّن -في ظل النتائج ذات الدلالة الإحصائية التي وصلت إليها الدراسة- مصدراً لنجاح العلاقة الزوجية ومعالجة مشكلة الطلاق من خلال إتاحة حلول تقوم على أبعاد ثقافية واجتماعية تحول دون الطلاق بتمكين الزوجين من تفهم المشاكل والصعوبات في ظل جو منفتح ثقافياً ومعرفياً.

٢- هناك أثر ذو دلالة إحصائية بين تدخل الأهل في شؤون الحياة الزوجية ووقوع حالة الطلاق، وقد أفرزت هذه الظاهرة جملة من النتائج السلبية، التي ألحق الأذى بالأسرة على المستوى النفسي، والاجتماعي، والاقتصادي.

وعليه؛ فإنّ التقليل من عامل التدخل الخارجي في الحياة الزوجية يشكل مصدراً لإنجاح الحلول الزوجية والحدّ من الطلاق،

وينبغي بناءً على ذلك إظهار سلبية هذا العامل وعدم فاعليته في حلّ المشاكل الزوجية، خلافاً لما قد يعتقده بعض الأزواج أو الأهل من نجاعة هذا العامل، إلا في بعض الأحوال النادرة والمتقدمة من الإشكال.

٣- هناك أثر هامّ ذو دلالة إحصائية لوجود الشكّ أو الغيرة بين الزوجين في حدوث حالة الطلاق.

وعليه؛ فإنّ تعميق الشعور بالثقة المتبادلة بين الزوجين سيؤدي بحسب نتائج الدراسة إلى التقليل من وقوع حالة الطلاق.

التوصيات:

في ضوء ما تقدم من نتائج، فإن الدراسة توصي بما يلي:

١- ايجاد مراكز للتثقيف والتوجيه، والارشاد الأسري، فطبيعة العادات والتقاليد، وما تحمله من قيم متوارثة، تتجلى في الخوف، والعيب، والحرج في الاستفسار عن أشياء قد تسيء، تتطلب وجود مراكز حكومية متخصصة في هذا المجال، ومرشدين في المدارس والجامعات، يعملون على توعية كلا الجنسين، لما سيواجهونه بعد الزواج، وبأدوارهم المستقبلية؛ إذ تبين أنّ بعض من حالات الطلاق سببها عدم التوافق.

٢- على وسائل الإعلام عرض مسلسلات ذات طابع ثقافي تستقطب الأسر، بعيداً عن إشاعة جو تتعارض فيه مع القيم، أو تتناقض فيه الممارسات الزوجية، أو نشر جوّ منفّر تتسم فيه العلاقة الزوجية بالإحباط والصراع والتعقيد.

٣- العمل مع الأزواج حديثي العهد بالحياة الزوجية -كل على حدة- لتبصيرهم بدوافعهم، وكوامن عللهم، ليتفهموا طبيعة مشكلتهم واكتساب القدرة على حل صراعاتهم المختلفة.

٤- إعادة تفعيل دور المؤسسات التقليدية الأولية، المتمثلة بالأبنية القرابية، والاجتماعية، عبر هيئات ولجان اصلاح محلية، والضغط على صانعي القرار الاقتصادي، للأخذ بالحسبان تأثير الفقر، البطالة، وغلاء مستوى المعيشة، في زعزعة الأسس الاجتماعية للأسر، وضرورة تفعيل دور مؤسسات الرعاية الاجتماعية، والاقتصادية، داخل نطاق الأسر، والفئات الاجتماعية الفقيرة، التي

تعاني من التفكك، وفقدان المعيل الرئيسي، بسبب الوفاة، أو المرض، أو السجن.

٥- العمل على تفعيل دور الثقافة الدينية، والاجتماعية، في مواجهة وسائل الاتصال، والترفيه الحديثة، بما تحمله من كلفة مادية، وآثار اجتماعية، سلبية، عبر مؤسسات، وهيئات عمل أهلية، ورسمية، تعزز الإلتزام الثقافي الفكري، والأيديولوجي، والرمزي، بقيم الثقافة الإسلامية، ومبادئها في مواجهة ما تلحقه ثقافة العولمة من سلبيات، وأضرار تمس واقع حياتنا.

٦- معالجة عوامل الشك والغيرة بين الزوجين من خلال دورات مكثفة قد تكون قبل الزواج لتوضيح عمق الرابطة الزوجية، ومدى قوتها، ومدى متانتها في المجتمع، وثقلها من خلال النسل والأولاد الذين تحتويهم الأسرة، بحيث لا تؤثر عليها بعض المؤثرات السلبية التي تؤدي إلى هذا العامل الهادم للأسرة.

الهوامش:

(١) **التقرير الإحصائي**، دائرة قاضي القضاة، ص ١٠٢.

(٢) كتابي، محمد عزت، ٢٠٠٥م. تسلط الزوج وأثره في التوافق الزواجي دراسة ميدانية في مدينة دمشق، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس**، كلية التربية، جامعة دمشق، ٣ (٢)، ص١٣٦-١٣٩.

(٣) الشهري، وليد بن محمد، ٢٠٠٩م. **التوافق الزواجي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من المعلمين المتزوجين بمحافظة جدة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة.

(4) Darya, D. &Dawn, M. Examining the Process by Which Martial Adjustment Affects Martial Warmth: The Role of Co-**Psychology**, 2007, 21 (2), 288-296.

(٥) وارد في **أبو أسعد**، ٢٠٠٥م.

(٦) العامر، عثمان بن صالح، معوقات التوافق بين الزوجين في ظل التحديات الثقافية المعاصرة للأسرة المسلمة، **مجلة كلية التربية**، جامعة الإمارات، ٢٠٠٠م،١٧، ٢٥-٧١.

(٧) مرسي، صفاء، والصبوة، محمود، علاقة الاختلال الزواجي بكل من التعاطف بين الزوجين والإدراك الإيجابي لشريك الحياة، **مجلة دراسات عربية في علم النفس**، ٢٠٠٤م،٣ (٢)، ص٣١-٥٨.

(8) Nicole, A. R. & Robert, W.L (2001). The Remains of the Workday; Impact of Job Stress and Exhaustion on Martial

Interaction in Police Couples, **Journal of Marriage and Family**, 63: 1052-1067.

(٩) العامر، عثمان بن صالح. معوقات التوافق بين الزوجين في ظل التحديات الثقافية المعاصرة للأسرة المسلمة، **مجلة كلية التربية**، جامعة الإمارات، ٢٠٠٠م، ١٧، ٢٥-٧١.

(10) Nicole, A. R. & Robert, W.L (2001). The Remains of the Workday; Impact of Job Stress and Exhaustion on Martial Interaction in Police Couples, **Journal of Marriage and Family**, 63: 1052-1067.

(١١) موسى، رشاد علي، ومديحة الدسوقي، وأميرة عباس، **علم نفس المرأة**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣م.

(١٢) أبو أسعد، أحمد. أثر التكيف الزواجي في التكيف النفسي وتلبية الحاجات النفسية الأساسية لدى الأبناء، **رسالة دكتوراة غير منشورة**، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

(١٣) كتابي، محمد عزت، تسلط الزوج وأثره في التوافق الزواجي دراسة ميدانية في مدينة دمشق، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس**، كلية التربية، جامعة دمشق، ٢٠٠٥م، ٣ (٢)، ص١٣٦-١٣٩.

(14) Darya, D. & Dawn, M. (2007). Examining the Process by Which Martial Adjustment Affects Martial Warmth: The Role of Co- **Psychology**, 21 (2), 288-296.

(١٥)الشهري، وليد بن محمد. **التوافق الزواجي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من المعلمين المتزوجين بمحافظة جدة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ٢٠٠٩م.

(16)Bela, Anthony M.(2001) Who Wants Divorce Marriage Values and Divorce in Malta and Western Europe nternational Review of Sociology, Vol. 11 Issue 1, p75-87.

(17) Karney, B. R. and Bradbury, T. N. (2005) Contextual Influences on Marr - iage .Current Directions in Psycho- logical Science. Vol. 14 Issue 4, p171-174.

(١٨)الرويلي، أسماء بنت قريان. **العوامل الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بأنماط الزواج**. رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع. الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٥م.

(19) Kalmijn, M., de Graaf, P. and Janssen, J.(2005) "Intermarriage and the risk of divorce in the Netherlands: The effects of differences in religion and in nationality 1974-94". Population Studies. Vol. 59 Issue 1, p71-85.

(20)Rao, 2002.

(21) Amato, Paul R. (2003) Reconciling Divergent Perspectives: Judith Waller- stein, Quantitative Family Research, and Children of Divorce". Family Relations. Vol. 52 Issue 4, p332-339

(22) Greenstein, 2006.

(23)Astone, 2002

(24)Smock, 1999.

(٢٥) **دائرة قاضي القضاة في الأردن**، ٢٠١٣م.

(٢٦) **دائرة الإحصاءات العامة**، ٢٠١٢م.

(٢٧)خضير، ماهر عليان، **الطلاق: آثاره وأضراره**، ٢٠٠٦م، منشورة على الموقع:
www.egyptianoasis.net

(٢٨) مبيضين، مأمون. **التفاهم في الحياة الزوجية**، المكتب الإسلامية للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م.

(٢٩) رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، **الأسرة والمجتمع دراسة في علم اجتماع الأسرة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١١.

(30) Rao, 2002.

(31) Karney, B. R. and Bradbury, T. N. Contextual Influences on Marriage" Current Directions in Psychological Science. Vol 14 Issue 4, p171-174. 2005.

(٣٢) الفيصل، عبدالله عبد الرحمن، بعض خصائص المطلقين الاجتماعية في إحدى محاكم الطلاق بالمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، ٢٠٠٦م، المجلد الثالث، الآداب (١).

(٣٣) الثاقب، فهد ١٩٩٦م، أسباب الطلاق في المجتمع الكويتي: دراسة ميدانية، **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد الثالث/ المجلد ٢٤، جامعة الكويت، الكويت، ص ٧٨-٥١.

(٣٤) العمودي، ياسر بن محمد بن عبدالله. (٢٠٠١م). التوافق الزاوجي وعلاقته بتوكيد الذات وارتباطه ببعض المتغيرات، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، السعودية.

(٣٥) باصويل، أمل أحمد عبدالله. (٢٠٠٨). التوافق الزواجي وعلاقته بالإشباع المتوقع والفعلي للحاجات العاطفية المتبادلة بين الزوجين، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، السعودية.

(36) Coltrane, S. and Adams, M.(2003) "The Social Construction of the Divorce "Problem": Morality, Child Victims, and the Politics of Gender Family Relation, Vol. 52 Issue 4, p363-3

(37) Amato, Paul R. (2003) Reconciling Divergent Perspectives: Judith Wallerstein, Quantitative Family Research, and Children of Divorce" Family Relations. Vol. 52 Issue 4, p332-339.

(٣٨)الشبول أيمن ٢٠١٠، المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق (دراسة انثروبولوجية في بلدة الطرة)، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد ٢٦- العدد٣ و٤، ص ٦٤٧-٧٠٥.

(39) Smock, 1999.

(٤٠) الفيصل، عبدالله عبد الرحمن١٩٩١م، بعض خصائص المطلقين الاجتماعية في إحدى محاكم الطلاق بالمملكة العربية السعودية، **مجلة جامعة الملك سعود**، المجلد ٣، الآداب (١).

(٤١) عيّاش، ليث محمد ٢٠١٠م، **أنماط العنف الموجه نحو المرأة العراقية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وفق تنميط منظمة الصحة العالمية للعنف**، جامعة بغداد، كلية التربية ابن الهيثم، قسم التربية وعلم النفس.

(٤٢) الهر، قدرة عبد الأمير ٢٠٠٨م، العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات في محافظة (مالمو) بالسويد، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، الدنمارك.

(٤٣) البداينة، ذياب؛ وأبو حجلة، همسه سمير ٢٠٠٥م. العلاقة بين الخصائص الشخصية للزوجة ورضاها عن الزواج والعنف ضد الزوجة في قصبة الكرك. الـأردن، **مجلة مؤتة للدراسات والبحوث،** ٢٠(٦): ص٣٧-٨٠.

(٤٤) الفيصل، عبدالله عبـدالرحمن ١٩٩١م، بعـض خصائص المطلقين الاجتماعية في إحدى محاكم الطلاق بالمملكة العربية السعودية، **مجلة جامعة الملك سعود،** المجلد الثالث، الآداب (١).

(٤٥) مرسي، صفاء اسماعيل، والطاهر، محمود. ٢٠٠٥م. منبئات التوافق الزواجي لدى عينة من الأزواج والزوجات المصريين، **مجلة دراسات نفسية، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية،** ١٥(٤).

(٤٦) الشبول أيمن ٢٠١٠م، المتغيرات الاجتماعية والثقافيـة لظـاهرة الطـلاق (دراسـة انثروبولوجية في بلدة الطرة)، **مجـلة جـامعة دمشق،** المجلد ٢٦، العدد ٣ و٤، ص ٦٤٧-٧٠٥

(٤٧)النابلسي، هناء ٢٠١١م، أسباب الطلاق في الأردن، **مجلة كلية التربية،** جامعة الإمارات، ١٧، ص٢٥-٧١.

(٤٨)عبـدالرزاق، عمـاد علـي٢٠١٠م. المسـاندة الاجتماعيـة كـتغير وسـيط في العلاقـة بـين المعاناة الاقتصادية والخلافات الزوجية، **مجلـة دراسات نفسية،** ٧ (١)، ١٣-٣٩.

(٤٩)علي، حسام محمود زكي. ٢٠٠٨م. الإنهاك النفسي وعلاقته بالتوافق الزواجي وبعض المتغيرات الديمغرافية لدى عينة من معلمي الفئات الخاصة بمحافظة المنيا، **رسالة ماجستير غير منشورة،** جامعة المنيا، مصر.

(50) Wang, L. & Grane, D. R. (2008) The Relationship Between Martial Satis - faction, Martial Stability, Nuclear Family Triangulation, and Childhood Depression, The American Journal of Family Therapy, (29), 337-347.

(٥١) الكركـي، نسـرين ٢٠٠٥م، العلاقـة بـين أساليب حـل الصـراعات الزوجيـة والعنـف ضـد الأطفـال في محافـظة الكـرك، رسـالة ماجسـتير غـير منـشورة، **جامعـة مـؤتة،** الكرك.

(٥٢) المطوع، جاسـم ٢٠٠٤م، أسـاليب الـزوجين في اتخاذ القرارات الأسـرية في ضـوء التوافـق (بين الزوجين)، **المجلـة العربيـة،** ع ٣٢٩، السـنة ٢٠٠٩.

(٥٣)العمـايرة، وفـاء عـلان ٢٠٠٣م، أثـر بعـض المـتغيرات الشخصـية والاجتماعيـة والاقتصادية، في صنع القرار الأسري- مدينة السلط كحالة دراسية، **رسالة ماجسـتير غـير منشورة،** الجامعة الأردنية.

ما وُضِعَ في غير بابه في معاجم العربية
دراسة في تنبيهات ابن بري على الجوهري في الصحاح

د. محمود مبارك عبدالله عبيدات*

تاريخ وصول البحث: ١٧/ ٤/ ٢٠١٧م تاريخ قبول البحث: ٢٨/ ٥/ ٢٠١٧م

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة جانب من جوانب النقد المعجمي عند العرب، وهو ما وضع في غير بابه، وذلك بالاعتماد على ما أخذه ابن بري من انتقادات في حواشيه على الجوهري في الصحاح، وبمقارنة رأييهما بما نجده في المعاجم العربية الكبرى، وذلك بمنهجية وصفية تحليلية، تصف المثال الذي وضع في غير مكانه من المعجم وتفسِّر سببه، وقد توصلت الدراسة إلى أن وضع الألفاظ في غير موضعها الصحيح في المعاجم يعود في مجمله إلى التوهم في تقدير الأصل بِعَدِّ الزائد من حروف الكلمة أصليًّا أو عدِّ الأصليِّ زائدا أو الخطأ في ردَّ الحروف إلى أصلها، مما أدى في بعض الأحيان إلى وضع الكلمة الواحدة في موضعين في المعاجم المتأخرة، كما توصلت إلى أن للوزن الصرفي أثراً في وقوع هذه الظاهرة، وقد اعتمد ابن بري في هذا الأمر على عدة آليات لإثبات رأيه هي التصريف والاشتقاق، واللهجات العربية، وأقوال العلماء السابقين، والمعنى، والاستعمال؛ وتكمن أهمية طرح هذا الموضوع في كونه حلقة من حلقات النقد المعجمي، فقد أبدع أسلافنا في تقديم جهود معجمية كبيرة، وهذه الجهود تتطلّب اهتمام الباحثين في بيان ما لها وما عليها.

Abstract

This paper aims at investigating one of the aspects in Arabic lexical criticism of words with wrong lexical classifications under inappropriate sections, which is based on Ibn Berri's criticisms contained within his book upon Al-Jawhari's Sehah, comparing their opinions with what is found in precious Arabic lexicons.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية .

The study used the analytical descriptive approach, which describes the entry that the lexicographers put in the wrong place and explain its cause. The study concludes that classifying words under wrong sections in dictionaries is attributed to their incorrect predictions of the right roots of some words. This comes through counting extra letters to some words as original ones, considering the original letters to some words as extra ones, or the disability to count the correct letters to their origins, which sometimes led to placing a word in two positions in dictionaries. The study also concludes that the morphological structure of the word has an impact on the occurrence of this phenomenon.

Ibn Bari used many mechanisms in supporting his hypotheses such as derivations, word references, Arabic dialects, former scholars' sayings, meanings, and use. The significance of studying this topic is that it is a subject of the lexicographical criticism as the Arab scholars have been great in providing great lexicographical efforts, which require the concern of researchers in stating their pros and cons.

المقدمة:

قَدَّم العرب جهوداً كبيرة في جمع مفردات اللغة وتفننوا في تصنيفها في معاجم كبرى اتخذت أشكالاً متعددة في ترتيب موادها، حتى أصبح كل نظام ترتيب في ما بعد يمثل مدرسة قائمة بذاتها لها أتباعها ومريدوها.

ولأنّ نصيب المعاجم فرض عليها أن تتعامل مع مادة كبرى، تُمَثِّل مفردات اللغة من جهة، ومعانيها الكثيرة المتعددة من جهة أخرى، باستخدام آليات كثيرة يقف علم الصرف على رأسها، بما فيه من اشتقاق وتصريف، وربط ذلك بالدلالة والمجاز واللهجات العربية والسياقات اللغوية التي لا حصر لها، فإن الوقوع في الزلل في ظل هذا النصيب أمر لا مفرَّ منه، ولا سيما حين يتصدى فرد بمفرده لهذه المهمة التي تحتاج إلى جهود مؤسسية جماعية؛ لذا

وجدنا إلى جانب التأليف المعجمي عند العرب حركة نقد تتتبَّع ما أُنجز في هذا الميدان وتحاول أن تتجاوز الهَنات التي يقع فيها مؤلفو هذه المعاجم.

وقد حقق ابن بري في حواشيه على الصحاح المسمى (التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح)[١] أو (حواشي ابن بري على الصحاح) سَبَقاً مشهوداً في هذا الميدان، فقد تعقَّب ابنُ بريّ الجوهريَّ في معجمه الصحاحِ ذائعِ الصيتِ ووقف عند أخطائه بالنقد، والتصحيح.

ومن المسائل التي وقف عليها ابن بري في نقده للجوهري مسألة **ما وُضِعَ في غير بابه**؛ ويُقصد بما وضع في غير بابه: الألفاظ التي وضعها مؤلفو المعاجم خطأً أو توهماً تحت مواد لغوية أو جذور هي ليست المواد التي اشتقت هذه الألفاظ منها، وعليه يختلّ الباب أو الفصل الذي يوضع فيه ذلك اللفظ.

ولتوضيح المقصود بهذا الكلام نأخذ مثالا مما وقع فيه الجوهري من وهم في تقدير أصل بعض الكلمات مما أدى به إلى وضع الكلمة في غير موضعها الطبيعي؛ فمن ذلك مثلا كلمة (تَمَعْدَدَ الرَّجل) بمعنى: تَزَيَّا بزِيِّ مَعَدٍّ، أو انتسب إليهم، أو تصبَّر على عيشهم، أو اخشَوْشَنَ في عيشه قال عمر بن الخطاب ﷺ: اخشوشنوا واخشوشبوا وتَمَعْدَدوا[٢]، وقال الراجز:

رَبَّيْتُهُ حَتّى إذا تَمَعْدَدا
وآضَ نَهْدًا كالحِصان أَجْرَدا
كان جزائي بالعصا أنْ أُجْلَدا[٣]

وذلك أن معدّا كانوا أهل قَشَفٍ وغِلَظٍ في المعاش فصار التشبّه بهم مثالاً على التخشُّنِ والغِلْظَة[٤].

وقد جعل الجوهري كلمة (تمعدد) في مادة (عدد) على الرغم من أنه قال: ومعدّ: أبو العرب، وكان سيبويه يقول: الميم من نفس الكلمة لقولهم: تمعدد، لقلة تمفعل في الكلام[٥].

وقد انتقد ابنُ بَرّي الجوهريَّ في جعله (تمعدد) في مادة (عدد)، قال ابن بري: "صوابه أن يذكر تمعدد في فصل (مَعَدَ)؛ لأن الميم أصلية، وكذا ذكر سيبويه: قولهم معدّ فقال: الميم أصلية لقولهم: تمعدد الرجل، ولا يحمل على تمفعل مثل تمسكن لقلته ونزارته"[٦].

ومن الشواهد المعتبرة التي تدل على أصالة الميم في تمعدد قول الراجز:

أَخشى عليه طَيِّئًا وأَسَدا
وخارِبَيْنَ خَرَبا فَمَعَدَا[٧]

أيْ: أَبْعَدا في الذهاب.

وبذلك يكون الجوهريُّ قد وضع (تمعدد) في غير الموضع اللازم له وهو (مَعَدَ)، ولم يكن الجوهري وحده هو من وضع هذه الكلمة في غير موضعها، فقد تبعه في ذلك عدد من أصحاب المعاجم؛ كالفيروزآبادي[٨] وابن منظور الذي ذكرها في موضعين؛ في مادة (عَدَدَ) وفي مادة (مَعَدَ)[٩]، ومثله فعل الزبيدي[١٠].

في حين نجد عدداً من أصحاب المعاجم الذين سبقوا الجوهري يجعلون (تمعدد) في مادة (معد)، وذلك كالخليل[١١] وابن دريد[١٢] والأزهري[١٣].

المبحث الأول: أسباب الظاهرة:

عند استقراء المواضع التي وضعها الجوهري في غير مواضعها الصحيحة - بحسب ما قرَّره ابن بري- نجد أن عددًا من الأسباب تقف وراء هذا الأمر، تتمثل فيما يأتي:

السبب الأول: التوهم (القياس الخاطئ):

التوهم أو كما يسميه المحدثون القياس الخاطئ هو عملية ذهنية تُنتِجُ ظواهر لغوية منحرفة عن سنن نظائرها؛ لأنه عمل قائم على توهم أوجه شبه غير موجودة في الحقيقة بين المقيس والمقيس عليه[١٤]، أو هو أن يتوهم المتكلم عند القياس وجوه شبه بين المقيس والمقيس عليه، فيعطي المقيس حكم المقيس عليه[١٥].

وهو قانون له أثر كبير في انتاج كثير من ظواهر اللغة العربية، وقد اعترف به القدماء، وأطلقوا عليه عدة مصطلحات هي: الغلط والتوهم والتشبيه والحمل والسهو[١٦].

والأصل في قانون التوهم أو القياس الخاطئ أنه قانون يُفَسِّرُ نشوء أنماط لغوية في الأداء الاستعمالي للغة، وذلك كما في نشوء كلمة معائش التي ستذكر لاحقا، إلا أنها في مسألة ما وضع في غير بابه تُؤخذ قياساً من أصلها إلى التوهم الذي يقع فيه اللغوي حين يقع في وهم ما في التعامل مع المادة اللغوية؛ وذلك لأن ما يقع فيه اللغوي هو من حيث الآلية ما يقع فيه ابن اللغة الذي يتوهم مشابهة ما بين نمط موجود في اللغة ونمط يستحدثه قياساً على ذلك النمط لمجرد المشابهة الشكلية دون التنبه إلى الفروق الشكلية بين النمطين.

ولتوضيح أثر هذا القانون في ما وضع في غير بابه نعود إلى المثال المضروب سابقاً وهو (تمعدد)، فقد جعل الجوهري هذه الكلمة في مادة (عدد) على اعتبار أن الميم زائدة، وذلك قياساً على (تمسكن)

المشتقة من (سكن)، فكما أن الميم زائدة في تمسكن إذ هي على وزن (تمفعل)، نظر الجوهري إلى تمعدد على أنها من البناء نفسه، وعليه تكون الميم زائدة، فتؤول (تمعدد) إلى (عدد).

وهي في ذلك مثل قياس (معيشة) في جمعها المتوهَّم (معائش) على (مدينة) التي تجمع على (مدائن)؛ لذا نجد عدداً من علماء اللغة[١٧] قد لحَّنوا (معائش) على الرغم من ورودها في بعض القراءات القرآنية، وذلك لأن شرط ما يجمع على (فعائل) أن يكون حرف المد في مفرده زائداً[١٨]. ولو نظرنا إلى (مدينة) لوجدنا الميم فيها أصلية؛ لأنها من (مدن) والياء فيها زائدة، أما (معيشة) فالميم فيها زائدة والياء أصلية؛ لأنها من (عيش) لذا نجد أن المتوهِّم قد راعى في قياس معيشة على مدينة المشابهةَ اللفظية دون المشابهة الجوهرية؛ فكان القياس خاطئاً، ومثله قياس (تمعدد) على (تمسكن).

وفي ما وضع في غير بابه يظهر التوهم في أكثر من وجه على النحو الآتي:

المحور الأول: توهُّم الحرف الزائد أصلياً:

من أشكال التوهم التي أخذها ابن بري على الجوهري فأدَّت إلى وضع بعض الألفاظ في غير موضعها توهُّم أصالة الحرف الزائد، وذلك نحو ما وقع في لفظة (حَبَنْطَأ) بمعنى القصير السمين الضخم البطن، و(المُحْبَنْطِئ) بمعنى الممتلئ غيظًا، فقد جعل الجوهريُّ هاتين الكلمتين في مادة (حبطأ)[١٩]. قال ابن بري: "صواب هذا أن يُذكَر في فصل حبط؛ لأن الهمزة زائدة ليست بأصلية، ولهذا قيل: حَبِطَ بطنه إذا انتفخ، وكذلك المحبنطئ هو المنتفخ جوفه"[٢٠].

وعليه فالوهم واقع عند الجوهري حسب ما يراه ابن بري في أنه جعل الهمزة من أصل الكلمة، والصحيح أنها زائدة؛ وعليه يكون اشتقاق الكلمة من حبط.

وبالعودة إلى مادة حبط في المعاجم فإننا نجد أن ما قاله ابن بري صحيح، فقد جاء في المعاجم: "الحَبَطُ، مثل الْعَرَب: من آثار الجروح. وَقد حَبِطَ حَبَطا، وأحْبَطَه الضَّرْب. والحَبَطُ: وجع يَأْخُذ الْبَعِير فِي بَطْنه من كلإٍ يستوبله. وَقد حَبِط حَبَطا فَهُوَ حَبِيطٌ. وإبل حَباطَي وحَبِطَةٌ. وحَبِطَت الشَّاة حَبَطا: انتفخ بَطنهَا عَن أكل الذرق. وَفِي الحَدِيث: "إِن مِمَّا ينْبت الرّبيع مَا يقتل حَبَطا أَو يلم" وَذَلِكَ الدَّاء الْحُباطُ. والحَبَطُ فِي الضَّرع: أَهْون الورم. وَقيل: الحَبَطُ، الانتفاخ أَيْنَمَا كَانَ من دَاء أَو غَيره. وحَبِطَ

جلده: ورم"[٢١]. وعليه فسقوط النون والهمزة من هذه الكلمات التي تتفق في معناها مع معنى (احبنطأ) يجعل اشتقاق (احبنطأ) ومشتقاتها من الحبط واضحا؛ ولذلك نجد ابن سيده يجعل (احبنطأت واحبنطيت والمحبنطئ والمحبنطي) في مادة (حبط)[٢٢].

إلا أن أكثر مصنفي المعاجم العربية يوافقون الجوهري؛ فهذا الخليل يجعل (حبنطأ) في باب الحاء والطاء من أبواب الرباعي[٢٣]، وهذا الأزهري يجعلها في مادة حبطأ[٢٤]، والفيروزآبادي إلا أنه أخذ على الجوهري جعلها بعد حطأ ورأى أن حقها أن تكون بعد حبأ[٢٥]، وابن منظور[٢٦]، والزبيدي[٢٧].

والحقُّ أن لهذا الوهم الذي وقع فيه اللغويون مسوَّغه، وذلك أن القول بزيادة الهمزة في (احبنطأ) إلى جانب النون يجعل بناء هذه الكلمة على وزن (افعنلأ)، وهذا يؤدي إلى ما ليس له نظير في العربية؛ لأن بناء (افعنلأ) بناء مفقود في العربية[٢٨].

ومن هذا التوهم كذلك ما ذكره ابن بري في مادة (اختتأ) بمعنى اختطف أو اختبأ، فقد ذكرها الجوهري في مادة (ختأ)[٢٩]، قال ابن بري: "أصل اختتأ من ختا لونه يختو ختوًّا إذا تغير من فزع أو مرض، فعلى هذا كان حقه أن يذكره في فصل (ختا) من باب المعتل"[٣٠].

وقد اختلف مصنفو المعاجم في إيراد هذه الكلمة، فذكرها الخليل وابن فارس والأزهري في مادة (ختا) الثلاثي المعتل[٣١]، وهو ما وافقهم فيه ابن بري، في حين نجد ابن سيده والفيروزآبادي يجعلانها في مادة (ختأ)[٣٢]. أما ابن منظور والزبيدي فقد أورداها في موضعين؛ في مادة ختا[٣٣]، وفي مادة ختأ[٣٤].

لقد اعتمد ابن بري ومن وضع هذه الكلمة في مادة (ختا) على التأصيل الدلالي دون الصنعة التصريفية؛ وذلك أن اختتأ بمعنى استتر خوفًا أو حياءً تلتقي في معناها مع (ختا) بمعنى تغيّر من فزع أو مرض، فالخوف والحياء يقابلان الفزع والمرض، إلا أن التصريف يجعل من الصعب ردَّ الهمزة في (اختتأ) إلى الألف المنقلبة عن الواو في (ختا)، فأصل (اختتأ) على ما يفهم من ابن بري هو (اختتى) ثم انقلبت الألف همزة لغير علة صوتية فيها.

والجدول الآتي يذكر أمثلة أخرى مما وقع فيه هذا التوهم.

الكلمة	موضعها عند الجوهري	موضعها عند ابن بري	المتوافقون مع الجوهري	المتوافقون مع ابن بري	الذين وضعوها في الموضعين
البرْزينُ (كوز يحمل الشراب به من الخابية)	برزن	برز	الأزهري وابن سيده والفيروز آبادي وابن منظور والزبيدي		
انباع (بمعنى انبعث)	نبع	بوع		الأزهري وابن دريد وابن فارس والفيروزآبادي	ابن سيده وابن منظور والزبيدي
هَلُمَّ (أفْيِلْ)	هلم	لمم	الخليل والأزهري وابن فارس وابن سيدة والفيروزآبادي وابن منظور والزبيدي		

المحور الثاني: توهُّم الحرف الأصليّ زائداً:

وهذا التوهم عكس السابق تماماً وإن كانت الأسباب الموجبة لهما واحدة، إذ نجد هنا أن اللغوي يخطئ توهمًا فيظن أن الحرف الأصلي هومن حروف الزيادة، ومن الأمثلة التي أخذها ابن بري على الجوهري في هذا الأمر كلمة (اتلأبَّ) بمعنى استقام، فقد ذكرها الجوهري في مادة تلب، جاعلا الهمزة زائدة فيها[٣٥].

وقد اعترض عليه ابن بري قائلاً: "حقُّ اتلأبَّ أن يذكر في فصل (تلأب)؛ لأنه رباعي، والهمزة الأولى وصل، والثانية أصل، ووزنه افعللَّ مثل اطمأنَّ، والتلأبيبة مثل الطمأنينة"[٣٦].

ويتفق موقف الجوهري في وضع (اتلأب) تحت مادة (تلب) مع موقف الخليل والأزهري والفيروزآبادي والزبيدي[٣٧]، في حين يتفق موقف ابن بري في وضعها تحت مادة (تلأب) مع ابن فارس وابن سيده وابن منظور[٣٨].

والحقّ أننا لا نجد رابطاً دلالياً يربط بين (التَّلْب) بمعنى الخسار، وتلأب بمعنى

استقام حتى نجعل اتلأب مشتقة من تلب، وما أوهم الجوهريَّى وغيره هو افتراض أن كل كلمة في العربية تردُّ إلى أصل ثلاثي.

ومن هذا التوهم كذلك ما وقع في كلمة (الحَنْدَقوق)؛ وهي بقلة أو حشيشة، أو صفة للرجل الطويل المضطرب، وهو لفظ نبطي معرَّب، فقد ذكر الجوهري هذه الكلمة في مادة (حدق)[٣٩]، مخالفا في ذلك جميع اللغويين الذين جعلوها في مادة (حندق)[٤٠].

قال ابن بري منتقداً الجوهري في هذا: "صَوَابُ حَنْدَقُوقَ أَن يُذْكَرَ فِي فَصْلِ حندق لأَن النُّونَ أَصلية، وَوَزْنُهُ فَعْلَلُول، قَالَ: وكذا ذكره سيبويه وَهُوَ عِنْدَهُ صِفَةٌ"[٤١].

ومما وقع فيه الجوهري في هذا الباب أيضاً كلمة (قِلْحَمّ) بمعنى المُسِنّ الضخم من كل شيء، فقد ذكر الجوهري هذه الكلمة في مادة (قلحم) مختصا، ثم قال: وقد ذكرناه في باب الحاء لأن الميم زائدة"[٤٢].

وقد اعترض ابن بري على عَدِّه الميم زائدة فيها قائلا: "وصواب (قلحمّ) أن يذكر في فصل (قلحم)؛ لأن في آخره ميمين، إحداهما أصلية والأخرى زائدة"[٤٣].

ومن هذا التوهم أيضاً ما وقع في كلمة (قِنِّسْريّ) بمعنى الشيخ المُسِنّ، قال ابن بري: "وصوابه أن يذكر في (قنسر) وأنه لا يقوم دليل على زيادة النون"[٤٤]. وقد أجمعت المعاجم على جعل هذه الكلمة في مادة (قنسر)[٤٥].

والجوهري لم يجعل (قنسري) في مادة قسر، إلا أنه حين ذكر قول العجاج:

أَطَرَبًا وأَنْتَ قَنَّسَرِيُّ[٤٦]

ذكر فيه أنه يروى ب (قِنَّسْرِيّ)[٤٧]، إلا أن ما يؤخذ عليه أنه لم يجعل مادة خاصة ل (قنسر).

والواقع أن الجوهري يعارض إجماع اللغويين الذين هذه الكلمة تحت مادة (قلحم) الرباعي[٤٨].

المحور الثالث: أثر الوزن الصرفي في التوهم:

تؤدي بعض الأوزان الصرفية دوراً واضحاً في وقوع التوهم أو القياس الخاطئ المؤدي إلى وضع بعض الكلمات في غير مواضعها الصحيحة؛ وذلك أن بعض الأوزان توهم اللغوي بوزن ما فيذهب مع هذا الوهم في تقدير حروف الأصل والزيادة.

من ذلك وزن انفعل حين تكون فاء الكلمة نوناً فيتوهم اللغوي أن النون بعد

الألف هي نون انفعل فيخطئ في تقدير أصل الكلمة.

وقد وقع هذا الوهم عند الجوهري في كلمة (انْدَحَّت) في قولنا: اندحَّت الأرضُ كلأً اندحاحا إذا اتسعت بالكلأ، واندحَّت خواصر الماشية اندحاحاً إذا تفتَّقت من أكل البقل، واندحَّ بطنه اندحاحا: اتَّسع، وفي الحديث: "كان لأسامة بطن مُنْدَحٌ"(٤٩).

وقد ذكر ابن بري وهم الجوهري في هذه الكلمة ومشتقاتها حين جعلها في مادة دحح، فقال: "وأما اندحّ بطنه فصوابه أن يذكر في فصل (ندح)؛ لأنه من معنى السعة، لا من معنى القصر، ومنه المُنْتَدَح للمكان الواسع، والنُّدْح أيضاً الأرض الواسعة، ومنه قولهم: لي عن هذا الأمر مندوحة ومُنْتَدَحٌ أي سعة، ومما يدلك على أن الجوهري وهم في جعله اندحَّ في هذا الفصل كونه قد استدركه فذكره في ندح، وهو الصحيح، ووزنه افعلّ، مثل احمرّ، وإذا جعلته من فصل دحح فوزنه انفعل، مثل انسلَّ انسلالاً، فكذلك اندحَّ اندحاحاً، والصواب هو الأول"(٥٠).

ومن الواضح في كلام ابن بري كيف اعتمد على المعنى في تقدير اشتقاق الكلمة التي وقع فيها الوهم، وقد وضح كيف وقع الوهم قياساً على مثل (انسلّ) المشتقة من سلَّ.

وقد وقع في شَرَكِ هذا التوهم الأزهريُّ الذي لم يذكر (اندحَّ) إلا في مادة دحَّ(٥١)، وكذلك ابن فارس(٥٢)، أمّا الفيروزآبادي فقد ذكر هذه الكلمة في مادة (دحَّ)(٥٣)، كما ذكرها في (الندح)، إلا أنه قال: "وانْدَحَّ (له) انْدِحاحاً، مَوْضِعُهُ: د ح ح، وغَلِط الجوهريُّ"(٥٤)، وبذلك فإن الفيروزآبادي يصر على مخالفة ابن بري والجوهري في جعل الصواب في وضع اندحّ في دحح.

أما ابن منظور والزبيدي فقد ذكرا (اندحّ) في موضعين؛ الأول: دحح(٥٥)، والثاني: ندح(٥٦).

ويظهر ما للوزن من أثر في هذا التوهم، فالنون في أمثال اندحّ من الكلمات قد تكون زائدة وقد تكون أصلية، وذلك بسبب وجود الوزنين (انفعل وافعلّ) في العربية، فإذا كانت مشتقة من مادة ندح فوزن (اندحّ) هو افعلّ، ونونها أصلية، وإذا كانت مشتقة من (دحح) فوزنها (انفعل) والنون زائدة، والشكل الصرفي للكلمة يجيز الوجهين، إلا أن تحكيم المعنى ينتصر إلى

(نـدح)؛ لأن النَّـدْحَ بمعنـى السـعة، وهـو المعنى الذي نجده في (اندحّ) ومشتقاتها.

ومما وقع فيـه التـوهم لـذات السـبب كلمة (انْبـاقَ) في مثـل قولنـا: انبـاقَ علينـا بالكلام: أي انبعثَ، مثل انباع، فقد ذكرهـا الجوهري في مادة (نبق)[٥٧]، قال ابن بـري: "صـواب انبـاقَ علينـا أن يُـذْكَر في فصـل بوق"[٥٨].

ومنـه أيضـاً انْـدالَ بطـنُ الإنسـان والدابة إذا سال، قال ابن بري: "اندال وزنـه انفعل، فنونه زائدة وليسـت أصـلية، فحقـه أن يذكر في فصل (دَوَلَ)"[٥٩].

ومـن الأوزان الملبسـة الـتي تـدعو لوقوع التـوهم كـذلك مـا وقعـت المـيم في أوله، فمن المعروف أن الميم تزاد أولًا بكثـرة في عدد من الأبنية العربية، من ذلك مثلًا مـا وقـع في كلمـة (المَحالـة) بمعنـى (البَكَـرَة العظيمة التي تُسْتَقى بها الإبل) فقـد ذكرهـا الجوهري في مادة (محل)[٦٠]، وعليه فوزنهـا بناء على تقديره هو (فَعالة)، إلا أن الواقـع أن وزنها هو (مَفْعَلَة)، بـدليل جمعهـا علـى (محاول)، ولو كانت فعالة لكان جمعها على محائل، وإنما سميت محالة لأنها تدور فَتُنْقَـلُ من حالـة إلى حالـة، وكـذلك المحالـة بمعنـى فقرة الظهر، وهـي أيضًـا مفعلـة لا فعالـة، منقولة من المحالة التي هي البكرة، قـال ابـن بري: "فحقُّ هذا أن يذكر في حول"[٦١].

ومن ذلك أيضاً ما نجده مثلاً في كلمـة (تمعـدد) الـتي ذكرهـا الجـوهري في مـادة (عدد) ظاناً أن الميم فيها زائدة قياسـا علـى (تمسكن).

السبب الثاني: الخطأ في تقدير حروف الأصل

من الخطأ في تقدير حروف الأصل ما وقع في كلمة (الأَسْدِيُّ) وهو ضرب من الثياب، فقد جعله الجوهري في مادة (أسد)[٦٢]، واعترض عليه ابن بري قائلا: "ووهم في جعله في فصل (أسد)، وصوابه أن يذكره في فصل (سدا)، قال أبو علي: ويقال: أسدي وأستي، وهو جمع سُدىً وسُتىً، للثوب المُسَدّى"[٦٣].

وقد ذكر أكثر أصحاب المعاجم هـذه الكلمة في مادة (سدي) وفاقًا لما ذكـره ابـن بري[٦٤]، إلا أن هذا لا يلغـي مـا فيهـا مـن الإلباس؛ لـذا نجـد ابـن فـارس يـذكرها في مجمل اللغة في مـادة أسـد[٦٥]، ثـم نجـده في مقاييس اللغة يـذكر أنهـا ليسـت مـن هـذا البـاب قـائلا: "وأمـا الإسـادة فليسـت مـن الباب؛ لأن الهمـزة منقلبـة عـن واو، وكـذا الأَسْدِيّ"[٦٦].

ويقع مثل هذا الخطأ في تقدير حروف الأصل فيما حذفت بعض حروفه، ولا سيما إذا اشتهر بالاستعمال فتُنوسي الأصل، وذلك كما في كلمة (مَلَك) التي وضعها أكثر مصنفي المعاجم ومنهم الجوهري في مادة (ملك)[٦٧].

وقد اعترض ابن بري على هذا ورأى أن الصواب أن توضع (مَلَك) في مادة (ألك) وذلك لأن أصل (ملك) هو (ملأك) المقلوبة من (مألك)، قال ابن بري: "مَلأَكٌ مَقْلُوبٌ مِنْ مَأْلَكٍ، ومَأْلَكٌ وَزْنُهُ مَفْعَل فِي الأَصل مِنَ الأَلوك، قَالَ: وَحَقُّهُ أَن يُذْكَرَ فِي فَصْلِ أَلك لَا فِي فَصْلِ مَلَك"[٦٨]. ولذلك وجدنا الأزهري يضع ملك في مادة (ألك)[٦٩] ووجدنا غيره يجعلها في موضعين؛ في ألك وفي ملك[٧٠]. وقد أقرَّ بأنَّ الأصل قي ملك هو (مألك) جميع علماء اللغة ومنهم الجوهري على الرغم من أنهم لم يضعوه في مادة ألك[٧١]، يقول الخليل: "والمَلَكُ واحد الملائكة، إنما هو تخفيف الملأك، والأصل مألك، فقدموا اللام وأخروا الهمزة، فقالوا: ملأك، وهو مَفعَل من الألوك وهو الرسالة، واجتمعوا على حذف همزته كهمزة يرى وقد يتمونه في الشعر عند الحاجة، قال:

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ
تَبارَكَ مِنْ فَوْقِ السَّماواتِ مُرْسِلُهْ[٧٢]

وقد جعل العلماء لحذف الهمزة بعد ما حدث لها من قلب مكاني علتين هما؛ التخفيف بحذفها وإلقاء حركتها إلى الساكن الذي قبلها[٧٣]، وكثرة الاستعمال[٧٤].

من الأخطاء التي أخذها ابن بري على الجوهري وهمه في تقدير حروف أصل الكلمة، وذلك كما وقع له في كلمة (تابوت)، فقد جعلها الجوهري في مادة (توب) فقال: "والتابوت أصله تابُوَةٌ، مثل تَرْقُوَةٌ، وهو فَعْلَوَةٌ، فلما سُكِّنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاءً"[٧٥].

وقد وصف ابن بري التصريف الذي ذكره الجوهري لتابوت حتى ردها إلى التاء بدل الهاء بأنه تصريف فاسد، ثم قال: "الصواب أن يذكره في فصل (تبت)؛ لأن تاءه أصلية، ووزنه فاعول، مثل: حاطوم وعاقول، والوقف عليه بالتاء في أكثر اللغات، ومن وقف عليه بالهاء فإنه أبدلها من التاء، كما أبدلها في الفرات حين وقف عليه بالهاء، وليست التاء في الفرات بتاء تأنيث، وإنما هي أصلية من نفس الكلمة"[٧٦].

والحقّ أننا لا نجد من يوافق ابن بري في تقديره لأصل هذه الكلمة التي اختلفوا

فيها اختلافا بينا، فابن سيدة مثلا يجعل (التابوت) في مادة تبه معتمداً على اللغة التي تقف على هذه الكلمة بالهاء وهي لغة الأنصار، ولم يذكرها في غير هذا الموضع(٧٧).

أما الفيروزآبادي فقد جعلها في مادة (تاب) موافقا الجوهري إذ يقول: "والتابوت أصله (تابُوَةٌ) كتَرْقُوَة، سكِّنت الواو فانقلبت هاء التأنيث تاء، ولغة الأنصار التابوه بالهاء(٧٨).

وقد ذكر ابن منظور أن مؤلفي الأصول التي اعتمد عليها لم يذكروا مادة (تبت) إلا ابن الأثير في النهاية، إذ ذكره لمراعاة الأصول، أما ابن منظور فذكرها تأثراً بما انتقد ابن بري به الجوهري، إلا أنه أورد تابوت كذلك في مادة (تبه)(٧٩).

ومن هذا الوهم كذلك ما نجده في كلمة (الحَوْأَب) بمعنى الوادي الواسع العريض، فقد ذكرها الجوهري في مادة (حوب)(٨٠)، واعترض عليه ابن بري قائلا: "كان حقه أن يذكر الحوأب في فصل حأب؛ لأن الواو فيه زائدة ولأن الهمزة لا تزاد وسطًا إلا في ألفاظ معدودة، فوزنه إذن فوعل لا فعأل"(٨١).

وهنا نرى اعتماد ابن بري على قاعدة زيادة الهمزة في بيان وهم الجوهري، فهي لا تزاد في وسط الكلمة إلا في ألفاظ معينة، ومن هنا قال بأصالة الهمزة.

وممن رأى أصالة الهمزة فجعلها في مادة (حأب) من مصنفي المعاجم ابن سيده والفيروزآبادي وابن منظور والزبيدي(٨٢)، أما ابن دريد وحده فقد وافق الجوهري فجعلها في مادة (حوب)(٨٣). وقد خالف ابن فارس جميع اللغويين فجعل الحوأب في باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف إلا أنه قال فيه: "والحاء فيه زائدة، وإنما الأصل الوأب، والوأب: الواسع المقعَّر من كل شيء"(٨٤).

وقد ذكر ابن يعيش أن الحاء في الحوأب زائدة للإلحاق بجعفر، وهي تعامل في معاملة الأصل، يقول: "وكذلك لو كانتا للإلحاق، فإنّهما تجريان مجرى الأصليّة، فيسوغ نقلُ حركة الهمزة إليهما، نحو قولك في "الحَوْأَب" و"الحَوْأَبَةِ": "الحَوَبُ"، و"الحَوَبَةُ". والحَوْأَبُ: المكان الواسع، وواوُه زائدة للإلحاق بجَعْفَرٍ."(٨٥) وبذلك يوافق ابنُ يعيش ابنَ فارس في أصل هذه الكلمة.

والجدول الآتي يذكر أمثلة أخرى مما وقع فيه هذا الخطأ

الكلمة ومعناها	موضعها عند الجوهري	موضعها عند ابن بري	المتوافقون مع الجوهري	المتوافقون مع ابن بري	الذين وضعوها في الموضعين
الأفاني (النبت ما دام رطبًا)	فني	أفن	الخليل والأزهري وابن فارس		ابن منظور والزبيدي
امرأة جَبْأى (قائمة الثديين)	جبا	جبأ	ابن فارس	ابن سيدة والزبيدي	ابن منظور
جئْ جئْ (أمر للإبل بورود الماء)	جأجأ	جيأ	الخليل والأزهري وابن سيده وابن منظور		الزبيدي
الدَّدُ (اللهو واللعب)	دَدَنَ ودَدا	دَدَّ	الخليل وابن فارس والفيروزآبادي	ابن منظور	الأزهري والزبيدي
الزَّوَنْزى	زوز	زون	الزبيدي	الأزهري وابن فارس وابن سيده	ابن منظور ذكرها في زيز وزون
الأست (الدُّبر)	سته	أست		الخليل والأزهري وابن سيده والفيروز آبادي	ابن منظور والزبيدي
أُغْمِيَ يومنا (دام غيمه)	غمم	غمي	الخليل والأزهري وابن سيدة والفيروز آبادي وابن منظور والزبيدي		

السبب الثالث: الخطأ في رد الحروف إلى أصلها

يقع هذا النوع من الأخطاء في الحروف المعتلة، إذ يخطئ الدارس في رد حرف العلة إلى أصله، ومن ذلك ما وقع فيه الجوهري حين وضع كلمة نياف بمعنى الطويل في مادة (نيف)[٨٦].

وقد اعترض عليه ابن بري قائلاً: "وَحَقُّ النِّيَاف أَن يُذْكَرَ فِي فَصْلِ نَوَفَ. يُقَالُ: نَافَ يَنُوفُ أَي طَالَ، وَإِنَّمَا قُلِبَتِ

الْوَاوُ يَاءً عَلَى جِهَةِ التَّخْفِيفِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صِوَانٌ وَصِيَانٌ وطِوال وطِيال"[٨٧]. وقال جني: "وحقُّ النِّياف أن يُذكر في فصل (نوف)، يقال: ناف ينوف أي طال، وإنما قلبت الواو ياء تخفيفاً لا وجوباً، ألا ترى إلى صحة صِوان وخِوان وصِوار؟ على أنه قد حُكِيَ صيان وصيار، وذلك تخفيف لا عن صنعة ووجوب"[٨٨].

ولم يَتَّفِق الجوهري في وضعه (نِيافًا) في مادة (نيف) إلا مع الخليل[٨٩]، وابن فارس الذي أجاز أن يكون أصلها من (نوف) وإن وضعها في (نيف)[٩٠]. أما بقية أصحاب المعاجم فقد اتفقوا مع ابن بري وجعلوها في مادة (نوف)[٩١].

والحق أن صياغة (نياف) صفةً من نوف فيه لبس هو ما أوقع الجوهري وغيره في وهم أن تكون مشتقة من (نيف)، فلو كانت مصدراً لكان لها نظير في العربية وهو صيام وقيام المشتقان من صام وقام، أما كونها صفة فلا نظير له؛ ولذلك راح اللغويون يلتمسون تفسير وجود هذه الصفة على هذه الشاكلة من فعل واوي العين، فهذا ابن سيدة يقول: "وقد تجوز أن يكون نَيافٌ مصدراً جارياً على فِعلٍ معتل مقدرٍ فيجري حينئذٍ مجرى قيامٍ وَصيَامٍ وَوُصِفَ به كما يوصف بالمصادر"[٩٢].

إلا أن في كلام ابن بري الذي سبق عرضه ما يدل على وجود صفات على ذات البناء قلبت فيها الواو ياء، وذلك نحو صِوَانٌ وَصِيَانٌ وطِوال وطِيال، وعليه لم ينعدم النظير في هذه الصياغة.

ويبدو أن أمر هذه الصياغة يمكن تفسيره لدي بأحد تفسيرين:

- **الأول**: أنه من قبيل اللهجات، فوجود مثل: صِوَانٌ وَصِيَانٌ وطِوال وطِيال، يدل على أنها صيغ اختيارية لا تُفسَّر إلا على أنها من اللهجات، وكذلك (نياف) التي نفترض إلى جانبها صيغة اختيارية أخرى هي (نواف) إلا أنها تُنوسيت، وحلَّت (نياف) محلها.

- **الثاني**: اشتقاق (نَيِّف) من ناف ينوف، ومن ثم تخفيفه إلى (نَيْف)، إذ إن تفسير تغير الواو ياء في (نَيِّف) مُسوَّغ، فهو على ما وقع لـ(ميِّت)، أما (نَيْف) فليس له مسوغ سوى أنه من قبيل تخفيف المضعَّف تخلصاً من ثقله كما وقع في (مَيْت)، وعليه يمكن القول بأن (نِيافًا) مُشتقَّة من (نَيْف) المخففة توهما بأصالة الياء فيها.

والجدول الآتي يذكر أمثلة أخرى مما وقع فيه هذا الخطأ

الكلمة ومعناها	موضعها عند الجوهري	موضعها عند ابن بري	المتوافقون مع الجوهري	المتوافقون مع ابن بري	الذين وضعوها في الموضعين
الأفاني (النبت ما دام رطبًا)	في	أفن	الأزهري وابن فارس	ابن سيده	ابن منظور والزبيدي
الخائل (المُعْجَبُ بِنَفْسِه)	مادة خيل	مادة خول	ابن سيده وابن منظور والزبيدي	الخليل	لا أحد
رَيِّقُ الشَّباب والمَطَر (أَوَّلُهُ)	ريق	روق	الخليل وابن دريد وابن فارس وابن سيدة وابن منظور والزبيدي		

المبحث الثاني: آلية الاستدلال عند ابن بري:

استخدم ابن بري مجموعة من الطرق للاستدلال على صحة ما يذهب إليه من وهم الجوهري وغيره من مصنفي المعاجم في وضع بعض المفردات في غير مواضعها، وهذه الآليات هي:

المحور الأول: الاشتقاق

يُعَدُّ الاشتقاق الآلية الرئيسة في تبيين ما يطرأ على الكلمة من تحولات بنيوية في اللغات المتصرفة لبيان كيفية إنتاج المفردات وتوليدها، فعالم اللغة قادر على معرفة الأصلي من الزائد، والثابت من المتحول في الصيغ، عن طريق توظيف قواعد الاشتقاق المعهودة في اللغة المدروسة؛ ولذلك نجد الاشتقاق يدخل في جميع الآليات التي سنذكرها في هذا المبحث.

ولبيان كيفية استخدام هذه الآلية في توضيح رأي ابن بري في نقده للجوهري نأخذ المثال الآتي: وَضَعَ الجوهري كلمة (استاتَتْ) الناقةُ استيتاءً -إذا استرخت من الضبعة وأرادت الفحل- في مادة ستى(٩٣)، فاعترض عليه ابن بري قائلا: "وَلَيْسَ هَذَا مِنْ هَذَا الْفَصْلِ، وحقُّه أَن يُذْكر فِي فَصْلِ أَتى لأَن وَزْنَهُ اسْتَفْعَلت، والأَصل فِيهِ الْهَمْزُ فَتُرِكَ الْهَمْزُ، ويقوِّي أَنه مِنْ أَتى

رِوَايَةُ مَنْ رَوَى الْهَمْزَ فِيهَا فَقَالَ اسْتأْتَت استِئتاءً، قَالَ: وَلَوْ كَانَ افتَعلَت مِنَ السَّتى لَقَالَ فِي فِعْلِهَا استَتَتِ الناقةُ وَفِي مَصْدَرِهَا اسْتِتاءً"(٩٤).

فمن الملاحظ كيف وضح ابن بري خطأ اشتقاق استاتت من ستا، فالكلمة بناء على هذا التقدير ستكون على وزن (افتعلت) لأن السين أصلية، وإذا بُنِيَ (افتعلت) من (ستى) فإن الصيغة الحاصلة ستكون (استَتَتِ الناقة) وليست (استاتت)، وعليه فنحن بحاجة لتفسير وجود الألف في كلمة (استاتت)، ولأن مما ورد في هذه الكلمة قول العرب (استأتت استئتاء) جعل ابن بري الهمز أصلًا مُسَهَّلًا في كلمة استاتت، والسين زائدة، وعليه فمادة الكلمة هي أتى، ووزنها هو استفعل لا افتعل.

والحق أن كلام ابن بري أكثر اقناعاً، وبالرجوع إلى المعاجم نجد أن جميع علماء اللغة قد وضعوا هذه الكلمة في مادة (أتي) كما قال ابن بري(٩٥).

وسيظهر أثر الاشتقاق في كافة الآليات الآتية.

المحور الثاني: اللهجات العربية

مثَّلت اللهجات العربية مصدراً من مصادر الاستدلال على الأصل عند ابن بري في تقدير وضع الكلمة في غير موضعها عند الجوهري، فاللهجات العربية باختلافاتها قد تدل على أصل غير مكشوف للعيان، من ذلك مثلا اعتماد ابن بري على اللهجات في تقدير أصل عدد من أعلام المواضع العربية المنتهية بياء ونون مثل: فلسطين وصفين ونصيبين ويبرين، فقد جعل الجوهري النون من حروف أصل هذه الكلمات؛ فذكر فلسطين في مادة طين(٩٦)، وصفين في مادة صفن(٩٧)، أما يبرين فذكرها في مادة يبر(٩٨)، ونصيبين في مادة نصب(٩٩).

وقد رأى ابن بري أن النون في جميع هذه الكلمات زائدة لا أصلية؛ وذلك اعتمادا على لهجات بعض العرب التي تتعامل مع هذه المفردات معاملة جمع المذكر السالم فتعربها بالحروف؛ فيقولون: هذه صِفّون، وزرت صِفّين، ومنه حديث أبي وائل: "شهدت صِفّين، وبئست الصِّفّون"(١٠٠).

والحق أن ابن بري قد جانب الصواب في هذا الرأي، فما جريان لغة جمع المذكر السالم عند من جرت عندهم في هذه

الكلمات إلا من قبيل التوهم، والتوهم لا يبنى عليه حكم في أصل الكلمة، ولذلك وجدنا الفيروزآبادي يضع صفين مثلا في مادة صفن[١٠١] وكذلك ابن منظور[١٠٢] والزبيدي[١٠٣].

ومن اعتماد ابن بري على اللهجات ما نجده في كلمة (تابوت) التي جعلها الجوهري في مادة (توب)[١٠٤]، على تقدير أن أصلها (تابُوَةٌ مثل تَرْقُوَةٍ) وهو (فَعْلَوَة)، فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء، وقد اعتمد في ذلك على لغة الأنصار التي تقف على هذه الكلمة بالهاء. قال القاسم بن معن: "لَمْ تَختلف لغةُ قُريشٍ والأَنصارِ فِي شيءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا فِي التَّابُوتِ، فلغةُ قُرَيْشٍ بالتاءِ، ولغةُ الأَنصار بالهاءِ"[١٠٥]. وقد علق ابن بري على هذا بأن التصريف الَّذِي ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى رَدَّهَا إِلَى تَابُوتٍ تَصْرِيفٌ فاسِدٌ؛ ثم قَالَ: "الصَّوَابُ أَن يُذكر فِي فَصْلِ تَبَتَ لأَنَّ تاءَه أَصلية، وَوَزْنُهُ فاعُولٌ مِثْلُ حاطُومٍ وعاقُولٍ، والوقْفُ عَلَيْه بالتاءِ فِي أَكثر اللُّغَاتِ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا بالهاءِ فَإِنَّهُ أَبدلها مِنَ التاءِ، كَمَا أَبدلها فِي الفُرات حِينَ وَقَفَ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ، وَلَيْسَتْ تاءُ الْفُرَاتِ بتاءِ تأْنيث، وَإِنَّمَا هِيَ أَصلية مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ"[١٠٦].

المحور الثالث: المعنى

للمعنى المرتبط بالاشتقاق دور كبير في تحديد مادة الكلمة، وقد اعتمد عليه ابن بري في مواضع كثيرة لبيان خطأ الجوهري، ومن ذلكما وقع في كلمة (اندحَّ) التي وضحنا الخلاف فيها سابقاً، يقول ابن بري: "وأما اندحّ بطنه فصوابه أن يذكر في فصل (ندح)؛ لأنه من معنى السعة، لا من معنى القصر، ومنه المُنْتَدَح للمكان الواسع، والنُّدْح أيضاً الأرض الواسعة، ومنه قولهم: لي عن هذا الأمر مندوحة ومُنْتَدَحٌ أي سعة"[١٠٧].

فالواضح من كلام ابن بري أنه يعتمد في تقدير حروف الأصل في هذه الكلمة ومشتقاتها على المعنى، إلا أن الغريب أن المعنى الذي يؤيد كلام ابن بري في وضع اندحّ في مادة ندح هو ذاته -أي المعنى- يؤيد وضعها كذلك في مادة (دحح)، فبالعودة إلى لسان العرب نجد الفعل دحَّ في قول العرب: دحّ الطعامُ بطنَه يدُحُّهُ إذا ملأه حتى يسترسل إلى أسفل[١٠٨]، وهذا يقوّي كون الأصل (دحح) لا (ندح)، وإن كنت أرى أن النون أصلية لوجود كلمة (مندوحة) وهي على وزن (مفعولة)، وهو

وزن خاص بالثلاثي، فعليه يكون الأصل (ندح).

ويبدو لي أن الفعل (دحَّ) نشأ من (اندحَّ) عن طريق القياس الخاطئ، وذلك في قياس (اندحّ) على أمثال (انردَّ) وذلك لوجود الشبه اللفظي بينهما، فالثلاثي في انردَّ هو ردَّ، وعليه ظُنَّ أن اندحَّ مثلها، فأنتج ابن اللغة فعلا ثلاثياً منها هو (دحَّ)، والأصل هو ندحَ.

انْردَّ ← ردَّ

انسدَّ ← سدَّ

اندحَّ ← دحَّ

المحور الرابع: الاستعمال

للاستعمال دور كبير في إصدار الأحكام الخاصة باللغة، فما له مشابه في الاستعمال العربي يحكم بصحته، وإلا فلا. وقد استخدم ابن بري آلية الاستعمال في الحكم على بعض أخطاء الجوهري، من ذلك ما وقع في كلمة تمعدد بمعنى تشبَّه بقوم معدَّ في خشونة عيشهم، وقد وضحنا سابقاً الخلاف فيها بين الجوهري وابن بري؛ فقد جعلها الجوهري في مادة (عدد)، وبذلك تكون الميم زائدة في بناء هذه الكلمة، وقد كان اعتراض ابن بري موجها إلى إثبات أصالة الميم، فقال: "صوابه أن يذكر تمعدد في فصل (مَعَدَ)؛ لأن الميم أصلية، وكذا ذكر سيبويه: قولهم معدّ فقال: الميم أصلية لقولهم: تمعدد الرجل، ولا يحمل على تمفعل مثل تمسكن لقلته ونزارته"(١٠٩).

فقوله: لقلته ونزارته يعني أن زيادة في مثل وزن تمفعل قليل في لغة العرب، ولا يُحمل الكلام على بناء قليل الاستعمال إذا أمكن تخريجه على القول بأصالة الميم.

المحور الخامس: أقوال العلماء السابقين:

اعتمد ابن بري في إصدار أحكامه على أقوال العلماء السابقين له، ولا سيما سيبويه الذي اعتمد عليه كثيراً كما ظهر في الاقتباس السابق، وكما يظهر في كلمة (حَنْدَقوق) التي ذكرها الجوهري في مادة (حدق)، واعترض عليه ابن بري معتمدًا على رأي سيبويه قائلًا: قال ابن بري منتقدًا الجوهري في هذا: "صَوَابُ حَنْدَقُوقَ أَن يُذْكَرَ فِي فَصْلِ حندق لأَن النُّونَ أَصلية، وَوَزْنُهُ فَعْلَلُول، قَالَ: وكذا ذكره سيبويه وَهُوَ عِنْدَهُ صِفَةٌ"(١١٠).

الخاتمة والنتائج:

توصلت الدراسة في بحث ما وضع في غير بابه إلى ما يأتي:

١-يُشَكِّل التوهم السبب الأبرز في وضع بعض الألفاظ في غير موضعها، وذلك

بسبب الاعتماد على المشابهة الشكلية التي تؤدي إلى القياس الخاطئ، وللتوهم هنا أكثر من شكل؛ منه توهم الأصليّ زائداً ومنه توهم الزائد أصلياً، يضاف إلى ذلك الخطأ في تقدير حروف أصل الكلمة.

٢- للوزن الصرفي دور كبير في وقوع التوهم والقياس الخاطئ؛ وذلك لأن بعض الألفاظ قد تتشابه شكلًا مع بعض الأوزان فيقع الوهم، من ذلك وزن (انفعل) فيما فاؤه نون، ومنه ما بدأ بميم أصلية والميم تكثر زيادتها في أول الكلمة العربية.

٣- اعتمد ابن بري مجموعة من الآليات في الوقوف على أخطاء الجوهري في ما وُضِعَ في غير بابه وذلك كالتصريف والاشتقاق واللهجات والاستعمال والمعنى وأقوال العلماء.

٤- أدَّت ظاهرة ما وضع في غير بابه إلى وضع بعض الألفاظ في موضعين (الموضع المتَوَهَّم والموضع الصحيح) في المعاجم المتأخرة كلسان العرب وتاج العروس؛ وذلك لأن هذه المعاجم تأخذ عن المعاجم السابقة لها.

الهوامش:

(١) لم يُطبع هذا الكتاب كاملا لأن مخطوطته ناقصة بحسب زعم محققه، وما هو موجود منه مجلدان ينتهيان بمادة (وقش) إلا أن هذا الكتاب مُضَمَّنٌ كاملا في معجم لسان العرب فهو أحد الكتب الخمسة التي اعتمد عليها ابن منظور في تصنيف معجمه، لذا فإن مادة هذا البحث التي تعتمد على أقوال ابن بري مأخوذة من كتاب ابن بري حتى مادة وقش، أما ما جاء بعد هذه المادة فمأخوذ من نقول ابن منظور عن ابن بري.

(٢) انظر: نص هذا الأثر عند أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ، وأقواله على أبواب العلم، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م، ١/ ٢١٦.

(٣)العجاج: ديوان العجاج برواية عبدالملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عبدالحفيظ السلطي، مكتبة أطلس، دمشق ١٩٧١م، ٢/ ٢٨١.

(٤) انظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: **لسان العرب**، دار صادر–بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، مادة (عدد)، ٣/ ٢٦-٢٨٧.

(٥) انظر أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، مادة (عدد) ٢/ ٥٠٦. وانظر رأي سيبويه في الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون،

مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٤/ ٣٠٨.

(٦) ابن بري، **التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح**، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، مراجعة: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٨١م،٢/ ٣٨.

(٧) انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة عدد، ٣/ ٢٨٧.

(٨) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، مادة (عدد) ٢٩٨.

(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عدد) ٣/ ٢٨٦-٢٨٧، ومادة (معد) ٣/ ٤٠٧.

(١٠) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة (عدد) ٨/ ٣٥٨، ومادة (معد)٩/ ١٨٠.

(١١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة معد ٢/ ٦١.

(١٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي**، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، مادة معد، ٢/ ٦٦٥.

(١٣) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، مادة معد، ٢/ ١٥٤.

(١٤) انظر: محمد عبدو فلفل، **التوهم أو القياس الخاطئ في الدرس اللغوي عند العرب قديماً وحديثاً**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٥٩، السنة٢٤، تموز/ كانون الأول، ٢٠٠٠م، ص١٤١.

(١٥) انظر: عبدالعزيز مطر، **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، دار المعارف، الطبعة ٢، ١٩٨١م، ص٣٣٥-٣٣٦.

(١٦) انظر: محمد عبدو فلفل، **التوهم أو القياس الخاطئ** ١٤٦.

(١٧) انظر: ابن خالويه، **اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، المكتبة الثقافية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٩، النحاس، **اعراب القرآن**، تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م، ١/ ٦٠٠، ابن المؤدب، **دقائق التصريف**، تحقيق: أحمد ناجي القيسي وآخرين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م، ص٢٧٨.

(١٨) ابن عصفور، **الممتع في التصريف**، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ١/ ٣٤٠.

(١٩) الجوهري، **الصحاح**، مادة (حبطأ) ١/ ٤٤.

(٢٠) ابن بري، **التنبيه والإيضاح**، ١/ ١١.

(٢١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨ هـ) **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية -

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م، ٣/ ٢٤٦.

(٢٢)**المصدر السابق**.

(٢٣) الخليل، **العين** ٣/ ٣٣٤.

(٢٤) الأزهري، **تهذيب اللغة** ٥/ ٢١٤.

(٢٥) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٣٧.

(٢٦) ابن منظور، **لسان العرب** ١/ ٥٧-٥٨.

(٢٧) الزبيدي، **تاج العروس** ١/ ١٨٦.

(٢٨) أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق، عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ٣/ ١٥٣٨.

(٢٩) الجوهري، **الصحاح** ١/ ٤٦.

(٣٠) ابن بري، **التنبيه** ١/ ١٣.

(٣١) انظر: الخليل، **العين** ٤/ ٢٩٦، وابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م. ٢/ ٢٤٦، والأزهري، **تهذيب اللغة** ٧/ ٢١٣.

(٣٢) انظر: ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم** ٥/ ٢٣١، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٣٩.

(٣٣) انظر: ابن منظور، **لسان العرب** ١٤/ ٢٢٣، والزبيدي، **تاج العروس**٣٧/ ٥٣٥.

(٣٤) انظر: ابن منظور، **لسان العرب** ١/ ٦٣، والزبيدي، **تاج العروس** ١/ ٢٠٧.

(٣٥) الجوهري، **الصحاح** ١/ ٩١.

(٣٦) ابن بري، **التنبيه** ١/ ٤٥.

(٣٧) انظر: الخليل، **العين** ٨/ ١٢٥، والأزهري، **تهذيب اللغة** ١٤/ ٢٠٦، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٦٢، والزبيدي، **تاج العروس**: ٢/ ٧٦.

(٣٨) انظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة** ١/ ٣٦٤، وابن سيده، **المحكم** ٩/ ٥٥٣، وابن منظور، **لسان العرب** ١/ ٢٣٢.

(٣٩) الجوهري، **الصحاح** ٤/ ١٤٥٦.

(٤٠) انظر: الخليل، **العين**، باب الرباعي من باب الحاء والقاف ٣/ ٣٢٤، الأزهري: **تهذيب اللغة** ٥/ ١٩٧، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٨٧٧، ابن منظور، **لسان العرب** ١٠/ ٧١، الزبيدي، **تاج العروس** ٢٥/ ٢٠٦.

(٤١) ابن منظور: **لسان العرب** ١٠/ ٧١ مادة حندق. وانظر رأي سيبويه في الكتاب ٤/ ٢٩٢.

(٤٢) الجوهري، **الصحاح** مادة قلحم ٥/ ٢٠١٥، وانظر مادة (قلح) ١/ ٣٩٧ حيث فصل فيها القول.

(٤٣) ابن بري، **التنبيه** ١/ ٢٦٤.

(٤٤)**المصدر السابق** ٢/ ١٨٨.

(٤٥) انظر: الخليل، **العين** ٥/ ٢٥١-٢٥٢، وابن دريد، **جمهرة اللغة** ٢/ ١١٥١، والأزهري، **تهذيب اللغة** ٩/ ٢٩٣، وابن سيده، **المحكم** ٦/ ٦١٣-٦١٤، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٤٦٦، وابن منظور، **لسان العرب** ٥/ ١١٧-١١٨، والزبيدي، **تاج العروس** ١٣/ ٤٨١.

(٤٦) العجاج، **ديوان العجاج برواية الأصمعي وشرحه** ١/ ٤٨٠. وروايته في الديوان باستخدام (قِنَّسْرِيّ)

(٤٧) الجوهري، **الصحاح** ٢/ ٧٩١.

(٤٨) انظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة** ٢/ ١١٤٣، الأزهري، **تهذيب اللغة** ٥/ ١٩٦، ابن سيده، **المحكم** ٤/ ٤٥، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٢٣٧، ابن منظور، **لسان العرب** ١٢/ ٤٩١، الزبيدي، **تاج العروس** ٣٣/ ٢٩٤.

(٤٩) انظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة (دحح) ٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٥٠) ابن بري، **التنبيه** ١/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٥١) الأزهري، **تهذيب اللغة** ٣/ ٢٧١ و ٢٧٢.

(٥٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة** ٢/ ٢٦٥.

(٥٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٢١٧.

(٥٤)**المصدر السابق،** ص٢٤٤.

(٥٥) ابن منظور، **لسان العرب** ٢/ ٤٣٣-٤٣٤، والزبيدي، **تاج العروس** ٦/ ٣٥٩.

(٥٦) ابن منظور، **لسان العرب** ٢/ ٦١٣، والزبيدي، **تاج العروس** ٧/ ١٦٩.

(٥٧) الجوهري، **الصحاح** ٤/ ١٥٥٨.

(٥٨) ابن منظور، **لسان العرب** مادة نبق ١٠/ ٣٥١.

(٥٩) **المصدر السابق،** مادة ندل ١١/ ٦٥٥.

(٦٠) الجوهري الصحاح ٥/ ١٨١٧.

(٦١) ابن منظور، **لسان العرب** ١١/ ٦٢.

(٦٢) الجوهري، **الصحاح** ٢/ ٤٤١.

(٦٣) ابن بري، **التنبيه** ٢/ ٦.

(٦٤) انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة** ١٣/ ٢٩، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ١٢٩٤، الزبيدي، **تاج العروس** ٣٨/ ٢٥٥.

(٦٥) ابن فارس، **مجمل اللغة** ١/ ٩٦.

(٦٦) ابن فارس، **مقاييس اللغة مادة أسد** ١/ ١٠٦.

(٦٧) انظر: الخليل، **العين** ٥/ ٣٨٠، ابن دريد، **جمهرة اللغة** ٢/ ٩٨١، الجوهري، **الصحاح** ٤/ ١٦١١، ابن فارس، **مجمل اللغة** ٨٤١.

(٦٨) ابن منظور، **لسان العرب** مادة ملك ١٠/ ٤٩٦.

(٦٩) انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة** ١٠/ ٢٠٢.

(٧٠) انظر: ابن سيده، **المحكم** ٧/ ٥٨ و ٧/ ٨٩، ابن منظور، **لسان العرب** ١٠/ ٣٩٤ و ١٠/ ٤٩٦، الزبيدي، **تاج العروس** ٢٧/ ٥٠-٥١ و٢٧/ ٣٥٤.

(٧١) انظر: الخليل، **العين** ٥/ ٣٨٠، الجوهري، **الصحاح** ٤/ ١٦١١، ابن سيده، **المحكم** ٧/ ٨٩.

(٧٢) الخليل، **العين** ٥/ ٣٨٠-٣٨١. وانظر **الشاهد في اللسان** ١٠/ ٤٩٦، **والتاج** ٢٧/ ٣٥٤ (ملك) ورواية العجز فيهما: (تنزل من جو السماء يصوب). وقد نسب البيت في اللسان إلى رجل من عبد القيس يمدح بعض الملوك، أو إلى (أبي وجزة) في رواية السيرافي يمدح به عبدِاللَّه بنِ الزُّبَيْر. ونسب في التاج إلى (علقمة بن عبدة)، في رواية الكسائي يمدح به الحارث بن جبلة بن أبي شمر.

(٧٣) ابن سيده، **المحكم** ٧/ ٨٩.

(٧٤) الجوهري، **الصحاح** ٤/ ١٦١١.

(٧٥) الجوهري، **الصحاح** ١/ ٩٢ مادة توب.

(٧٦) ابن بري، **التنبيه** ١/ ٤٥-٤٦.

(٧٧) ابن سيده، **المحكم** مادة تبه ٤/ ٢٨٢.

(٧٨) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** مادة تاب ٦٢.

(٧٩)ابن منظور، **لسان العرب**، مادة تبت ٢/ ١٧.

(٨٠) الجوهري، **الصحاح مادة حوب** ١/ ١١٧.

(٨١) ابن بري، **التنبيه** ١/ ٧٠.

(٨٢) انظر على الترتيب: ابن سيده، **المحكم** ٣/ ٤١١، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٧٠، ابن منظور، **لسان العرب** ١/ ٢٨٨، الزبيدي، **تاج العروس** ٢/ ٢١١.

(٨٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة** ١/ ٢٨٦.

(٨٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة** ٢/ ٤٥.

(٨٥) يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٥/ ٢٦٩.

٨٦ الجوهري، **الصحاح** ٤/ ١٤٣٧.

(٨٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة نوف ٩/ ٣٤٣.

(٨٨) ابن منظور، **لسان العرب** ٩/ ٣٤٣. لم أهتدِ إلى رأي ابن جني في كتبه ولكنني وجدت قوله: "وأنا أرى أن تنوف ليست فعولًا؛ بل هي تفعل من النوف، وهو الارتفاع. سميت بذلك لعلوها. ومنه أناف على الشيء إذا ارتفع عليه والنيف في العدد من هذا هو فَيعَل بمنزلة صيب وميت. ولو كسرت النيف على مذهب أبي الحسن لقلت: نياوف، فأظهرت عينه". أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ٣/ ١٩٥.

(٨٩) الخليل، **العين** ٨/ ٣٧٦.

(٩٠) ابن فارس، **مقاييس اللغة** ٥/ ٣٧٥، **ومجمل اللغة** ٨٥٠.

(٩١) انظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة** ٢/ ٩٧٢، ابن سيده، **المحكم** ١٠/ ٥١٧، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** ٨٥٨، ابن منظور، **لسان العرب** ٩/ ٣٤٢، الزبيدي، **تاج العروس** ٢٤/ ٤٤٣.

(٩٢) ابن سيده، **المحكم** ١٠/ ٥١٧.

(٩٣) الجوهري، **الصحاح** ٦/ ٢٣٧٢.

(٩٤) ابن منظور: لسان العرب، ستي ١٤/ ٣٧١.

(٩٥) انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة** ١٤/ ٢٥٣، ابن سيده، **المحكم** ٩/ ٥٤٧، الفيروزآبادي ١٢٥٨، ابن منظور، **لسان العرب** ١٤/ ١٦، الزبيدي، **تاج العروس** ٣٧/ ٣٧.

(٩٦) الجوهري، **الصحاح** ٦/ ٢١٥٩.

(٩٧)**المصدر السابق**، ٦/ ٢١٥٢.

(٩٨)**المصدر السابق**، ٢/ ٨٥٦.

(٩٩)**المصدر السابق**، ٢٢٦.

(١٠٠) انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة صفن ١٣/ ٢٤٩، ومادة طين ١٣/ ٢٧٠، ومادة برن ١٣/ ٥٠.

(١٠١) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ١٢١١.

(١٠٢) ابن منظور، **لسان العرب** ١٣/ ٢٤٩.

(١٠٣) الزبيدي، **تاج العروس**، ٣٥/ ٣١٣-٣١٤.

(١٠٤) الجوهري، **الصحاح** ١/ ٩٢.

(١٠٥) ابن منظور، **لسان العرب** مادة توب ١/ ٢٣٣.

(١٠٦) ابن بري، **التنبيه**، ١/ ٤٦.

(١٠٧) **المصدر السابق**، ١/ ٢٣٣.

(١٠٨) ابن منظور، **لسان العرب** مادة دحح ٢/ ٤٣٣.

(١٠٩) ابن بري، **التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح**، ٢/ ٣٨.

(١١٠) ابن منظور، **لسان العرب**، ١٠/ ٧١ مادة حندق. وانظر رأي سيبويه في الكتاب ٤/ ٢٩٢.

درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان

د. عبدالعزيز عطاالله مد الله المعايطة * الباحثة حسناء بنت سعيد بن حمدان الحجرية**

تاريخ وصول البحث: ٦/ ٣/ ٢٠١٧م تاريخ قبول البحث:١٤ / ٦/ ٢٠١٧م

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان، وكذلك التعرف إلى أي مدى تختلف درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين افراد العينة تعزى لمتغير الجنس والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة، ولتحقيق اهداف الدراسة استخدم المنهج الوصفي بتطبيق الاستبانة كأداة لجمع البيانات على عينة عشوائية بلغت (١٠٨) من المعلمين والمعلمات في محافظة شمال الشرقية خلال العام الدراسي ٢٠١٥م/ ٢٠١٦م. وقد اشتملت أداة الدراسة على (٣٢) فقرة تتوزع على محورين (درجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران، ومعوقات تطبيق الإشراف بالأقران). وجاءت نتائج الدراسة على النحو الآتي: إن درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين أنفسهم بالنسبة للمجموع الكلي كانت متوسطة.

وبينت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين الذكور والإناث في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان لطريقة الإشراف بالأقران لصالح الإناث، بينما لا توجد فروق دالة إحصائياً في درجة الممارسة والمعيقات بالنسبة لبقية المتغيرات: (المؤهل، وسنوات الخبرة).

وأوصت الدراسة بضرورة العمل على نشر ثقافة الإشراف بالأقران في الميدان التربوي مع ضرورة تقديم البرامج التدريبية المناسبة التي تتناول مفاهيم الإشراف التربوي بالأقران وآليات تفعيله وتطبيقه بهدف رفع درجة ممارسة المعلمين لهذه الطريقة.

* أستاذ مساعد ، قسم التربية والدراسات الإنسانية، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى-عُمان.

** باحثة، قسم التربية والدراسات الإنسانية، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى-عُمان.

Abstract

The study aims at identifying the degree of practicing the second cycle's teachers of basic education for peer supervision and its barriers of application from their point of view in the north-eastern province in Oman.

The study also aims to identify the extent to which teachers' peer supervision vary at the level of significance (α <_ 0,05) among the sample individuals, which is attributed to the variables of gender, qualifications, and years of experience. To achieve the objectives of the study, the descriptive approach was used by applying the questionnaire as an instrument to collect data on a random sample of 108 male and female teachers in the north-eastern province during the academic year 2015/2016. The questionnaire included (32) items distributed to two parts (the degree of teachers' peer supervision, and obstacles relevant to applying peer observation). The results of the study showed that the degree of teachers' practice at the second cycle schools for basic education in the north-eastern province of peers' supervision method from the point of view of teachers themselves to the total was mean.

The study also shows statistically significant differences at the level of significance (α <_ 0,05) between males and females regarding the degree of teacher practice at schools of the second cycle of basic education in the north-eastern province of the supervision method by peers in favor of females, while there are no statistically significant differences in the degree of practice and obstacles for the rest of the variables (qualification, years of experience). The study recommended the need to disseminate the culture of peer supervision in the field of education providing appropriate training programs dealing with the concepts of educational peer supervision and mechanisms of activation and its application in order to upgrade teachers' practice of this method.

المقدمة:

يعدّ أسلوب الإشراف بالأقران من الأساليب التي تساعد على تقوية علاقات المعلمين مع بعضهم البعض وتبادل الخبرات والتجارب فيما بينهم، ويعمل على تشجيع الأكفاء منهم ويحفزهم على بذل جهود متميزة أمام زملائهم، وقد ثبت أن المعلمين يتعلمون من بعضهم البعض الكثير من المعارف والخبرات التي تسود بينهم، غالباً ما تشجعهم على تبادل الرأي ووجهات النظر إزاء المشكلات التي يواجهونها.

ومن كبرى اهتمامات القائمين على التربية والتعليم تطوير العملية التعليمية التعلمية بداية من رسم السياسات التربوية وصنع القرار إلى التنفيذ في الميدان، وقد قطع الميدان التربوي بسلطنة عمان شوطاً لا بأس به في تطوير وتحديث العملية التربوية، وذلك لأهمية التربية والتعليم في صياغة المستقبل والتأثير به[١]، حيث أشار حسين وعوض الله[٢] إلى أن النظام التربوي في المجتمعات الحديثة يسهم بدور فعال في بناء وتحقيق أهداف تلك المجتمعات وتطلعاتها المستقبلية.

وعليه فإن ذلك يتطلب توافر عدة عوامل يأتي في مقدمتها الاهتمام بالمعلم والذي يعدّ من أهم الأركان الأساسية التي تقوم عليها العملية التعليمية التعلمية، ولقد تنوعت الجهود المبذولة نحو تطوير الموقف الصفي التي شملت جميع الجوانب، ومن أهمها التطوير المهارى لمقدرة المعلمين وذلك من خلال الاهتمام بالإشراف التربوي باعتباره الأنسب في تطوير المعلم وتنميته[٣].

إن تفعيل الإشراف التربوي أصبح مطلباً ملحاً لتطوير أداء المعلمين وتحسينه باعتباره ممارسة قبل أن يكون علماً أساسه البحث عن الأساليب والاتجاهات التي يمكن من خلالها تعديل المواقف الصفية وتحسين الأداء[٤].

وفي هذا السياق أخذ الباحثون يستكشفون بدائل أخرى للإشراف التقليدي من شانها التغلب على جوانب القصور في الأنظمة الإشرافية من أشكال وأدوار، إضافة إلى نفور المعلمين من النظام القائم على التقويم وتوفير المساعدة المطلوبة لهم[٥]، وترى سوليفان وجلانز[٦] إن الإشراف في القرن الحادي والعشرين يتطلب تعزيز العلاقات التعاونية بين الزملاء، والمشاركة في صنع القرار، والتفكير التأملي، والإشراف الذاتي، والعمل بروح الفريق، وتمكين المعلمين، وتفعيل دور المدرسة، والتركيز على العمل

الجماعي بين المعلمين داخل المدرسة، والإفادة من الإمكانات المتوفرة لديهم لتقديم المساعدة المهنية لأقرانهم. وأن التوجه لإعداد المعلمين وتأهيلهم تأهيلاً عالياً ومتقدماً تتزايد في معظم البلدان، حيث أصبح المعلم مصدراً ثرياً للإنماء المهني، غير أن تلك المصادر لا تستغل الاستغلال الأمثل في الميدان[٧].

ويرى القاسم[٨] أن أساليب الإشراف التربوي تطورت بحيث أصبحت أقدر على النهوض بالعملية التربوية، وأصبح الإشراف عملية تعاونية يشارك فيه المعلم بصورة إيجابية فعالة في جميع مراحله بداية بوضع الأهداف والتخطيط لها مروراً بالتنفيذ وانتهاء بالتقويم والتغذية الراجعة. ويؤدي المشرف التربوي عمله بأساليب فردية وجماعية كثيرة ومتنوعة، مثل: الزيارات الصفية، الاجتماعات، الدروس التطبيقية، الندوات التربوية، النشرات الإشرافية، والإشراف بالأقران، ولكل أسلوب من هذه الأساليب أهداف واستخدامات وطرق تنفيذ.

إن هذا التطور أدى إلى تغييرات عديدة وسريعة في أدوار الإشراف التربوي، فبذلت العديد من الجهود لتحسين الإشراف، وإيجاد بديل للممارسات الإشرافية السائدة فظهرت فكرة نمط الاشراف بالأقران في فترة كان يسودها عدم الرضا عن الممارسات الإشراقية في المدارس، كما أن تدريب المعلمين أثناء الخدمة لم يحقق النجاح المتوقع، لذلك فإن المعلمين يحتاجون إلى المساعدة داخل الفصول، ومن أهم الأسباب التي أدت لفشل عمليات الإصلاح السابقة عدم التعاون من قبل جميع المعنيين بالعملية التربوية[٩]، وتشير الأدبيات التربوية أن مفهوم الإشراف بالأقران ورد بمسميات كثيرة، وهي (الإشراف من قبل الزملاء، التدريب من قبل الزملاء، الملاحظة من قبل الزملاء، تدريب الرفاق، تقييم الرفاق، تدريب الأقران، النمو المهني المشترك)[١٠].

ويعتبر الإشراف بالأقران هو أفضل نماذج الإشراف لما له من مميزات عديدة، تؤدي إلى تحسين معنويات المعلمين وزيادة فاعليتهم، وهو أكثر مصادر النمو المهني التعاوني فائدة، حيث أن لهذا النوع من الإشراف أثراً كبيراً على النمو المهني للمعلم واكتسابه لمهارات تدريسية جديدة، وتقوية الاتصال بين الزملاء وتشجيعهم على التجريب وتحسين أساليب التدريس[١١].

ولهذا الأسلوب مجموعة من جوانب القصور لعل أهمها أن بعض المعلمين غير

المؤهلين أو المدربين لن يستطيعوا القيام بعملية إشرافية تقويمية عالية المستوى كالتي يقوم بها المشرفون التربويون أو المدربون تدريباً جيداً، ويعتبر هذا النوع من الاشراف مكلفاً، فالمعلمون يجب عليهم التفرغ لزيارة بعضهم بعضاً أثناء التدريس، كم توجد بعض العوائق التنظيمية تجعل منه أمراً ليس سهلاً، وتجعل فرص نجاحه قليلة[١٢].

وفي سلطنة عمان بدأ الوعي يتزايد بالإمكانات المتوفرة لدى المعلمين وضرورة توظيف تلك الإمكانات، فتم استحداث نظام المعلم الأول كمشرف مقيم وذلك ضمن الاهتمام والحرص على النمو المهني للمعلمين الذي يتم من خلال الجمع بين الأشكال الإشراقية المختلفة المباشرة (الحلقات الدراسية، الدروس التطبيقية، الزيارات الصفية) وغير المباشرة، النشرات التوجيهية، أوراق العمل[١٣].

وعلى الرغم من أهمية نموذج الإشراف بالأقران وانتشاره في العديد من دول العالم والدول العربية إلا أنه لم يحظ بالكثير من الاهتمام باعتبار أنه بديل لأنظمة الاشراف القائمة. وفي سلطنة عمان بالذات من خلال الاطلاع على الدراسات التي تناولت هذا النوع من الإشراف اتضح أنها قليلة جداً، وكذلك توجه وزارة التربية والتعليم المتمثلة في المديرية العامة لتنمية الموارد البشرية لتبني نموذج التدريب المتمركز حول المدرسة، وكذلك برامج الانماء المهني التي تنظمها المدارس قبل بداية الدوام الفعلي للطلبة والتي يعتبر الإشراف بالأقران أحد أشكالها[١٤]، هذا ما دفع الباحثين للقيام بهذه الدراسة لتحديد درجة ممارسة هذا النوع من الإشراف في مدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي ومعرفة المعوقات التي تحول دون تفعيله بالشكل المطلوب.

مشكلة الدراسة:

أثارت العديد من الدراسات المحلية في سلطنة عمان مثل دراسة المنوري[١٥]، والراسبي[١٦]، والعربية، مثل دراسة العمرات والقمول[١٧]، إلى وجود ضعف في أداء المشرفين التربويين الوظيفي في تحسين أداء المعلمين، وأن ممارسات المشرفين التربويين لا تنسجم من دور الإشراف التربوي الحديث، وهذا ما يؤثر سلباً على أداء المعلم المهني بشكل خاص والطلاب والعملية التعليمية بشكل عام، ويظهر ذلك الضعف في عدم استخدام الأساليب الإشرافية الحديثة التي تسهم بشكل فعال في تحسين الأداء المهني للمعلمين والاقتصار

على بعض الأساليب الإشرافية مثل الإشراف بالأقران.

إن العديد من البحوث التربوية أوضحت دور المدرسة الهام في التنمية المهنية للمعلمين حيث تغلب على دور مراكز التدريب، وإن برامج التنمية المهنية التي تنبع من المدرسة هي الأفضل حيث تركز على الاحتياجات الفعلية للمعلمين، وأن الدور الذي تقوم به مراكز التدريب غير كافٍ، حيث يصعب على المعلمين نقل أثر التدريب إلى مدارسهم بسبب التركيز على الجانب النظري أكثر من الجانب العملي، وهذا ما دعا إلى استحداث بدائل ومنها تطبيق الإشراف بالأقران، لما له من أهمية في رفع كفاءة المعلمين كما أوضحت أغلب الدراسات.

حيث توصلت دراسة المنوري[١٨] إلى وجود فجوة بين ما هو مثالي، وبين ما هو مطبق في المدارس، من حيث إجراءات تنظيم برامج إشراف الزملاء تعود إلى قلة الخبرة بالنموذج، وفي الإطار ذاته جاءت دراسة العمرات والقمول[١٩]، لتبين أن أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم والتزامهم ورغبتهم في التعاون جاء بدرجة متوسطة، وكذلك فقد بينت دراسة الراسبي[٢٠]، أن درجة توافر متطلبات تطبيق تدريب الزملاء جاءت بدرجة متوسطة.

لذا جاءت هذه الدراسة لتبحث عن موضوع الاشراف بالأقران من حيث درجة ممارسته بشكل فعلي في مدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان، وتتبلور مشكلة الدراسة بالإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران، ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.5$) بين أفراد العينة في تقدير درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان تعزى لمتغير (الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة)؟

٣- ما المعوقات التي تواجه المعلمين في مدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان في تطبيق الإشراف بالأقران من وجهة نظرهم؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان.
- الوقوف على المعيقات التي تقف دون تفعيل الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين.
- تقديم إجراءات مقترحة لتفعيل الإشراف بالأقران في مدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي.
- التعرف إلى أي مدى تختلف درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران باختلاف الجنس والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة التعرف على درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للإشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان، وتنبثق من هذه الدراسة أهمية نظرية وأخرى عملية كما يأتي:

١- الأهمية النظرية:

تعد هذه الدراسة إضافة إلى الدراسات التي تناولت درجة ممارسة الإشراف بالأقران وتضاف هذه الدراسة إلى الدراسات العلمية التي اهتمت بتحديد دور الإشراف من قبل الأقران، ومن المأمول أن تساعد هذه الدراسة في تكملة ما قد غفلت عنه الدراسات التي تناولت هذا المجال.

٢- الأهمية العملية:

من خلال الإطار النظري والدراسة الميدانية فإنه من المؤمل أن تتوصل الدراسة إلى نتائج وتوصيات تساعد المسؤولين والقائمين على إدارة التعليم في محافظة شمال الشرقية في قياس درجة ممارسة الإشراف بالأقران بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي، وهذا مطلب عملي مهم قد تسهم فيه هذه الدراسة.

حدود الدراسة:

أولاً: الحد الموضوعي: اقتصرت الدراسة على:

- تحديد أهم نقاط القوة والضعف في درجة ممارسة الإشراف التربوي بالأقران في الجوانب الآتية:

أ- درجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران.

ب- معوقات تطبيق الإشراف بالأقران.

- رصد سبل تطوير أساليب الإشراف التربوي (الإشراف بالأقران) في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان.

ثانياً: الحد المؤسسي: طبقت الدراسة على معلمي ومعلمات الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان.

ثالثاً: الحد البشري: أجريت الدراسة على المعلمين والمعلمات في مدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان.

رابعاً: الحد المكاني: اقتصرت الدراسة على مدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بأربع ولايات: (القابل، وبدية، وإبراء، والمضيبي).

خامساً: الحد الزماني: تم إجراء الدراسة الميدانية في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠١٥/ ٢٠١٦م.

مصطلحات الدراسة:

- الإشراف بالأقران:

أ- وتعرفه الراسبي[٢١]، بأنه ممارسة مهنية بين معلمين اثنين أو أكثر أساسها الثقة والرغبة في تبادل الخبرة أو تعلم مهارة تدريسية جديدة من أجل التطوير والتحسين في الممارسات الصفية، تستخدم في ذلك آليات مختلفة كالملاحظة، وتبادل الزيارات، وتقديم الدروس المنمذجة، تتم بعدها المناقشات والتأملات وإجراءات التفسيرات لبناء مهارات جديدة، في إطار من الدعم المعنوي غير المباشر من إدارة المدرسة والمشرفين.

ب- وفي ضوء ذلك يمكن تعريفه إجرائياً إلى تطوير أداء المعلمين وصقل مهاراتهم وتحسين اتجاهاتهم نحو العملية التعليمية التعلمية، ويعتمد بشكل أساس على التعاون والثقة بين المعلمين والرغبة في النمو المهني المشترك.

- التعليم الأساسي:

أ-تعليم موحد توفّره الدولة لجميع أطفال السلطنة ممن هم سن المدرسة مدته عشر سنوات، يقوم على توفير الاحتياجات التعليمية الأساسية في المعلومات والمعارف والمهارات وتنمية الاتجاهات والقيم التي تمكن المتعلمين من الاستمرار في التعليم والتدريب وفقاً لميولهم واستعدادهم وقدراتهم التي يهدف هذا التعليم إلى تنميتها لمواجهة تحديات وظروف الحاضر وتطلعات المستقبل، في إطار التنمية المجتمعية الشاملة[٢٢].

ب- ويعرف الباحثان التعليم الأساسي إجرائياً من خلال هذه الدراسة بأنها المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم، والتي تضم الحلقة الأولى بصفوفها من الأول وحتى الرابع والحلقة الثانية بصفوفها من الخامس وحتى العاشر.

ثانياً: الدراسات السابقة:

أجرت عساف[٢٣] دراسة بعنوان "**دور إشراف الزملاء في تنمية التطور المهني للمعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهات نظر المعلمين والمعلمات فيها**". هدفت الدراسة التعرف إلى دور إشراف الزملاء في تنمية التطور المهني للمعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهات نظر المعلمين والمعلمات فيها، ومعرفة الاختلاف في وجهات النظر حسب متغيرات عدة، واستخدمت المنهج الوصفي بالاستعانة باستبانة لجمع المعلومات تكونت من (٦٢) فقرة موزعة على سبعة مجالات. وتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ومعلمات المدارس التابعة لوكالة الغوث والبالغ عددهم (٩٧٧) معلماً ومعلمة. وتم اختيار العينة بالطريقة الطبقية العشوائية على متغير موقع المدرسة، وتكونت من (٣٤٠) معلماً ومعلمة. واظهرت نتائج الدراسة أن دور اشراف الزملاء في تنمية التطور المهني للمعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهات نظر المعلمين والمعلمات فيها جاء مرتفعا، وإن إشراف الزملاء يساهم في تحقيق النمو المهني للمعلمين في عدة مجالات منها: التخطيط، وتنفيذ الدروس، والتقويم. كما بينت الدراسة عدم وجود فروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة نحو دور إشراف الزملاء في تحقيق النمو المهني للمعلمين على الدرجة الكلية تعزى لمتغيرات: الجنس، المؤهل العلمي، والخبرة، ونوع الكلية، ومكان السكن، فيما أشارت إلى وجود فروق تعزى لمتغير موقع المدرسة لصالح محافظتي الأغوار ونابلس. كما أوصت الدراسة بضرورة تفعيل استخدام إشراف الزملاء في العملية الإشرافية بشكل يخدم أهداف العملية التعليمية، والعمل على تدريب المعلمين على إشراف الزملاء وضوابطه وقيوده.

وقام العمرات والقمول[٢٤] بإجراء دراسة بعنوان (**إشراف الأقران على ثقة**

المعلمين وفاعليتهم والتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة).

هدفت الدراسة إلى تعرف درجة أثر اشراف الأقران على ثقة المعلمين وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة من وجهة نظر المعلمين فيها. واستخدمت استبانة مكونة من (٤١) فقرة موزعة على سبعة مجالات لجمع المعلومات، وقد تم التأكد من صدقها وثباتها. وطبقت عينة عشوائية مكونة من (١٥١) معلماً ومعلمة، وقد بينت النتائج أن أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة جاء بدرجة متوسطة، كما أظهرت النتائج فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير المؤهل العلمي في مجالات: (الثقة في الإدارة، والثقة في المعلمين، والالتزام نحو المدرسة، والالتزام نحو عملية التعليم، ولصالح حملة الدبلوم فأكثر، وفروق ذات دلالة إحصائية لمتغير مستوى المدرسة في مجالات: الثقة في الإدارة، والالتزام نحو عملية التعليم لصالح المدارس الثانوية، وقد أوصت الدراسة بضرورة مشاركة المعلمين في التخطيط، والاعداد لتنفيذ أسلوب الإشراف بالأقران، وتدريب المعلمين الجدد خاصة على هذا الأسلوب.

ودراسة لند وكينيث[٢٥] بعنوان (**أثر إشراف الأقران على ممارسات المعلمين الجدد داخل الغرفة الصفية**). هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر إشراف الأقران على ممارسات المعلمين الجدد داخل الغرفة الصفية، وقد تكونت عينة الدراسة من أربعة معلمين خضعوا للتدريب على بعض المهارات والاستراتيجيات فبل القيام بالإشراف على أقرانهم من المعلمين ومن هذه المهام: مهارة اللقاء القبلي للزيارة، وجمع البيانات أثناء الزيارة الصفية، المؤتمر البعدي للزيارة، وتحليل البيانات التي جمعت أثناء الزيارة، وقد أظهرت النتائج أن التدريب كان كاف وأن إشراف الأقران قد أضاف شيئاً جديداً للمعلمين.

أجرت الراسبي[٢٦] دراسة بعنوان: "**متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الاساسي -الحلقة الثانية- بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة**"، هدفت الدراسة إلى التعرف على توافر متطلبات تدريب الزملاء بمدارس التعليم الأساسي (الحلقة الثانية) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة من وجهة نظر

مـديري المـدارس والمعلمـين الأوائـل والمعلمين، حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي بتطبيق الاستبانة كأداة لجمع البيانات على عينة عشوائية بلغت٢٨٧ من المعلمين ومديري المدارس. وقد اشتملت أداة الدراسة على خمس مجالات (ثقافة النمو المهني التعاوني، والبيئة التنظيمية للمدرسة، وإجراءات تطبيق تدريب الزملاء، وإيجابيات ومعوقات تطبيقه)، وجاءت نتائج الدراسة على النحو الآتي: تراوحت درجة توافر متطلبات تطبيق الزملاء في المجالات الخمسة بين الكبيرة والمتوسطة، وحصل مجال ايجابيات تطبيق تدريب الزملاء على أعلى نسبة، وأقل نسبة لمجال توافر البيئة التنظيمية لتطبيق تدريب الزملاء. ووجدت فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير المؤهل الدراسي لصالح حملة الماجستير، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية وفقاً لمتغير التخصص والخبرة. وجاءت المتوسطات التي تشير إلى درجة توافر المعيقات بين المتوسطة والقليلة. وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات التي تتعلق بتفعيل تدريب الزملاء وتجاوز المعيقات في جوانب ثلاث تتعلق بـ: (مديري المدارس، والمعلمين الأوائل، والمعلمين).

وقام برنس وستودن وبرين[٢٧]، بدراسة عنوانها (**استخدام إشراف الزملاء كأداة لتحسن أداء المعلم ودعم تطوره المهني وخبراته الصفية**). وهدفت الدراسة التعرف إلى استخدام إشراف الزملاء من أجل تحسين مهارات المعلمين من خلال الحوار، حيث تكونت عينة الدراسة من (٣١١) طالباً من طلبة كلية العلوم المرشحين ليكونوا معلمين في جامعة لندن البريطانية، والذين شاركوا في برنامج إشرافي من أجل مساعدة بعضهم البعض، حيث وزع عليهم استبيان كأداة للدراسة، لقياس مدى شعورهم نحو التحسين الذي طرأ عليهم نتيجة إشرافهم على بعضهم البعض، وتم من خلال أداة الدراسة جمع بيانات نوعية وكمية معا حول موضوع الدراسة.

وأظهرت النتائج أن إجراءات إشراف الزملاء له أثر إيجابي على التطور المهني للطلبة المعلمين، لأنها ساعدت على تطوير الثقة المهنية لديهم، وزودتهم باستراتيجيات تدعمهم خلال عملية الممارسة الصفية. وأوصت الدراسة على ضرورة استخدام أسلوب إشراف الأقران في البيئات التعليمية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة وعناصرها الرئيسة، تم رصد العديد من جوانب التشابه وجوانب الاختلاف بين الدراسة الحالية، والدراسات السابقة، وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: أوجه التشابه بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة يتبين بأن هذه الدراسة اتفقت مع الدراسات السابقة من حيث هدفها، حيث ركزت على نمط الإشراف بالأقران وتأثيره على أداء المعلمين، وكذلك المعوقات التي تواجه هذا النوع من الإشراف كدراسة الراسبي[٣٠]، أما من حيث عينة الدراسة فقد كانت عينة الدراسة الحالية من المعلمين والمعلمات بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، واستخدمت المنهج الوصفي والاستبانة كأداة للدراسة، وهي بذلك تتشابه مع العديد من الدراسات السابقة كدراسة العمرات والقمول[٣١]، ودراسة عساف[٣٢]، وكذلك دراسة سلادينو[٣٣]. كما تشابهت هذه الدراسة مع دراسة المنوري[٣٤] ودراسة الراسبي[٣٥] من حيث مجتمع الدراسة حيث طبقت في سلطنة عمان.

ويمكن القول أن الدراسة الحالية تشابهت مع الدراسات السابقة في نقاط جوهرية عدة منها أنها تناولت أسلوباً من أساليب الإشراف، وأنها تناولت أسلوب الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب إشرافي، وأن مجتمع الدراسة تمثل بالمعلمين فقط.

ثانياً: أوجه الاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة يتبين أن هذه الدراسة قد اختلفت مع العديد من الدراسات السابقة من حيث الهدف والغرض، حيث أن الدراسة الحالية بحثت في درجة الممارسة الفعلية لإشراف الأقران من وجهة نظر المعلمين، واقترب بعضها من موضوع هذه الدراسة بشكل جزئي مثل دراسة الشهري[٣٦]، التي ركزت على المعوقات التي تواجه عملية الاشراف التربوي ومن ضمنها أسلوب إشراف الزملاء، واختلفت مع دراسة لو[٣٧] التي ركزت على موضوع تدريب الزملاء قبل الخدمة.

واختلفت الدراسة الحالية مع بعض

كما أجرى لو(Lu)[٢٨] دراسة عنوانها (**تدريب الزملاء في فترة ما قبل خدمة المعلمين**). وهدفت الدراسة التعرف إلى التشابه والاختلاف في عملية تدريب الزملاء، واختبار الجوانب العملية والتحديات في تعليم المعلم في فترة ما قبل الخدمة. وقد بحثت الدراسة أربعة تشابهات هي: المشاركين في الدراسة، وعلاقات التدريب، وفترة التدريب، واستراتيجيات التدريب، وفي المجال المقابل تضمنت أربعة اختلافات هي: هدف تدريب الأقران، وطبيعة الخبرات المبنية على التخصص الخاص بالبرامج، وتدريب الأقران، وتأثيرات تدريب الأقران. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن تدريب الزملاء يمتاز بعدة خصائص، ويتمتع بالعديد من القيم التي تتعلق بتعليم المعلم في فترة ما قبل الخدمة، وقد تمت مناقشة الحواجز التي تعترض الإدراك الشامل لتدريب الزملاء، والتي يمكن أن تؤثر سلباً على تعليم المعلم في فترة ما قبل الخدمة، والتي تتضمن الفترة الزمنية للتدريب واستراتيجيات التدريب.

أجرى سلادينو[٢٩] دراسة عنوانها "**التعرف على أثر أسلوب إشراف الزملاء على تحسين أداء المعلم المزار**". وهدفت الدراسة إلى معرفة الأثر الذي يتركه اشراف الزملاء على المعلم المزار. وتكون مجتمع الدراسة من جميع المعلمين والمعلمات الذين يعملون في المدارس المتوسطة في جنوب شرق ولاية بنسلفانيا الأمريكية، أما عينة الدراسة فتكونت من (٨) معلمين يقوم كل منهم بزيارة صف لمعلم آخر ثلاث مرات على مدى ستة أسابيع، دون القيام بعملية تقييم للمعلم المزار. واستخدم الباحث أداتين للدراسة: الأولى استبانة وزعت على المعلمين المزارين، والثانية مقابلة مع المعلمين المزورون. وتوصلت الدراسة إلى أن أغلبية المعلمين المزارين يعتقدون أن أسلوب إشراف الزملاء يساعدهم على تحسين وتطوير أدائهم التعليمي، وعلى النمو المهني الذاتي، كما توصلت الدراسة إلى وجود جوانب متعددة تحتاج إلى تطوير أو تحسين في أداء المعلم المزار، ووجود نقص في الاتصال والتواصل بين المعلمين المزورين والإداريين، وعدم وجود فكرة ثابتة لفلسفة الإشراف بين الإداريين والمعلمين. وأوصت بضرورة تفعيل نظام إشراف الزملاء في جميع مدارس ولاية بنسلفانيا لما له من أهمية في تطوير وتحسين أداء المعلمين.

يمكن أن تحول دون تطبيقه، للتوصل إلى توصيات ومقترحات لتطويره. وبناءً عليه فإن هذه الدراسة تعتبر مرجعاً واطاراً دراسياً لدراسات وبحوث مستقبلية.

الطريقة والاجراءات:

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي، وذلك من أجل التعرف على درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران، كما هدفت للتعرف على المعوقات التي تحد من تفعيل هذا النمط من الإشراف من وجهة نظر المعلمين أنفسهم.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع المعلمين والمعلمات في مديرية محافظة شمال الشرقية للعام الدراسي (٢٠١٥-٢٠١٦م)، والبالغ عددهم حسب الإحصائيات (٥٧٠) معلماً ومعلمة.

عينة الدراسة:

تم اختيار العينة بالطريقة العشوائية البسيطة من مجتمع الدراسة حيث تكونت العينة من (١٠٨) من المعلمين والمعلمات حيث شكلت العينة نسبة (١٨,٩٪) من مجتمع الدراسة ويوضح الجدول (١) العينة حسب متغيرات الدراسة.

جدول (١): العينة حسب متغيرات الدراسة

المتغير	المستوى	العدد	النسبة	الاجمالي
الجنس	ذكور	٥١	٤٧,٢٪	١٠٨
	إناث	٥٧	٥٢,٨٪	
المؤهل	دبلوم	٢٣	٢١,٣٪	
	بكالوريوس	٦٤	٥٩,٣٪	
	ماجستير	٢١	١٩,٤٪	
سنوات الخبرة	١ - ٣	٢٥	٢٣,١٪	
	٤ - ٦	٢٣	٢١,٣٪	
	٧ فأكثر	٦٠	٥٥,٦٪	

الدراسات السابقة من حيث مجتمعها، حيث تمثل مجتمع الدراسة الحالية بالمعلمين والمعلمات بمحافظة شمال الشرقية في سلطنة عمان، بينما بحثت دراسات أخرى في دول مختلفة مثل: دراسة عساف[٣٨] فكانت في فلسطين، ودراسة العمرات والقمول[٣٩] فكانت في الأردن، والشهري[٤٠] والمزروع[٤١] في السعودية، برنس وستودن وبرين[٤٢] في لندن.

وأما أداة الدراسة الحالية، فتمثلت بالاستبانة، وهي بذلك تختلف مع المنوري[٤٣]، وسلادينو[٤٤] اللذين استخدما الاستبانة والمقابلة الشخصية كأدوات للدراسة. وكذلك اختلفت من حيث المنهج المستخدم فاستخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي، في حين أن بومان وماكروميك[٤٥] استخدما برنامجاً تدريباً تكون من مجموعتين إحداهما ضابطة والأخرى تجريبية.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في محاور عدة، من أهمها: أعطى الباحثان أفاقاً أوسع في مجال الإشراف التربوي من حيث المعرفة النظرية للموضوع كدراسة المزروع[٤٦]. وكذلك استفادت من بعض الإجراءات البحثية التي تضمنتها الدراسات السابقة، كتطوير وبلورة مشكلة البحث، وبناء أداة الدراسة وتحديد المتغيرات، وصياغة الأسئلة ومناقشة إجاباتها، وكذلك الإستفادة من النتائج والتوصيات التي تضمنتها الدراسات السابقة في بلورة نتائج الدراسة. كما نبهت الدراسات السابقة الباحثة للعديد من المراجع والكتب التي تناولت الإشراف بشكل عام والإشراف بالأقران بشكل خاص.

ما تميزت به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة:

إن الدراسة الحالية تتناول أسلوباً جديداً من أساليب الإشراف متمثلا في الإشراف بالأقران، الذي يجري العمل به حاليا في مدارس السلطنة باعتبار أن المعلم الأول مشرف تربوي مقيم ومن مهامه تنظيم الزيارات المتبادلة بين المعلمين، والاستفادة من الخبرات الموجودة داخل حدود المدرسة، حيث ركزت الدراسة الحالية على معرفة واقع الإشراف بالأقران ودرجة ممارسة هذا النوع من الإشراف بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بشكل فعلي، والوقوف على المعوقات التي

ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات الأداة قام الباحثان بتطبيقها على عينة من خارج عينة الدراسة الأصلية مكونة من (٢٥) فرداً حيث تم استخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbac Alpha)، ويوضح الجدول (٢) معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا.

جدول (٢): معامل الثبات لمحاور الأداة وللمجموع الكلي بمعادلة كرونباخ ألفا

م	المحاور	معامل الثبات	عدد الفقرات
١	درجة ممارسة المعلمين لطريقة الاشراف بالأقران	٠,٩٩٢	٢١
٢	معوقات تطبيق الاشراف بالأقران	٠,٧٨٢	١١
المجموع الكلي للفقرات		٠,٨٤٠	٣٢

يتضح من خلال الجدول السابق أن أداة الدراسة تتصف بثبات مرتفع في المحور الأول وعلى ثبات جيد في المحور الثاني وفي المجموع الكلي للأداة مما يجعلها صالحة للتطبيق في العينة الأصلية للدراسة.

متغيرات الدراسة: تكونت الدراسة من المتغيرات الآتية:

-المتغيرات المستقلة، وهي:

١- الجنس (ذكور-إناث).

٢- المؤهل العلمي (دبلوم-بكالوريوس-ماجستير).

٣- سنوات الخبرة (١-٣)- (٤-٦) - (٧ سنوات فأكثر)

-المتغير التابع: التعرف على درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران وكذلك التعرف على المعوقات التي تحد من تفعيل هذا النمط من الإشراف من وجهة نظر المعلمين أنفسهم، وذلك من خلال ما تضمنته أداة الدراسة.

المعالجة الإحصائية:

من أجل الضبط الإحصائي لأداة الدراسة ولتحليل النتائج استخدم الباحثان برنامج الرزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS) حيث تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

١- معامل كرونباخ ألفا، وذلك من أجل استخراج ثبات الأداة.

٢- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

أداة الدراسة:

قام الباحثان بعد الرجوع إلى الأدب النظري والدراسات السابقة ومن خلال الخبرة الميدانية للباحثين قاما بتطوير استبانة وذلك من أجل تحقيق أهداف الدراسة والتي هدفت التعرف على درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران[٤٧]، وكذلك التعرف على المعوقات التي تحد من تفعيل هذا النمط من الإشراف من وجهة نظر المعلمين انفسهم.

ولقد تكونت أداة الدراسة من جزئيين: **الجزء الأول** بيانات عامة عن عينة الدراسة، **والجزء الثاني** شمل فقرات الأداة المتعلقة بدرجة الممارسة وكذلك المعوقات التي تحد من تفعيل هذا النمط من الإشراف. وبلغ عدد محاور الدراسة محورين:

- **المحور الأول:** درجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران وبلغ عدد فقراته (٢١).
- **المحور الثاني:** معوقات تطبيق الإشراف بالأقران وبلغ عدد فقراته (١١) فقرة.

والجدول (٢): يوضح وصف الجزء الثاني لأداة الدراسة والذي يشتمل على محاور أداة الدراسة وعدد الفقرات في كل محور.

حيث تم استخدام التدرج الخماسي وذلك من أجل الإجابة على فقرات الاستبانة على النحو الآتي: درجة الممارسة كبيرة جداً (٥)، كبيرة (٤)، متوسطة (٣)، قليلة (٢)، وقليلة جداً (١).

صدق الأداة:

عرض الباحثان الاستبيان المكون من (٤٠) فقرة على مجموعة من المحكمين تألفت من عشرة أعضاء الهيئة التدريسية في كليات التربية بالجامعات العمانية وكذلك من المختصين في المديرية العامة للتربية والتعليم بشمال الشرقية، وقد استجاب الباحثان لآراء السادة المحكمين وقاما بإجراء مايلزم من حذف وتعديل في ضوء مقترحاتهم بعد تسجيلها في نموذج تم إعداده، وقد قُبلت الفقرات إذا وافق عليها أكثر من (٨) محكمين أي بنسبة ٨٠٪، وبذلك خرج الاستبيان في صورته النهائية ب (٣٢) فقرة.

٣- اختبار ت T-Test لعينتين مستقلتين.

٤- اختبار تحليل التباين الأحادي.

أولاً: عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

والذي نص على الآتي: ما درجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للأشراف بالأقران ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة للمجموع الكلي وكذلك بين فقرات هذا المحور، كما تم استخدام المعيار الآتي لتفسير نتائج هذا السؤال من خلال جدول (٣)، ولتحديد طول خلايا مقياس ليكرت الخماسي، تم حساب المدى (٥-١=٤)، ومن ثم تقسيمه على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخلية أي (٥÷٤=٠,٨)، وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية والجدول (٣) يبين الحدود العليا والدنيا لمقياس ليكرت الخماسي[٤٨].

جدول (٣): المعيار المعتمد في تفسير نتائج الدراسة حسب المتوسط الحسابي*

المتوسط الحسابي	درجة الممارسة
٤,٢٠-٥٠٠	كبيرة جداً
٣,٤٠- ٤,١٩	كبيرة
٢,٦٠- ٣,٣٩	متوسطة
١,٨٠- ٢,٥٩	قليلة
١,٠٠-١,٧٩	قليلة جداً

* استمد هذا المعيار من قاعدة التقريب الحسابي للأعداد الصحيحة (٥، ٤، ٣، ٢، ١)، التي تمثل تدرجات المقياس المستخدم.

واستناداً إلى ذلك فإن قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية سيتم التعامل معها لتفسير البيانات كما هو مبين في جدول (٣).

حيث يظهر الجدول (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة الدور للمجموع الكلي وكذلك بين فقرات (محور درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران) مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي.

جدول (٤): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة للمجموع الكلي وكذلك بين فقرات محور (درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران) مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي

م	الفقـــــرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة ممارسة الدور
١	يناقش المعلمون مشكلاتهم المهنية في الجلسات غير الرسمية.	٣,٩٠	١,١٦	كبيرة
٢	يعقب كل زيارة صفية اجتماع بعدي بين المعلم الزائر، والمعلم المزور للمناقشة وتقديم التغذية الراجعة.	٣,٧٧	١,٢٨	كبيرة
٣	يقوم المعلمون المتميزون بإرشاد أقرانهم.	٣,٦٨	٠,٩٩	كبيرة
٤	يهيئ مدير المدرسة المناخ المناسب لتطبيق برامج الإشراف بالأقران.	٣,٥٠	١,١٢	كبيرة
٥	يشجع المعلم الأول فعاليات الإشراف بالأقران دون التدخل المباشر.	٣,٤٨	١,٢٦	كبيرة
٦	يقوم المعلمون الاكثر خبرة بتدريب المعلمين المبتدئين.	٣,٣٣	١,٠٩	متوسطة
٧	يقدم بعض المعلمين دروسا تطبيقية في المدرسة.	٣,٣١	١,١٣	متوسطة
٨	يتبادل الأقران ذوو التخصص الواحد الزيارات الصفية فيما بينهم.	٣,٢٦	١,٢٧	متوسطة
٩	يستشير المعلمون بعضهم بعضاً في اختيار طريقة التدريس المناسبة قبل تنفيذ الدروس التطبيقية	٣,٢٥	١,٢١	متوسطة
١٠	توضع خطة الإشراف بالأقران من قبل مدير المدرسة والمعلم الأول والمشرف المختص وليس من قبل المعلمين انفسهم.	٣,٢٥	١,٣٣	متوسطة
١١	تشارك إدارة المدرسة المعلمون في حضور ومناقشة الدروس التطبيقية.	٣,٢٥	١,٢٤	متوسطة
١٢	يقوم بعض المعلمين بإعداد مشاغل وحلقات دراسية تخدم	٣,١٨	١,١٩	متوسطة

م	الفقـــــرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة ممارسة الدور
	اقرانهم.			
١٣	يجتمع المشرف التربوي أو مدير المدرسة او المعلم الأول بالمعلمين لتوضيح أهمية وأهداف أي شكل من أشكال الإشراف بالأقران قبل تنفيذه.	٣,١١	١,١٣	متوسطة
١٤	تقدم إدارة المدرسة الدعم لتنفيذ الإشراف بالأقران.	٣,١٠	١,٣١	متوسطة
١٥	تنظم إدارة المدرسة تبادل الزيارات بين المعلمين لتحقيق مهام إدارية كتقويم الأداء.	٣,٠٤	١,١١	متوسطة
١٦	يتفق كل معلمين منذ بداية العام الدراسي وحتى نهايته على تبادل الزيارات والخبرات.	٢,٩٧	١,٢٣	متوسطة
١٧	يرفع المعلمون تقارير عن نشاطات الإشراف بالأقران لإدارة المدرسة والمشرف التربوي.	٢,٩١	١,٢٢	متوسطة
١٨	يصمم الجدول المدرسي بما يساعد في تنفيذ الإشراف بالأقران.	٢,٧٤	١,٣٦	متوسطة
١٩	يسبق كل زيارة صفية اجتماع قبلي بين المعلم الزائر والمعلم المزور لتوضيح النقاط الرئيسة في الدرس.	٢,٤٣	١,٠٩	قليلة
٢٠	يتبادل الأقران من تخصصات مختلفة الزيارات الصفية.	٢,٢٨	١,٠١	قليلة
٢١	يتبادل المعلمون من مدارس مختلفة الزيارات الصفية.	٢,١٨	١,٠٢	قليلة
	المجموع الكلي	٣,١٤	٠,٨١	متوسطة

يتضح من خلال الجدول السابق أن درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين أنفسهم بالنسبة للمجموع الكلي للمحور، كانت متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣,١٤) كذلك تراوحت درجة الممارسة بالنسبة لفقرات هذا المحور بين الكبيرة والقليلة حيث تراوح المتوسط الحسابي بين

(٣,٩٠) و(٢,١٨) حيث جاء في المرتبة الأولى الفقرة (١) التي تنص على (يناقش المعلمون مشكلاتهم المهنية في الجلسات غير الرسمية)، بدرجة ممارسة كبيرة حيث حصلت على متوسط حسابي (٣,٩٠) وانحراف معياري (١,١٦) وجاء في المرتبة الثانية فقرة (٢) والتي تنص على (يعقب كل زيارة صفية اجتماع بعدي بين المعلم الزائر والمعلم المزور للمناقشة وتقديم التغذية الراجعة)، بدرجة ممارسة كبيرة أيضاً وجاء في المرتبة الثالثة فقرة (٣)، والتي تنص على (يقوم المعلمون المتميزون بإرشاد أقرانهم)، بدرجة ممارسة كبيرة وجاء في المرتبة الأخيرة فقرة (٢١) والتي تنص على: (يتبادل المعلمون من مدارس مختلفة الزيارات الصفية)، بدرجة ممارسة قليلة وجاء في المرتبة قبل الأخيرة فقرة (٢٠) والتي تنص على (يتبادل الأقران من تخصصات مختلفة الزيارات الصفية)، بدرجة ممارسة قليلة جداً، كذلك من العبارات التي نالت مرتبة قليلة الفقرة (١٩) التي تنص على (يسبق كل زيارة صفية اجتماع قبلي بين المعلم الزائر والمعلم المزور لتوضيح النقاط الرئيسة في الدرس) ونالت بقية الفقرات درجة ممارسة متوسطة وكبيرة.

وأما بخصوص مناقشة نتائج السؤال الأول، وبالرجوع إلى الجدول (٤) يتضح أن درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين أنفسهم بالنسبة للمجموع الكلي كانت متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣,١٤) وقد تعزى إلى أن ممارسة هذه الطريقة في الإشراف لم تكن بالدرجة المرضية حيث أنها كانت بدرجة متوسطة فقط ولم تصل إلى الدرجة الكبيرة أو الكبيرة جدا وقد يعزى ذلك إلى وجود قصور في تهيئة الميدان التربوي لممارسة هذه الطريقة في الإشراف التربوي، وكذلك قصور في تقديم التدريب المكثف لجميع المعنيين بالعملية التعليمية التعلمية داخل المدرسة لآليات تنفيذ وتفعيل هذه الطريقة في الإشراف، كما قد يعزى ذلك إلى تكليف المعلمين بكثير من المهام والأعمال الإدارية والتي تؤثر على قيامهم بمهامهم التربوية والتعليمية وتأخذ الكثير من وقتهم وجهدهم، وربما يكون ذلك بسبب قلة اهتمام المشرفين التربويين ومديري المدارس

والمعلمين في تغيير طريقة الإشراف المتبعة والاعتماد على النمط الإشرافي التقليدي المعتمد على الزيارات الصفية والاعتقاد السائد بأن المشرفين والمديرين لديهم خبرة ومعرفة ومهارات أكثر وأفضل مما لدى المعلمين، والنظر إلى العملية الإشراقية بانها عمل تقويمي لأداء المعلم وليس تشاركي بهدف تحسين وتطوير كفاءة المعلمين وقدراتهم.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع ما توصلت إليه دراسة عساف(٤٩)، والتي أظهرت نتائجها أن دور إشراف الزملاء في تنمية التطور المهني للمعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهات نظر المعلمين والمعلمات جاء بدرجة مرتفعة، وان إشراف الزملاء يساهم في تحقيق النمو المهني للمعلمين في عدة مجالات منها: التخطيط، وتنفيذ الدروس، والتقويم، كما توصلت دراسة المنوري(٥٠) إن أكثر أشكال إشراف الزملاء ممارسة بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي هي تبادل الزيارات بين معلمات التخصص الواحد، ومناقشة الجوانب المهنية في الجلسات غير الرسمية، وأقلها ممارسة هي تبادل الزيارات بين معلمات التخصصات المختلفة، كما أشارت الدراسة إلى إيمان المشاركات بجدوى إشراف الزملاء وآثاره الإيجابية على المعلمات والمدرسة، وخاصة ما يتعلق بالجانب المعرفي والجانب المهارى للمعلمة، وأظهرت دراسة الراسبي(٥١) أن درجة توافر متطلبات تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي الحلقة الثانية بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة تراوح بين الدرجة الكبيرة والمتوسطة، وكشفت دراسة العمرات والقمول(٥٢) أن أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم والتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة جاء بدرجة متوسطة، وبينت نتائج دراسة بومان وماكروميك(٥٣) إن تأثيرات الإشراف بالأقران كان أكثر فعالية مقارنة مع تأثيرات الإشراف التقليدي، وأشارت دراسة سلادينو(٥٤) أن أغلبية المعلمين المزارين في المدارس المتوسطة في جنوب شرق ولاية بنسلفانيا الأمريكية يعتقدون أن أسلوب إشراف الزملاء يساعدهم على تحسين وتطوير آدائهم التعليمي، وعلى النمو المهني الذاتي، وبينت دراسة برنس وستودن وبرين(٥٥) أن اجراءات إشراف الزملاء لها أثر إيجابي على التطور المهني لطلبة كلية العلوم

المرشحين ليكونوا معلمين في جامعة لندن البريطانية، لأنها ساعدت على تطوير الثقة المهنية لديهم، وزودتهم باستراتيجيات تدعمهم خلال عملية الممارسة الصفية، وكشفت دراسة لو(Lu)[٥٦] أن تدريب الزملاء في فترة ما قبل خدمة المعلمين يمتاز بعدة خصائص، ويتمتع بالعديد من القيم التي تتعلق بتعليم المعلم في فترة ما قبل الخدمة، وبينت دراسة لند وكينيث[٥٧] أثر إشراف الأقران على ممارسات المعلمين الجدد داخل الغرفة الصفية، وقد أظهرت النتائج أن التدريب كان كافٍ وأن إشراف الأقران قد أضاف شيئاً جديداً للمعلمين.

كذلك بينت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران بالنسبة لفقرات هذا المحور تراوحت بين الكبيرة والقليلة، ويتضح أن الفقرة: (يناقش المعلمون مشكلاتهم المهنية في الجلسات غير الرسمية)، جاءت في المرتبة الأولى بدرجة ممارسة كبيرة ومتوسط حسابي بلغ (٣,٩٠)، وقد يعزى ذلك إلى أن المعلمين لا يجدون الوقت الكافي لمناقشة مشكلاتهم المهنية في الأوقات الرسمية نتيجة لانشغالهم بمهام عملهم المختلفة والمتعددة، كما يصعب تفريغ جميع المعلمين في وقت واحد نتيجة لارتباطهم بالحصص التدريسية داخل الفصول الدراسية، في حين يجد المعلمون بعض الفرص العابرة لمناقشة مشكلاتهم أثناء استراحة الطلاب اليومية وأخرى مع بداية الفصل الدراسي أو نهايته في وقت إجازة الطلاب، ويتبين أن الفقرة "يعقب كل زيارة صفية اجتماع بعدي بين المعلم الزائر والمعلم المزار للمناقشة وتقديم التغذية الراجعة" جاءت في المرتبة الثانية وبدرجة ممارسة كبيرة ومتوسط حسابي بلغ (٣,٧٧) وقد يعلل ذلك نتيجة لإدراك المعلمين بأهمية هذا الاجتماع المباشر بعد الزيارة الصفية حيث يتمكن كل من المعلم الزائر والمعلم المزار من مناقشة وتوضيح وجهة نظره وتحديد نقاط القوة والجوانب التي تحتاج إلى دعم ومساندة وبالتالي تتحقق أهداف هذه الزيارة، كما توضح النتائج أن الفقرة: (يقوم المعلمون المتميزون بإرشاد أقرانهم)، جاءت في المرتبة الثالثة وبدرجة ممارسة كبيرة ومتوسط حسابي بلغ (٣,٦٨) وقد يعود ذلك لشعور المعلمين بضرورة تبادل الخبرات بينهم والاستفادة من الإمكانات والقدرات والمهارات التي يتمتع بها بعض المعلمين من خلال نقلها

بطريقة أو بأخرى إلى المعلمين الآخرين، حيث أن جميع المعلمين لهم أهداف مشتركة ترتكز على تحسين العملية التعليمية التعلمية وتطويرها والارتقاء بها، كما تبين النتائج إن الفقرة (يهيئ مدير المدرسة المناخ المناسب لتطبيق برامج الاشراف بالأقران) جاءت في المرتبة الرابعة وبدرجة ممارسة كبيرة ومتوسط حسابي بلغ (٣,٥٠) وقد يكون هذا شيء طبيعي حيث أن مدير المدرسة من مهام عمله وأهدافه الارتقاء بمستوى أداء المعلمين وتطوير مهاراتهم وقدراتهم من خلال تذليل جميع الصعاب التي تواجههم وتهيئة البيئة المناسبة لتحقيق ذلك.

كما بينت نتائج الدراسة أن الفقرة: (يتبادل الأقران من تخصصات مختلفة الزيارات الصفية)، جاءت في المرتبة قبل الأخيرة، وبدرجة ممارسة قليلة، ومتوسط حسابي بلغ (٢,٢٨) وقد يفسر ذلك نتيجة لضيق وقت المعلمين لتنفيذ مثل هذا النوع من الزيارات، وربما يعود ذلك إلى سيادة النمط البيروقراطي داخل المدرسة، بحيث تكون لكل مادة خصوصيتها ووضعها، بحيث لا تسمح أو لا تشجع إدارة المدرسة أو المعلمين إجراء هذه الزيارات، وقد يكون ذلك خوفاً من النقد أو تحمل أعباء عمل إضافية على المعلم، وربما بسبب قلة معرفة بعض المعلمين بكيفية الاستفادة من تبادل هذه الزيارات وتوظيفها بما يتوافق مع خصوصية وطبيعة كل مادة دراسية، كما يتضح أن الفقرة: (يتبادل المعلمون من مدارس مختلفة الزيارات الصفية)، جاءت في المرتبة الأخيرة وبدرجة ممارسة قليلة ومتوسط حسابي بلغ (٢,١٨) وقد يعزى ذلك بسبب عامل ضيق الوقت وارتباط المعلمين بخطة دراسية وبجملة من المهام والأعمال داخل المدرسة، والتي يجب انهائها في الوقت المحدد، وربما يكون ذلك عائد إلى قلة وعي القيادات الادارية، والمشرفين التربويين، بأهمية تنفيذ هذه الزيارات والتنسيق لها والفوائد التي يمكن أن يجنيها المعلمين عند افتراض تنفيذها.

ثانياً: عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة ممارسة معلمي الحلقة الثانية من التعليم الأساسي للاشراف بالأقران في محافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان ومعيقات تطبيقه من وجهة نظرهم؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T-Test) لمتغير النوع،

واختبار تحليل التباين الأحادي ONE WAY ANOVA لمتغيري المؤهل وسنوات الخبرة.

١- بالنسبة لمتغير النوع:

يوضح الجدول (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لدرجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران والمعوقات التي تحد من تفعيل هذا النوع من الاشراف تبعاً لمتغير النوع.

جدول (٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لدرجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران والمعوقات التي تحد من تفعيل هذا النوع من الاشراف تبعاً لمتغير النوع

المحاور	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة	اتجاه الدلالة
درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران	ذكور	٥١	٢,٨٢	٠,٨٢	١٠٦	١,٤٣	٠,٠٠٠*	لصالح الإناث
	إناث	٥٧	٣,٤٣	٠,٦٨				
المعوقات التي تحد من تفعيل الإشراف بالأقران	ذكور	٥١	٣,١٦	٠,٥٨	١٠٦	١,٢٥	٠,٢١٢	غير دالة
	إناث	٥٧	٣,٠١	٠,٦٤				

*داله عن مستوى($\alpha \leq 0.05$)

يتضح من خلال الجدول السابق وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين الذكور والإناث في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران لصالح الإناث ومعنى ذلك أن درجة ممارسة المعلمات لطريقة الاشراف بالأقران أكثر من المعلمين.

وبالنسبة للمعوقات التي تحد من تنفيذ هذا النوع من الإشراف يتضح من خلال الجدول السابق عدم وجود فروق داله إحصائياً بين الذكور والإناث وهذا معناه تقارب آراء عينة الدراسة من المعلمين والمعلمات حول درجة تواجد المعوقات التي تحد من تنفيذ هذا النوع من الإشراف.

٢- بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي:

حيث يوضح الجدول (٧) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-TEST لدرجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران والمعوقات التي تحد من تفعيل هذا

النوع من الإشراف تبعاً لمتغير النوع، كما يوضح الجدول (٨) تحليل التباين الأحادي

جدول (٧): المتوسطات الحسابية والانحرافات لمتغير المؤهل العلمي لمحوري أداة الدراسة

المحاور	مستوى المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران	دبلوم	٢٣	٢,٨١	٠,٨٩
	بكالوريوس	٦٤	٣,٢٢	٠,٧٩
	ماجستير	٢١	٣,٢٥	٠,٧١
المعوقات التي تحد من تفعيل الاشراف بالأقران	دبلوم	٢٣	٣,٠٧	٠,٥٩
	بكالوريوس	٦٤	٣,٠٩	٠,٦٠
	ماجستير	٢١	٣,٠٩	٠,٧٠

يتضح من خلال الجدول السابق أن هنالك بعض الفروق الظاهرية في المتوسطات الحسابية بالنسبة لدرجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران وكذلك بالنسبة للمعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي، ومن أجل التأكد أن هذه الفروق دالة إحصائياً تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي، وذلك من خلال الجدول (٨).

جدول (٨): تحليل التباين الاحادي لدرجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران والمعوقات التي تحد من تفعيل هذا النوع من الاشراف تبعاً لمتغير المؤهل العلمي

المحاور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
درجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران	بين المجموعات	٣,٢٢	٢	١,٦١	٢,٥٢	٠,٠٨٦
	داخل المجموعات	٦٧,١٤	١٠٥	٠,٦٤		
	المجموع الكلي	٧٠,٣٦	١٠٧			
المعوقات التي تحد من تفعيل الاشراف بالأقران	بين المجموعات	٠,٠٠٧	٢	٠,٠٠٣	٠,٠٠٩	٠,٩٩
	داخل المجموعات	٤٠,٠٧	١٠٥	٠,٣٨		
	المجموع الكلي	٤٠,٠٧	١٠٧			

يتضح من خلال الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05\geq\alpha$) بين مستويات المؤهل العلمي في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران، ومحور المعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف.

وهذا يعنى تقارب آراء عينة الدراسة على اختلاف المؤهل العلمي حول درجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران وكذلك المعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف.

٣. بالنسبة لمتغير سنوات الخبرة:

يوضح الجدول (٩) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية في تفعيل نظام تطوير الأداء المدرسي لمتغير سنوات الخبرة، كما يوضح الجدول (١٠) تحليل التباين الأحادي.

جدول (٩): المتوسطات الحسابية والانحرافات لمتغير سنوات الخبرة لمحوري أداة الدراسة

المحاور	مستوى الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
درجة ممارسة المعلمين للإشراف	١-٣	٢٥	٣,١٤	٠,٨٤
	٤-٦	٢٣	٣,٢٤	٠,٦٩
	٧ سنوات فأكثر	٦٠	٣,١٠	٠,٨٥
المعوقات التي تحد من تفعيل الاشراف بالأقران	١-٣	٢٥	٣,١٦	٠,٥٦
	٤-٦	٢٣	٣,٢٠	٠,٦٩
	٧ سنوات فأكثر	٦٠	٣,٠٠	٠,٦٠

يتضح من خلال الجدول السابق أن هنالك بعض الفروق الظاهرية في المتوسطات الحسابية بالنسبة لدرجة ممارسة المشرفين التربويين لأدوارهم تفعيل نظام تطوير الأداء المدرسي بالنسبة لمستويات متغير سنوات الخبرة ومن أجل التأكد أن

هـذه الفـروق دالـه إحصـائياً تم اسـتخدام اختبار تحليل التبـاين الأحـادي وذلـك مـن خلال الجدول (١٠).

جدول (١٠): تحليل التباين الأحادي لدرجة ممارسة المعلمين للإشراف بالأقران، والمعوقات التي تحد من تفعيل هذا النوع من الاشراف تبعاً لمتغير سنوات الخبرة

المحاور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
درجة ممارسة المعلمين للإشراف	بين المجموعات	٠,٢٨	٢	٠,١٤	٠,٢١	٠,٨١
	داخل المجموعات	٧٠,٠٨	١٠٥	٠,٦٧		
	المجموع الكلي	٧٠,٣٦	١٠٧			
المعوقات التي تحد من تفعيل الإشراف بالأقران	بين المجموعات	٠,٨١	٢	٠,٤٠	١,٠٨	٠,٣٤
	داخل المجموعات	٣٩,٢٧	١٠٥	٠,٣٧		
	المجموع الكلي	٤٠,٠٧	١٠٧			

يتضح من خلال الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05\geq\alpha$) بين مستويات الخبرة العملية في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران ومحور المعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف. وهذا يعنى تقارب آراء عينة الدراسة على اختلاف سنوات الخبرة حول درجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران وكذلك المعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف.

أما بالنسبة لمناقشة نتائج السؤال الثاني فكانت على النحو الآتي:

أ- بالنسبة لمتغير النوع:

بينت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05≥α) بين الذكور والإناث في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران لصالح الإناث، وقد يعزى ذلك إلى أن الإناث بطبيعتهن أكثر حرصاً ورغبة في تطوير مهاراتهن وقدراتهن على التدريس لإثبات جدارتهن وتفوقهن في هذا المجال، وقد يكون لأن الإناث أكثر تقبلاً لبعضهن البعض ونادراً ما تكون هنالك حساسيات، أو مصادمات نتيجة لوجود اختلاف في وجهات النظر أثناء ممارسة عملية الإشراف بالأقران، وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع النتائج التي توصلت إليها دراسة عساف(٥٨)، والتي كشفت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات المعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية نحو دور إشراف الزملاء في تحقيق النمو المهني للمعلمين تعزى لمتغير الجنس.

كما بينت النتائج عدم وجود فروق داله إحصائياً بين الذكور والإناث في محور درجة وجود المعوقات وقد يفسر ذلك لان كل من الذكور والإناث يعملون في نفس المؤسسة التربوية، وبالتالي يوجد هناك تقارب وتشابه في بيئة العمل في مدارسهم ولذلك فإنهم يشعرون بوجود نفس المعوقات التي تحد من ممارستهم لطريقة الإشراف بالأقران.

ب. متغير المؤهل العلمي:

بينت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05≥α) بين مستويات المؤهل العلمي في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران ومحور المعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف، وقد يفسر ذلك أن ممارسة طريقة الإشراف بالأقران لا يعتمد على حصول الفرد على المؤهل الدراسي بقدر اعتماده على وجود قناعات بأهمية هذه الطريقة في الاشراف والتسليم بضرورة ممارستها وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع النتائج التي توصلت إليها دراسة عساف(٥٩)، والتي كشفت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات المعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية نحو دور إشراف الزملاء في تحقيق النمو المهني للمعلمين تعزى لمتغير المؤهل

العلمي، ودراسة المنوري[٦٠]، والتي أظهرت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً حول واقع إشراف الزملاء بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان يعزى إلى متغير المؤهل العلمي، ودراسة الشهري[٦١]، والتي أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد مجتمع الدراسة حول المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب إشرافي في منطقة مكة المكرمة تعزى إلى متغير المؤهل العلمي، ومن جهة أخرى فقد اختلفت نتائج هذه الدراسة مع النتائج التي توصلت إليها دراسة الراسبي[٦٢]، والتي أظهرت وجود فروق ذات دلالة احصائية في متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الاساسي -الحلقة الثانية- بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة تبعاً لمتغير المؤهل الدراسي ولصالح حملة الماجستير، ودراسة العمرات والقمول[٦٣]، والتي كشفت وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي ولصالح حملة الدبلوم فأكثر.

ج. متغير الخبرة الوظيفية:

توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05\geq\alpha$) بين مستويات الخبرة العملية في محور درجة ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران ومحور المعوقات التي تعيق تنفيذ هذا النوع من الإشراف وقد يفسر ذلك أن هناك عوامل أخرى قد تكون أكثر أهمية وأثر من الخبرة تدفع المعلمين لممارسة الإشراف بالأقران وكذلك تحدد درجة وجود المعوقات، مثل: واقع بيئة العمل ودافعية المعلمين وقناعاتهم...كما قد يعزى ذلك إلى تقارب وتشابه ظروف وبيئة العمل لدى جميع العاملين في المدرسة بغض النظر عن خبرتهم باعتبار أن الجميع يعملون ضمن نفس الوزارة، وهم يواجهون نفس المعوقات في الميدان التربوي، وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع النتائج التي توصلت إليها دراسة عساف[٦٤]، والتي كشفت نتائجها عدم وجود فروق دالة احصائياً بين متوسطات استجابات المعلمين في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية نحو دور إشراف الزملاء في تحقيق النمو

المهني للمعلمين تعزى لمتغير الخبرة، ودراسة المنوري[٦٥]، والتي بينت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً حول واقع إشراف الزملاء بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان يعزى إلى متغير سنوات الخبرة العملية، ودراسة الشهري[٦٦] والتي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين أفراد مجتمع الدراسة حول المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب اشرافي في منطقة مكة المكرمة تعزى إلى متغير عدد سنوات الخدمة، ودراسة الراسبي[٦٧] والتي أشارت نتائجها إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لمتطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي الحلقة الثانية- بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة تبعاً لمتغير الخبرة.

ثالثاً: عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث:

والذي ينص على التالي: ما المعوقات التي تحد من ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظرهم؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة وجود المعوق للمجموع الكلي وكذلك بين فقرات المحور.

حيث يظهر الجدول (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة وجود المعوق للمجموع الكلي وكذلك بين فقرات محور(المعوقات) مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي

جدول (٥): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة وجود المعوق بالنسبة لمحور (المعوقات) مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة وجود المعوق
١	وجود العقبات التنظيمية (الوقت، المكان، الاعباء التدريسية).	٣,٩١	١,٠٥	كبيرة
٢	يتم تطبيق برامج الإشراف بالأقران بدون تدريب المعلمين	٣,٤٣	١,٠٣	كبيرة

	عليها.			
٣	خلو الخطة المدرسية من برامج تدعم الإشراف بالأقران.	٣,٢٢	١,١٣	متوسطة
٤	تنظيم ادارة المدرسة الإشراف بالأقران لتقويم أداء المعلمين.	٣,١٨	٠,٩٢	متوسطة
٥	تدني مستوى الدافعية لدى المعلمين نحو تجديد الاستراتيجيات التدريسية.	٣,١٢	١,١٩	متوسطة
٦	تبني بعض المعلمين للاتجاه السلبي نحو التدريب التعاوني.	٣,١١	١,١٩	متوسطة
٧	تفتقر برامج الاشراف بالأقران إلى المساندة المطلوبة من قبل ادارة المدرسة.	٢,٩٧	١,٠٣	متوسطة
٨	تفتقر المدرسة إلى ثقافة النمو المهني التعاوني بين المعلمين.	٢,٨٩	١,١٠	متوسطة
٩	العزلة التقليدية المعتادة بين المعلمين.	٢,٨٥	١,١٢	متوسطة
١٠	ضعف الانسجام والتفاعل بين المعلمين.	٢,٨١	١,٠٨	متوسطة
١١	ضعف وعي المشرف التربوي والمعلم الأول ومدير المدرسة بأهمية هذا الأسلوب.	٢,٣٧	٠,٩٩	قليلة
	المجموع الكلي	٣,٠٨	٠,٦١	متوسطة

يتضح من خلال الجدول السابق أن درجة وجود المعوقات التي تحد من ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين أنفسهم بالنسبة للمجموع الكلي للمحور كانت متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣,٠٨) وبالنسبة لفقرات هذا المحور تراوحت المعوقات بين الدرجة الكبيرة والقليلة حيث تراوح المتوسط

الحسابي بين(٣,٩١) و(٢,٣٧) حيث جاء في المرتبة الاولى فقرة (١) والتي تنص على "وجود العقبات التنظيمية (الوقت، المكان، الأعباء التدريسية). "بدرجة كبيرة وجاء في المرتبة الثانية الفقرة (٢) والتي تنص على "يتم تطبيق برامج الإشراف بالأقران بدون تدريب المعلمين عليها "بدرجة كبيرة ايضا وجاء في المرتبة الأخيرة الفقرة (١١) والتي تنص على "ضعف وعي المشرف التربوي والمعلم الأول ومدير المدرسة بأهمية هذا الأسلوب" بدرجة قليلة وجاء في المرتبة قبل الأخيرة الفقرة (١٠) والتي تنص على (ضعف الانسجام والتفاعل بين المعلمين)، بدرجة متوسطة وأخذت بقية العبارات درجة متوسطة.

أما بخصوص مناقشة نتائج السؤال الثالث والذي نص على التالي: ما المعوقات التي تحد من ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين أنفسهم؟ أظهرت النتائج أن درجة وجود المعوقات التي تحد من ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة الشرقية شمال لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين أنفسهم بالنسبة للمجموع الكلي للمحور كانت متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي لها (٣,٠٨)، وهذه النتيجة تشير إلى اتفاق أفراد عينة الدراسة بصورة عامة على وجود معوقات فعلية وواقعية تحد من مدى ممارستهم لطريقة الإشراف بالأقران وقد تفسر هذه النتيجة بسبب افتقار القائمين إدارة المدرسة والمعلمين والمشرفين التربويين إلى ثقافة النمو المهني التعاوني داخل المدرسة، بالإضافة إلى ضعف تهيئة البيئة المناسبة التي تمكن المعلمين من تطبيق هذه الطريقة في الإشراف مثل توفير الامكانات والوقت والمكان...وقد يكون بسبب ضعف التدريب والتأهيل المناسب فالمعلمين غير المدربين لن يتمكنوا من القيام بعملية إشرافية صحيحة، فقد يحدث مبالغة في المجاملات، والثناء بين المعلمين على أداء بعضهم أو الإكتفاء بتوضيح الايجابيات فقط دون معالجة الأخطاء، كما قد يشعر بعض المعلمين المزارين بحساسية تجاه هذا الموضوع ويعتبرون ذلك إطلاعاً على جوانب الضعف لديهم واقتحاماً لخصوصيتهم، وربما يكون ذلك نتيجة لعدم إعطاء هذا النوع من الإشراف الصبغة الرسمية التي تدفع المعلمين لممارستها.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة في وجود معوقات تحد من ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران مع ما توصلت إليه الشهري[٦٨] والتي أظهرت أن المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب إشرافي في منطقة مكة المكرمة تتمثل في زيادة أعباء المعلم التدريسية والمكتبية، وكثرة الأعباء الادارية والفنية الملقاة على كاهل المشرف التربوي وهما تحولان دون تنفيذ أسلوب الزيارات المتبادلة بين المعلمين، وبينت دراسة الراسبي[٦٩] أن معوقات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي الحلقة الثانية بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة، تراوحت بين الدرجة المتوسطة والقليلة، وكشفت دراسة المنوري[٧٠]، وجود بعض المعوقات التي تقف في وجه نجاح وفعالية إشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الأساسي بسلطنة عمان، ومن أهمها: الوقت غير الكافي، والأعباء التدريسية المتعددة، وأظهرت دراسة سلادينو[٧١] وجود جوانب متعددة تحتاج إلى تطوير أو تحسين في أداء المعلم المزار في المدارس المتوسطة في جنوب شرق ولاية بنسلفانيا الأمريكية، ووجود نقص في الاتصال والتواصل بين المعلمين المزارين والإداريين، وعدم وجود فكرة ثابتة لفلسفة الإشراف بين الإداريين والمعلمين، وأشارت دراسة لو(Lu)[٧٢]، أن أهم المعوقات التي تواجه تدريب الزملاء في فترة ما قبل خدمة المعلمين تتضمن الفترة الزمنية للتدريب واستراتيجيات التدريب.

وبينت النتائج أن درجة وجود المعوقات التي تحد من ممارسة المعلمين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدارس محافظة شمال الشرقية لطريقة الإشراف بالأقران من وجهة نظر المعلمين تراوحت بين الدرجة الكبيرة والدرجة القليلة، ويتضح أن الفقرة "وجود العقبات التنظيمية: (الوقت، والمكان، والأعباء التدريسية)، جاءت في المرتبة الأولى وبدرجة وجود معوق كبيرة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,٩١) وقد يعزى ذلك إلى أن اتباع النمط البيروقراطي ما زال سائدا في عمل الإدارة التربوية بصفة عامة والإدارة المدرسية بصفة خاصة، حيث يتم تسيير الأعمال الإدارية في المدرسة وفق النمط التقليدي أو المفروض على المدرسة من الجهات الإدارية العليا وهذا يحجم من قدرات المعلم وتطوير أدائه، كما أن تطبيق

هذه الطريقة في الإشراف يتطلب التقليل من الأعباء التدريسية للمعلم حتى يتمكن من الحصول على الوقت الكافي الذي يمكنه من ممارسة هذه الطريقة، ويتبين أن الفقرة "يتم تطبيق برامج الإشراف بالأقران بدون تدريب المعلمين عليها" جاءت في المرتبة الثانية، وبدرجة وجود معوق كبيرة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,٤٣)، وقد يعلل ذلك لقلة إدراك ووعي القائمين على العملية التعليمة بأهمية هذه الطريقة في الإشراف واعتمادهم على النمط التقليدي السائد في العملية الإشرافية والمعتمد على الزيارات الصفية، وأن ما ينفذ في المدرسة هو مجرد اجتهاد يمارسه بعض المعلمين لأجل الارتقاء بمستوى أدائهم وتبادل الخبرات فيما بينهم، ويتضح أن الفقرة (خلو الخطة المدرسية من برامج تدعم الإشراف بالأقران)، جاءت في المرتبة الثالثة وبدرجة وجود معوق متوسطة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,٢٢) وقد يكون ذلك ناتج بسبب عدم تبني هذا النمط من الإشراف على مستوى المدارس وكذلك على مستوى قسم الإشراف التربوي في المديريات التعليمية والوزارة، وربما لأن هذه الطريقة لا يتم ادراجها من ضمن عملية تقويم الأداء الوظيفي للمعلمين، كما يتبين أن الفقرة "تنظيم إدارة المدرسة الإشراف بالأقران لتقويم أداء المعلمين" جاءت في المرتبة الرابعة وبدرجة وجود معوق متوسطة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,١٨)، وقد يفسر ذلك لاعتماد الإدارة المدرسية في تقويم أداء المعلمين على استمارات مقننه ومعتمده من الوزارة، وهي لا تتضمن في طيها بنود تتناول هذا الطريقة في تقويم أداء المعلمين.

وبينت نتائج الدراسة أن الفقرة (ضعف الانسجام والتفاعل بين المعلمين) جاءت في المرتبة قبل الأخيرة وبدرجة وجود معوق متوسطة وبمتوسط حسابي بلغ (٢,٨١)، وقد يكون ذلك بسبب قلة تشجيع المعلمين وتقديم الدعم والتحفيز الذي يدفعهم إلى تبني ثقافة مهنية تشاركيه وتعاونية بينهم، وتظهر النتائج أن الفقرة (ضعف وعي المشرف التربوي، والمعلم الأول، ومدير المدرسة بأهمية هذا الأسلوب) جاءت في المرتبة الأخيرة وبدرجة وجود معوق قليلة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,٩١) وقد يعزى ذلك إلى تمسك هؤلاء بالطريقة التقليدية السائدة في الإشراف والمعتمدة على المشرف التربوي ومدير المدرسة، والمعلم الأول، باعتبارهم

هم أكثر خبرة، كما قد يعزى ذلك إلى قلة تقديم البرامج التدريبية من قبل الوزارة لهذه الفئة من التربويين والتي تمكنهم من فهم هذه الطريقة في الإشراف التربوي وممارستها في المدارس.

٤ـ التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، تم استخلاص العديد من التوصيات في هذا المجال كما يلي:

- ضرورة العمل على نشر ثقافة الإشراف بالأقران في الميدان التربوي مع ضرورة تقديم البرامج التدريبية المناسبة التي تتناول مفاهيم الإشراف التربوي بالأقران، وآليات تفعيله وتطبيقه بهدف رفع درجة ممارسة المعلمين لهذه الطريقة.
- ضرورة وجود تنسيق وتعاون بين إدارات المدارس وقسم الإشراف التربوي من أجل الإعداد والتنظيم للبرامج الإشرافية بالأقران بطريقة يشعر معها المعلمين بأهمية هذه الطريقة ودورها في عملية الإنماء المهني لديهم.
- العمل على ربط تنفيذ المعلمين لهذه الطريقة بعملية تقويم أداء المعلمين وتقرير الكفاءة لديهم.
- على الإدارة المدرسية والمشرفين التربويين والمعلمين الأوائل تهيئة البيئة التربوية المناسبة التي يستطيع المعلمين من خلالها التفرغ لتطوير قدراتهم ومهاراتهم بالتعاون مع بعضهم البعض مع التركيز بصورة أكبر على مدارس الذكور حيث أظهرت الدراسة أن درجة ممارسة الذكور لطريقة الإشراف بالأقران كانت أقل من الإناث.
- ضرورة الابتعاد عن الإجراءات البيروقراطية في تنفيذ إجراءات العمل، وجعلها أكثر مرونة لأجل إتاحة فرصة أكبر للمعلمين لتنمية مهاراتهم وقدراتهم المهنية بالتعاون مع بعضهم البعض.
- العمل على إدراج طريقة الإشراف بالإقران ضمن الخطة المدرسية ليتسنى متابعة مدى ممارسة المعلمين لها وتقويم أداءهم في ضوئها.
- ضرورة إعادة دراسة المعوقات التي تحد من درجة ممارسة المعلمين لطريقة الإشراف بالأقران، ووضع الحلول المناسبة لعلاج تلك المعوقات والتغلب عليها.

الهوامش:

(١) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٢) حسين، سلامة وعوض الله، عوض الله. **اتجاهات حديثة في الإشراف التربوي**. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.

(٣) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. **أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين** وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٨(٤)، ص١١-٣١، ٢٠١٣.

(٤) الغتمن، نورة أحمد. ورقة عمل مقدمة للمؤتمر التربوي السنوي الحادي والعشرون، **التعليم الاعدادي: تطوير وطموح من اجل المستقبل رؤية جديدة للإشراف التربوي في ضوء متطلبات تطوير المرحلة الاعدادية**. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠١١م.

(٥) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **إشراف الزملاء بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(6) Sullivan, S.&Glanz, JAlternative Approaches To Supervision: Cases From The Field. ***Journal of Curriculum and Supervision***, 15 (3) ,p 212 - 235. (2010).

(٧)الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي-الحلقة الثانية (٥- ١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٨)القاسم، عبد الكريم. (٢٠٠٩). العلاقة بين درجة أهمية الأساليب الإشرافية ودرجة ممارستها من وجهة نظر التربويين في مديريات التربية والتعليم في محافظات شمال فلسطين. **مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات**، ١٥، ص١٢٩-١٨١.

(9) Showers, B & Joyce, The evolution of peer coaching. **Educational leadership**, 53(6), 12 -16. 2012

(١٠)عايش، أحمد جميل، **تطبيقات في الاشراف التربوي**، ط٢. عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٤م.

(١١) المزروع، هيا، **تدريب الزملاء: رؤية في النمو المهني للمعلم**، دراسة مقدمة في اللقاء السنوي الثالث عشر في اعداد المعلم وتطويره في ضوء المتغيرات المعاصرة، الجمعية السعودية للعلوم التربوية، خلال الفترة من ٢١-٢٢/ ٤/ ٢٠٠٦.

(١٢) زياد، مسعد، **أساليب الاشراف التربوي والادارة المدرسية**. الأردن، عمان، دار الفرقان، ٢٠١٠م.

(١٣) وزارة التربية والتعليم، ٢٠١٠م.

(١٤) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الاساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة

عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١٠م.

(١٥) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **إشراف الزملاء بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(١٦) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي-الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(١٧) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٠١٣م، ٢٨ (٤)، ص١١-٣١.

(١٨) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الاساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(١٩) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم والتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٨(٤)، ص١١-٣١، ٢٠٠٤م.

(٢٠) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٢١) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي- الحلقة الثانية (٥- ١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٢٢) وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٨: ١٢).

(٢٣) عساف، عالية صلاح مصطفى، **دور اشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(٢٤) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٨ (٤)، ص١١-٣١، ٢٠١٣م.

(25) Lind, R & Kenneth, A (2010). Peer coaching and pre-service teachers: Examining an underutilized concept. ***Teaching and teacher education***, 26(1-2): 306-314.

(٢٦)الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الاساسي/ الحلقة الثانية (٥-١٠)، بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(27) Prince, T., Snowden, E., Brian, M. (2010). Utilizing Peer Coaching as a Tool to Improve Student-Teacher Confidence and Support the Development of Classroom Practice. Literacy Information and Computer Education Journal (LICEJ), 1(1).

(28) Lu, H. (2010). Research on peer coaching in Pre-service teacher education – A review of literature, ***Teaching and Teacher Education***. VoL. 26,pp.748- 753.

(29) Sal Ladino, R. ***A study of colleague consultation. An alternative to traditional methods of supervision***. Immaculate College. Dissertation Abstract International, 65(4), p.1205.2013.

(٣٠) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٣١) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٨(٤)، ص١١-٣١، ٢٠١٣.

(٣٢) عساف، عالية صلاح مصطفى، **دور إشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(33) Sal Ladino, R. ***A study of colleague consultation. An alternative to traditional methods of supervision***. Immaculate College. Dissertation Abstract International, 65(4), p.1205. 2009.

(٣٤) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(٣٥) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٣٦)الشهري، عامر بن محمد. **المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب اشرافي في منطقة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٩م.

(37) Lu, H. Research on peer coaching in Pre-service teacher education – A review of literature, ***Teaching and Teacher Education***. VoL. 26,pp.748- 753.2010.

(٣٨) عساف، عالية صلاح مصطفى، **دور اشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(٣٩) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. إثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس

مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٨(٤)، ص١١-٣١، ٢٠١٣.

(٤٠) الشهري، عامر بن محمد. **المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب إشرافي في منطقة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٩م

(٤١)المزروع، هيا، **تدريب الزملاء: رؤية في النمو المهني للمعلم**. دراسة مقدمة في اللقاء السنوي الثالث عشر في اعداد المعلم وتطويره في ضوء المتغيرات المعاصرة، الجمعية السعودية للعلوم التربوية، خلال الفترة من ٢١ – ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٦.

(42) Prince, T., Snowden, E., Brian, M. (2010). Utilizing Peer Coaching as a Tool to Improve Student-Teacher Confidence and Support the Development of Classroom Practice. Literacy Information and Computer Education Journal (LICEJ), 1(1).

(٤٣) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. (٢٠٠٤). **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

(44) Sal Ladino, R. ***A study of colleague consultation. An alternative to traditional methods of supervision***. Immaculate College. Dissertation Abstract International, 65(4), p.1205.2009.

(45)Boman,G.&Mccormick,S.**Compa-rison of peer coaching versus traditional supervision effects**. The Journal Of Educational Research, 93(4),p 256- 261 (2008).

(٤٦) المزروع، هيا، **تدريب الزملاء: رؤية في النمو المهني للمعلم**. دراسة مقدمة في اللقاء السنوي الثالث عشر في اعداد المعلم وتطويره في ضوء المتغيرات المعاصرة، الجمعية السعودية للعلوم التربوية، خلال الفترة من ٢١ – ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٦م.

(٤٧)المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. (٢٠٠٤). **إشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الاساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

(٤٨)المصدر: المنيزل والعتوم، ٢٠١٠م.

(٤٩)عساف، عالية صلاح مصطفى، دور إشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(٥٠)المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الاساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(٥١)الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي-الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٥٢) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. اثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم والتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**،٢٨ (٤)، ص١١- ٣١، ٢٠١٣.

(53)Boman,G.&Mccormick,S.(2008). Comparison of peer coaching versus traditional supervision effects. The Journal Of Educational Research, 93(4),p 256- 261.

(54)Sal Ladino, R. ***A study of colleague consultation. An alternative to traditional methods of supervision***. Immaculate College. Dissertation Abstract International, 65(4), p.1205. 2009.

(55)Prince, T., Snowden, E., Brian, M. (2010). Utilizing Peer Coaching as a Tool to Improve Student- Teacher Confidence and Support the Development of Classroom Practice. Literacy Information and Computer Education Journal (LICEJ), 1(1.

(56) Lu, H. (2010). Research on peer coaching in Pre-service teacher education A review of literature, ***Teaching and Teacher Education***. VoL. 26,pp.748-753.

(57) Lind, R & Kenneth, A (2010). Peer coaching and pre-service teachers: Examining an underutilized concept. ***Teaching and teacher education***, 26 (1-2): 306-314.

(٥٨)عساف، عالية صلاح مصطفى، **دور إشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(٥٩)عساف، عالية صلاح مصطفى، **دور اشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(٦٠) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الاساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(٦١) الشهري، عامر بن محمد. **المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب اشرافي في منطقة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٩م.

(٦٢) الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الاساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٦٣) العمرات، محمد سالم والقمول، محمد. أثر إشراف الأقران على ثقة المعلمين وفاعليتهم وإلتزامهم، ورغبتهم في التعاون في مدارس مديرية قصبة الطفيلة. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، ٢٨ (٤)، ص١١-٣١،٢٠١٣.

(٦٤) عساف، عالية صلاح مصطفى، **دور إشراف الزملاء في تنمية التطوير المهني في مدارس وكالة الغوث في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات فيها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٤م.

(٦٥) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الاولى من التعليم الاساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(٦٦)الشهري، عامر بن محمد. **المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب اشرافي في منطقة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٩م.

(٦٧)الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الأساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٦٨)الشهري، عامر بن محمد. **المعوقات التي تواجه المشرف التربوي في تنفيذ الزيارات المتبادلة بين المعلمين كأسلوب اشرافي في منطقة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٩م.

(٦٩)الراسبي، زهرة بنت ناصر بن محمد. متطلبات تطبيق تدريب الزملاء في مدارس التعليم الاساسي- الحلقة الثانية (٥-١٠) بسلطنة عمان في ضوء الاستراتيجيات الحديثة. **مجلة كلية التربية ببنها**، العدد ٨٨، ٢٠١١م.

(٧٠) المنوري، زليخا بنت ساعد بن محمد. **اشراف الزملاء بمدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ببعض المناطق التعليمية بسلطنة عمان: تصور مقترح**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.

(71) Sal Ladino, R.***A study of colleague consultation. An alternative to traditional methods of supervision***. Immaculate College. Dissertation Abstract International, 65(4), p.1205. (2009).

(72) Lu, H. Research on peer coaching in Pre-service teacher education – A review of literature, ***Teaching and Teacher Education***. VoL. 26,pp.748-753. 2010.

نيابة الرّحبة: تبعيتها وتقسيماتها الإدارية في العصر المملوكي (٦٥٨-٩٢٢هـ / ١٢٦٠-١٥١٦م)

د. مبارك محمد الطراونة *

تاريخ وصول البحث: ١٧ / ٤/ ٢٠١٧م تاريخ قبول البحث: ٢١/ ٦/ ٢٠١٧م

ملخص

تتناول الدراسة احدى النيابات الشّامية الصغرى التي حرص السلاطين المماليك منذ أن انتهى الحكم الأيوبي في مصر على خضوعها للتبعية المملوكيّة، وذلك لأن مدينة الرّحبة ثغر حدودي يقع في أقصى الشرق من بلاد الشّام الاهتمام به من الضرورات لمواجهة الهجمات المغولية المتكررة، ولمراقبة أعداء السلطان والخارجين عن الطاعة. وركّزت الدراسة على التعريف بجغرافية النيابة، والتأكيد على استقلاليتها كوحدة إدارية مستقلة تتبع مباشرة للسلطان المملوكي وخاصة بعد وفاة حاكمها الملك الأيوبي الأشرف موسى سنة٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م.

وتطرقت الدراسة إلى هيكلية الجهاز الإداري في النيابة حسب تقسيمها في النظام المملوكيّ الذي يقسمها إلى وظائف عسكرية ووظائف ديوانيّة ووظائف دينيّة والتحقق من وجودها من خلال القرائن والشواهد التاريخية، وموقف نوابها من الهجمات المغولية ومن الصّراعات المملوكيّة الداخليّة.

الكلمات المفتاحية: الرّحبة، نيابة، مغول، مماليك، ثغر، أيوبيون.

Abstract

The study explores one of the minor Shami provinces that the Mamluk Sultans asserted its submission to the Mamluk dependency- since the Ayyubid ruling in Egypt. This is due to the fact that Ar-Rahba was a city of a frontier district located in the far east of the Levant (Biladi Al-Sham) and it was necessary to take it into consideration to face the repeated Mongol attacks and to watch the enemies of the Sultan and the outlaws.

* أستاذ مشارك،كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية .

The study also focused on the definition of the geography of Ar-Rahba Province and its independence as an independent administrative unit directly related to the Mamluk Sultan, especially after the death of its ruler, the Ayyubid king, Al-Ashraf Mousa in 662 AH / 1263 AD. Besides, the study introduces the administrative structure of Ar-Rahba Province according to its division into the Mamluk system, which divides it into military, administrative and religious duties. It also investigates its existence through historical evidence and the position of its deputies from the Mughal attacks and the internal Mamluk conflicts.

Keywords: Ar-Rahba, Mughal, Mamluk, Frontier district , Ayyubids.

.

المقدمة:

قسّم المماليك بلاد الشّام بعد سيطرتهم عليها إلى عدد من الوحدات الإداريّة ليسهل عليهم حكمها، عرفت الواحدة منها باسم مملكة أو نيابة. ونظراً لصعوبة دراسة تاريخ المنطقة في دراسة واحدة شاملة لكافة الجوانب، اتّجه الباحثون لدراسة كلّ وحدة بصورة منفصلة عن غيرها. فظهرت دراسات عن دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك وغزة وحمص وطرابلس والقدس وعجلون.

ورغبة في كشف صفحة من صفحات تاريخ بلاد الشّام في الفترة المملوكية. ستتناول هذه الدراسة وحدة إداريّة صغرى هي نيابة الرّحبة والتي كانت في بداية العهد المملوكي جزء من أملاك الملك الأشرف مظفر موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه بن شادي صاحب حمص والذي أعلن ولاءه للمماليك في أعقاب موقعة عين جالوت في رمضان ٦٥٨هـ/ ٣ أيلول ١٢٦٠م فأقرّ حاكماً عليها حتى وفاته في ١٤ صفر ٦٦٢هـ/ ٢٤ كانون أول ١٢٦٣م، وبعد وفاته بيومين أرسل إليها السلطان الظاهر بيبرس من يتسلمها[1]. لتصبح نيابة مستقلة تتبع للسلطان المملوكي في مصر مباشرة.

التعريف بنيابة الرّحبة:

تقع أراضي مدينة الرّحبة بين الرقة[٢] وعانة[٣]، وإلى الجنوب الشرقي من دير الزور بحوالي ٤٥كم، وفلكياً تقع على خط طول ٤٠,٥ شرقاً وعلى دائرة عرض ٣٥ شمالاً، وعلى بعد ٥ كم إلى الغرب من نهر الفرات أسفل قرقيسيا[٤] واستمدّت اسمها من وقوعها على سهل واسع فسيح يعرف تاريّخياً باسم رحبة الشّام[٥]، أو رحبة مالك بن طوق نسبة إلى مالك بن طوق بن عتاب التغلبي الذي أقطعها له الخليفة هارون الرشيد وبناها في خلافة المأمون على الضفة اليمنى لنهر الفرات بالقرب من نهر سعيد[٦]، وقد دُمرها زلزال عام ٥٥٢هـ / ١١٥٧م[٧].

ونظراً لموقع مدينة الرّحبة الحدوديّ كثغر فاصل بين بلاد الشّام والعراق، ومحطة حدودية تقع على الطريق التجاري بين بلاد الشام وأراضي الجزيرة الفراتية، وأول الثغور لمراقبة الأعداء، ومنطلق لتأديب الخارجين عن الطاعة بنى صاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين أبو الحارث شيركوه ابن ناصرالدين محمد ابن الملك أسد الدين شيركوه بن شاذي (٥٨٢-٦٣٦هـ/ ١١٨٦-١٢٤٠م). مدينة الرّحبة الجديدة سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٩م إلى الجنوب من رحبة مالك بن طوق بعد دمارها، وعمل على تجديد قلعتها[٨] التي هي أيضاً كانت قد تعرضت للدّمار والخراب[٩]. وما أن تُوفّي الملك المجاهد سنة٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م آلت أملاكه[١٠] وتوابعها إلى ابنه الملك المنصور إبراهيم لتنتقل بعد وفاته سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م إلى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن إبراهيم[١١] الذي أجبر على التنازل عن مدينة حمص سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م لصالح الملك الناصر يوسف بن العزيز[١٢] صاحب حلب مقابل تعويضه عنها بتل باشر إضافة إلى ما كان بيده من تدمر والرّحبة[١٣].

بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب في منتصف شعبان ٦٤٧هـ/ ٢٣ تشرين الثاني ١٢٤٩م انتهى الحكم الأيوبي في مصر، وتم تنصيب شجر الدر المملوكية سلطاناً على مصر، الأمر الذي ازعج الملك الأشرف موسى ودفعه لمشاركة أمراء وملوك بني أيوب في محاولتهم لإرجاع مصر إلى حظيرة الأيوبيين؛ رغبة في المحافظة على أملاكه من أطماع الملك الناصر يوسف، الذي أجبر الملك الأشرف موسى اللجوء إلى هولاكو بعد سقوط معظم بلاد الشّام في قبضته سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م حيث رحّب به وأكرمه[١٤] ورسم له أن يكون أحد نوابه

في بلاد الشّام، وسمح له بالإقامة معه في مدينة دمشق. ولما عزم قطز(٦٥٧-٦٥٨هـ/ ١٢٥٨-١٢٥٩م) على محاربة المغول في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م أرسل إلى الملك الأشرف يلومه على انضوائه تحت تبعية المغول، وطلب منه عدم مناصرتهم في حروبه معهم مقابل أن يقرّه على ما بيده من أملاك؛ لذلك اعتذر الملك الأشرف عن مشاركة المغول في معركة عين جالوت متظاهراً بالمرض وفضل الإقامة في مدينة الرّحبة[١٥].

وما أن تملك الملك المظفر قطز مدينة دمشق أرسل الملك الأشرف موسى للمظفر قطز أثناء إقامته في دمشق يطلب منه الأمان ويستأذنه السماح له بمقابلته، ورغبة من المظفر قطز في المحافظة على وحدة المسلمين في مواجهة المغول وافق على حضوره وركب للقائه وأحسن إليه وأقرّه على حمص والرّحبة وزاده تل باشر[١٦]؛ وبذلك خضعت مدينة الرّحبة في عهد ملكها الأشرف موسى للتبعية المملوكية. وبعد مقتل السلطان قطز في ٥ ذي القعدة ٦٥٨هـ/ ٢٦ تشرين أول ١٢٦٠م، أعلن الملك الأشرف موسى ولاءه للسلطان الظاهر بيبرس بالوقوف إلى جانبه في محاربة المغول في المعركة التي دارت شمال حمص قرب قبر خالد بن الوليد سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م. وليؤكّد تبعيته اعترف أنَّ جميع ما يملكه قد انتقل إلى السلطان الظاهر بيبرس، وذهب للقائه اثناء إقامته في دمشق سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م لتقديم الولاء والطاعة، حيث رحب به السلطان الظاهر وأقرّه على ممتلكاته في حمص ومضافاتها من الرّحبة وتل باشر، وبذلك بقيت الرّحبة تحت حكم الملك الأشرف موسى حتى وفاته يوم الاثنين١٤ صفر سنة ٦٦٢هـ/ ١٧ كانون أول ١٢٦٣م[١٧] وبعد وفاته أرسل إليها السلطان الظاهر بيبرس الأمير بدرالدين بيليك العلائي لاستلامها[١٨]. وبعد ذلك أصبحت الرّحبة نيابة مستقلة تتبع مباشرة للسلطان المملوكي في مصر، فقد اعتبرها شيخ الربوة (ت: ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) بأنها مدينة من مدن الشّام في جهة المشرق على شاطئ الفرات وثغر تجاه العدو وله أعمال كبار[١٩] ولكنه لم يذكر أيّ من أعمالها.

ويُعد وصف ملك حماة الأيوبي أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) لمدينة الرّحبة الأكثر دقة حيث يقول: "أنها مدينة على نحو فرسخ من الفرات وهي بلدة صغيرة، ولها قلعة على تل تراب وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات، وهي

اليوم محط القوافل من العراق والشّام، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا"[٢٠]. ولعلّ مرد دقة وصفه وتحديده لموقعها سببه قرب الرّحبة من حدود مملكته، وتعدد زياراته لها ومتابعته أحوالها والدفاع عنها بتكليف من السلطات المملوكية.

أمّا ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) فقد بين بوضوح أنّ مدينة الرّحبة من مدن الصّفقة الشرقية التي تقع في أخر ولاية الشّام إلى جهة الشرق، وانّها إحدى نيابات الشّام المستقلة إدارياً عن غيرها، وتتبع للسلطان مباشرة، ويضيف قائلاً: "وبهذه الصّفقة مدينة الرّحبة على الفرات وبها قلعة ونيابة وفيها بحريّة وخيّالة وكشّافة وطوائف من المستخدمين"[٢١].

وأعاد القلقشنديّ (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ما ذكره أبو الفداء في كتابة تقويم البلدان عن تاريخ بناء مدينة الرّحبة دون إضافات[٢٢]، كما يؤكّد القلقشنديّ بعد مضي أكثر من سبعة عقود على وفاة ابن فضل الله العمريّ على استمراريّة استقلاليّة نيابة الرّحبة معتمداً على ما ذكره الأخير دون زيادة[٢٣]، ولكنه يزيد ما استحدث واستجد على نيابة الرّحبة في زمانه فيقول أنها: "أحد الثغور الإسلامية في زماننا، ولم تزل إمرتها طبلخانة بمرسوم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية ابن قلاوون إلى الآن"[٢٤]. وهو بذلك يذكر صراحة أنها نيابة مستقلة إدارياً، لا تتبع لغيرها من النيابات الشّامية، ويتم تعين نائبها بمرسوم سلطاني، ويُعَمِّم أنَّ رتبته منذ أيام السّلطان الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الأولى (٦٩٣- ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م)، وإلى فترة تدوين القلقشنديّ لموسوعته، أي ما يقارب من مائة وثلاثين سنة إمرة طبلخانة، ويذكر القلقشنديّ في مكان آخر على استقلاليتها أثناء حديثه عن رسم المكاتبات لنواب النيابات الشّامية الصغار ومن في معناهم، حيث يذكر نائب الرّحبة مع نواب كلّ من نيابات القدس، وحمص، وبعلبك، وعجلون، وصرخد، ومصياف، وجعل رسم المكاتبة إليه. "صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي، وتعريفه نائب الرّحبة أو النائب بالرّحبة"[٢٥] في حين أنَّ السحماوي (ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م) يُعيد ما كتبه كلّ من ابن فضل الله العمري، والقلقشنديّ دون زيادة، ويذكر نائب الرّحبة ضمن قوائم نواب الصّفقة الرابعة والشرقية مع نواب كلّ من حمص ومصياف وقارا وسلمية وتدمر[٢٦]. وهو بذلك لا يميز بين النواب

والولاة؛ فقارا وسلمية وتدمر ولايات من أعمال نيابة حمص وتتبع لنائب حمص.

وعدّها ابن شاهين الظاهري (ت: ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) بأنها مدينة لطيفة لها قلعة وإقليم به عدة قرى إلّا أنها من مُعاملة حلب[٢٧]. وهو بذلك يخالف ما ذكره كلّ من ابن فضل الله العمري والقلقشنديّ؛ ولعلّ ذلك مرده لتعديل إداري مؤقت حصل للمدينة، ربما أُجري على بعض النيابات الصغار في مثل ذلك الوقت.

وقد بينت بعض الدراسات الحديثة صراحة استقلالية نيابة الرّحبة، وعدم تبعيتها لكلّ من حمص ودمشق، وإقامة نيابة مستقلة إدارياً فيها تتبع السلطان المملوكي مباشرة في مصر[٢٨]؛ وذلك لكونها أحد الثغور المملوكية التي أولتها السلطات المملوكية في مصر الاهتمام الكبير لمواجهة غزوات المغول ولمراقبة أعداء السلطان[٢٩]، إضافة إلى كونها المحطة الحدودية الأولى لبلاد الشّام من جهة العراق والشرق[٣٠]، وفيها يتم استئذان السلطان لاستقبال الوفود الرسمية والسفارات وضيوف السلطنة والسماح لهم بالدخول إلى ديار السلطنة المملوكية[٣١].

وممّا يؤكّد استقلالية نيابة الرّحبة المراسلات الرسمية التي كانت تتم مباشرة بين نائب الرّحبة والسلطان مباشرة، ما ذكره الصّفديّ رئيس ديوان الرّحبة أنّه شاهد بعينه تلك المراسلات حيث يقول: "أنّني رأيت كتب السلطان عند محمد بن أيبك بن عبدالله بن عز الدين الاسكندراني (ت ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦م) نائب الرّحبة"[٣٢].

وممّا يُوحي باستقلاليّتها ذكر اسم نائبها ضمن أسماء نواب السلطنة في ولاية الشّام في السنوات من ٧٠٠–٧١٠هـ[٣٣]، وسنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م[٣٤]، وورود ذكر نائبها في المكاتبات بين السلطان قلاوون وسلطان التتار أحمد بن هلاكو: "وأمرنا سائر النواب بالرّحبة... بالكف عما كففتم عنه وأن نسد هذا الباب"[٣٥]. وسيتضح الاستقلال الإداري لنيابة الرّحبة عن غيرها من خلال قرارات التعيين والعزل والنقل الصادرة عن السلطان مباشرة لنواب الرّحبة، وهذا ما سيتضح أثناء الحديث عن نواب نيابة الرّحبة.

ومن خلال استقراء ما تناثر من أخبار في متون ما اطلعت عليه من المصادر التاريخية والجغرافية المتوفرة لم اتمكن من التوصل إلى معرفة أعمال نيابة الرّحبة وقراها، إلّا أنَّ هناك بعض الإشارات العابرة التي تُبين أنَّ الرَوْحَا قرية من قرى مدينة الرّحبة[٣٦]، وكذلك قرية

العشارة[٣٧]، وماكسين[٣٨]، والدالية[٣٩]، وقرقيسيا، وبَرْطُوبَة[٤٠]، وعانه، وواسط[٤١].

الجهاز الإداري في نيابة الرَحبة:

كانت مدينة الرّحبة مركزاً للنيابة التي كان يتولّاها أحد الأمراء المماليك، ويُعرف بنائب الرّحبة أو النائب بالرّحبة، وبالضرورة أن يكون تحت امرته عدد من الموظفين الذين أطلق عليهم ابن فضل الله في التعريف اسم طوائف من المستخدمين[٤٢]، وكانوا يتوزعون وفق تصنيف العصر المملوكي إلى (أرباب الوظائف العسكرية، وأرباب الوظائف الديوانيّة، وأصحاب الوظائف الدينية).

أولاً: الوظائف العسكريّة (أرباب السّيوف)

١-نيابة السلطنة: ويتولّاها نائب، وهو رأس الجهاز الإداري في النيابة، ويُعيَّن من قبل السلطان لينوب عنه بموجب مرسوم شريف، وكان يُلقب بنائب الرّحبة أو النائب بالرّحبة[٤٣]، ومرتبته من أدنى مراتب النواب في البلاد الشّامية، ويُوصف في عُرف الكُتّاب "النائب بفلانة"[٤٤]. ويُكتب إليه من الأبواب السّلطانية بالرتبة الثانية من المرتبة الثالثة مما صورته بالمجلس العالي مع صدرت، ورسم المكاتبة إليه صدرت هذه المكاتبة إلى "المجلس العالي، الأميريّ، الكبيريّ، العضديّ، الذّخريّ، النّصيريّ،..." والعلامة الشريفة له والده وتعريفه النائب بالرّحبة[٤٥]. وتختلف صيغة الكتابة إليه من أعيان الدّولة في الدّيار المصرية فيكتب له عن نائب السلطان ما صورته "اليد الشريفة، أو الكريمة، أو العليا"[٤٦]. ويكتب إليه عن نائب الشّام "أعزّ الله تعالى نصرة المقرّ الكريم"[٤٧]

ليس لدينا إلّا معلومتان تُشيران صراحة إلى أن رتبة نائب الرّحبة كانت طبلخانة[٤٨]، المعلومة الأولى: يذكر القلقشنديّ أثناء حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الأولى (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م): "ولم تزل إمرتها طبلخانة بمرسوم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية ابن قلاوون إلى الأن"[٤٩]، أي منذ أن تولّى الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة الفترة الأولى إلى أيام القلقشنديّ المتُوفّي سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م. إلّا أنَّ القلقشنديّ لم يجانبه الصواب في التعميم لهذه الفترة الطويلة، فقد تولّاها الأمير ططق الأحمدي بتقدمة ألف[٥٠] سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م[٥١]، كما تولّاها بتقدمة ألف أيضاً سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م على الأمير مَلَك طاز[٥٢] وكلف

بنيابة الرّحبة بعد عزل السلطان برقوق وأعاده السلطان أمير حاجي بن شعبان في سلطنته الثانية (٧٩١-٧٩٣هـ/ ١٣٨٨-١٣٨٩م)[٥٣]. والثّانية: أثناء حكم السلطان برقوق في سلطنته الأولى (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢- ١٣٨٨م)[٥٤].

ونستخلص من المرسوم الشريف بنيابة السلطنة بالرّحبة أنَّ على النائب العمل على تجنيد العساكر للدفاع عن أراضي النيابة وحمايتها من الاعتداءات الداخلية والخارجية، والاهتمام بطرق البريد وتزويد السلطنة بالأخبار عن تحركات العدو، والعناية بالمزارعين ومراعاة أحوالهم والعمل على اتخاذ كافة الإجراءات التي تحد من مخاطر فيضان نهر الفرات[٥٥].

ومن خلال استعراض تراجم النواب الذين تعاقبوا على نيابة السلطنة في الرّحبة نلاحظ أنه بلغ عدد مّمن توفرت المعلومات عنهم إثنين وثلاثين نائباً شغلها سبعة وعشرون لمرة واحدة، وتولّاها اثنان لفترتين هما: الأمير بدر الدين بكتوت القرماني ولا نعرف متى تولّى وعزل في الفترة الأولى، وأما الثانية فتولّاها في الفترة ما بين سنة (٧١٣-٧١٨هـ/ ١٣١٣-١٣١٨م)، والأمير سيف الدين قرابغا تولّاها في الفترة ما بين (٧٧٠-٧٧٩هـ/ ١٣٦٨-١٣٧٧م) وتولّاها أثنان لثلاث فترات هما: الأمير علاء الدين علي بن الأمير الكبير سيف الدين بلبان البدري، ولا نعرف تاريخ تعيينه وعزله في الفترتين الاوليتين، ولكنه طلب الإعفاء من الفترة الثالثة، وأُعفي سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، والأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين الأبو بكري، إلّا أننا لا نعرف متى عين وعزل في الفترات الثلاث، وتولّاها عدة مرات دون تحديد عددها الأمير صلاح الدين المعروف بمحمد بن أيبك الطويل، إلّا أننا لا نعرف متى عين وعزل في الفترات التي تولّاها. وتولّاها بالوارثة الأمير علاء الدين علي عن أبيه الأمير الكبير سيف الدين بلبان البدري.

وعين أثنان منهم ولم يباشرا مهامهما بسبب رفض النواب المعزولين تنفيذ قرار العزل بمساعدة أمير العرب نعير بن حيار[٥٦] وهما: الشيخ علي ولا نعرف السنة التي كلف بها بنيابة الرّحبة، والأمير موسى الذي عُيّن سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م. وقَبلَها الأمير أبو محمد عز الدين أيبك بن عبدالله الاسكندراني مكرهاً. وطلب الأميران (علاء الدين علي بن بلبان البدري سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، والأمير أحمد بن طيبغا سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) الإعفاء منها وأعفيا. وقبض على ثلاثة منهم وسجنوا،

وأُفرج عن أثنين منهم وهما: الأمير موفّق الدّين خضِر ابْن محاسن الرّحبيّ سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، والأمير بدر الدين بكتوت القرماني في الفترة ما بين (٧٢٦-٧٣٤هـ/ ١٣٢٥-١٣٣٣م)، والثالث الأمير سيف الدين قشتمر توفي مسجوناً سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م. وشارك اثنان منهم في حركات التمرد والعصيان ضد السلاطين المماليك وهما: الأمير طشتمر القاسمي سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م، والأمير مَلَك سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م[٥٧]. ولعلّ هذا التبدل السريع في نقل وعزل النواب في النيابة مرده تباين مواقفهم من الصراعات السياسية الخارجية وخاصة مع المغول إضافة الى دورهم في حركات التمرد والعصيان الداخلية، ومدى رضى أمراء العربان عنهم وقبولهم الخضوع تحت إمرتهم.

٢- نيابة القلعة: توجد في مدينة الرّحبة قلعة تقع فوق الحافة اليمنى لنهر الفرات، وهي مبنية فوق تلٍ يرتفع عن السهل المجاور ما يقارب العشرين متراً، وللزّيادة في تحصينها بُنيت من الحجارة الملساء ليصعب تسلقها، وحفر حولها خندقاً، وأُحيطت بسور خارجي مخمس الأضلاع، ومدعّم بأبراج مربّعة الشّكل من طابقين بُنيا بالحجارة والأجر، ولها بوابة واحدة من الزاوية الشّمالية الغربية تؤدي إلى ممر مُقَبَّى يقود إلى الباحة الرئيسية، ومنه ينفذ إلى الطوابق السفلى حيث المستودعات في الطابقين الأول والثاني، أما الثالث السفلي فمُخصص لخزن مياه الأمطار التي ترد إليه بقنوات خاصة. وعمّر مالك بن طوق القلعة في خلافة المأمون[٥٨]، وبعد دمارها في زلزال عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م[٥٩] جددها ورممها أسد الدين شيركوه أثناء ولايته لحمص ومضافاتها في عهد نور الدين زنكي[٦٠]، واستمر حكم آل شيركوه لها حتى وفاة الملك الأشرف سنة ٦٦٢هـ/ ١٣٦٣م، إذ اصبحت تولية نوابها بمرسوم شريف من السلطان في مصر.

وعندما كانت نيابة قلعة الرّحبة طبلخاناة كان يُكْتَب لنائبها على النحو الآتي: "مرسوم شريف بأن يستقرّ المجلس السامي الأمير فلان، أدام الله تعالى تأييده في النيابة بمكان كذا، على عادة من تقدّمه في ذلك وقاعدته"، أو كان يَكْتَب: "مرسوم شريف أن يستقرّ المجلس السامي الأمير فلان الدين فلان، أدام الله تعالى تأييده في النيابة بمكان كذا، على عادة من تقدّمه في ذلك وقاعدته"[٦١]. وعندما كان نائبها من مقدمي الألوف فقد تغيّرت صيغة الكتابة وصار يُكْتَب له على النحو الآتي: "مرسوم

شريف بأن يستقرّ المجلس العالي الأميريّ الفلانيّ فلان، أدام الله تعالى نعمته، في المكان الفلانيّ على عادة من تقدّمه في ذلك وقاعدته"[٦٢]. وممن تولّى نيابة قلعة الرّحبة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م الأمير سيف الدين أبا بكر بلبطي البانيري، وهو الذي كلف بعمارة قلعة جعبر، فأتم عمارتها وفق ما طُلب منه، تغنّى النّاس بفضله، وأخذوا يرددون شعراً:

يا باذلاً في جعبر جهده
ما خيب السلطان مسعاكا
عوضك الرّحبة عن ضيق ما
قاسيت قد أفرحنا ذاكا[٦٣].

٣- ولاية البَر: أحدى وظائف أرباب السيوف، ومهمة صاحبها المحافظة على الأمن في أنحاء الولاية. ويتولّاها موظف يُسمى الوالي، وغالباً ما يكون من أُمراء العشرات[٦٤]. ومن الشواهد التاريخية على وجود هذه الوظيفة تولية الأمير حسام الدين لاجين -أحد مماليك نائب الرّحبة الأمير علم الدين سنجر الغتمي- ولاية البَر مدة من الزمن، ونقل منها إلى ولاية البقاع، ثم ولاية نابلس، ثم رقّي وكلّف بنيابة الرّحبة[٦٥].

٤- تقدمة البريد: من وظائف أرباب السيوف، وتهتم بشؤون البريد لإبلاغ النائب بما يجري في النيابة وايصال الأخبار إلى السلطان، ورُتبة من يتولّاها أمير خمسة أو أمير عشرة أو أمرة خمسة وجندي، ويُكْتَب لكلّ منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته[٦٦]. ووجود العديد من المراكز البريدية في النيابة يعني بالضرورة وجود هذه الوظيفة. وإن لم تتوفر معلومات عن أشخاص باشروا مثل هذه الوظيفة.

٥- خزندارية القلعة: خزندار مصطلح من لفظين احداهما عربي وهو "خزنة"، والثاني فارسي وهو "دار"، ومعناه ممسك، فيصبح المعنى ممسك الخزانة[٦٧]. وتعني بحفظ وصيانة خزائن السلاح بالقلعة[٦٨]. ووجود القلعة يفترض وجود هذه الوظيفة. إلّا أنّه لم يُعثر على شواهد تاريخية تتعلق بالوظيفة.

٦- المهمندارية: وهي من وظائف أرباب السيوف الصغرى، وتهتم باستقبال الرسل القادمين للنيابة. ويفترض وجود مثل هذه الوظيفة كون نيابة الرّحبة أول محطة لاستقبال السفارات والرسل والضيوف القادمين من جهة الشرق للسلطنة المملوكية، ومن الشواهد على ذلك أنه في سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م تمت مخاطبة السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا (٦٩٤-

٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م) بالبريد من الرّحبة، لاستئذانه بدخول عشرة الأف جندي كانوا قد فروا من جيش غازان إلى ديار السلطنة، وأنهم يرغبون الدخول في الإسلام، وبعد موافقة السلطان الملك العادل بدخولهم كلّف العديد من الامراء في كلّ من دمشق والرّحبة ليكونوا في استقبالهم في مدينة الرّحبة، ومن ثم مرافقتهم إلى دمشق ليحتفل بقدومهم هناك[٦٩]. ومما يُؤكد على وجود هذه الوظيفة؛ أنّه في سنة ٧٢٩هـ/ ١٤٢٨م أرسل السلطان أبو سعيد[٧٠] خان المغول أحد أُمرائه لمقابلة السلطان الناصر محمد بن قلاوون لطلب يد ابنته للزواج من سيده السلطان أبي سعيد، وعندما نزل في مدينة الرّحبة لم يسمح له بالدخول إلّا بعد موافقة السلطان على مقابلته في القاهرة[٧١].

وكذلك كانت الرّحبة المحطة الأولى التي وصلها السلطان أحمد بن أويس[٧٢] سلطان الدولة الجلائريّة (٧٨٤-٨١٣هـ/ ١٣٨٢-١٤١٠م) بعد هزيمته سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م أمام جيوش تيمورلنك (٧٢٨-٨٠٧هـ/ ١٣٢٨-١٤٠٧م) حيث أبلغ نائبها والأمير نعير بن حيار السلطان المملوكي بوصول السلطان أحمد الرّحبة، وبرغبته في لقائه في القاهرة، فأذن السلطان له وأمر بإكرامه وحسن استقباله، فاستضافه الأمير نعير في بيوته بالرّحبة، وذهب معه إلى حلب لتوديعه وهو في طريقه إلى القاهرة[٧٣]. واستؤذن كذلك السلطان ثانية بشأن أحمد بن أويس في ١٦ شعبان سنة ٨٠٢هـ/ ١٢ نيسان ١٤٠٠م الذي وصل الرّحبة هارباً هو وأفراد أسرته من المغول، ولم يُؤذن له بالدخول إلّا بعد موافقة السلطان في القاهرة[٧٤]. كما وكانت مدينة الرّحبة الثغر الحدودي الأول من جهة الشرق الذي أقام فيه موفد تيمور لنك سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م ومعه مطالعات إلى المشايخ والقضاة بالشّام ومصر يطلب منهم تطبيق عقوبة القصاص بحق من قتلوا رسله بالرّحبة قبل عام[٧٥]. وفي حال دخول طالبي اللجوء دون موافقة السلطان فيكون دخولهم عُرضة للنهب والسلب من قبل العُربان، فعندما دخل صاحب تبريز قرا يوسف التركماني[٧٦] الرّحبة دون استئذان فاراً بأهله من ملاحقة تيمورلنك سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م نهبته عربان نعير بن حيار، وفرّ إلى نائب دمشق الذي أكرمه وتشفَّع فيه لدى السلطان فقبل شفاعته، وسمح له بالبقاء في بلاد الشّام[٧٧].

ومثلما كانت الرّحبة محطة لاستقبال زوار السلطنة فقد كانت أيضاً المدينة التي

يُودع فيها ضيوفه ورسله وهم في طريقهم إلى بغداد، ففي سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م رافق السلطان أحمد بن أويس من دمشق نائبها إلى مدينة الرّحبة لتوديعه وهو في طريقه إلى بغداد(٧٨).

ومن وظائف أرباب السيوف التي يفترض وجودها في نيابة الرّحبة نقابة الجيش التي تتولّى الإشراف على اقطاعات الجند، ونقابة القلعة التي تشرف على حفظ وصيانة القلعة، وشدّ الأوقاف وأحباسهم التي تشرف على شؤون الأوقاف، والحجوبية والتي تعنى بالانصاف بين الامراء والجند، وعرض الجند، والداوادارية وتطّلق على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، وشدّ الدواوين والتي تعنى باستخراج الأموال السلطانية من الجهات المترتبة عليها ومن يتولّاها يكون رفيقا لناظر الناظر أكبر موظفي أرباب الأقلام(٧٩).

ثانياً: الوظائف الديوانية (وظائف أرباب الأقلام)

١- نظر الرّحبة: هي أعلى الوظائف الديوانية في النيابة، ويُكْتَب له مرسوم شريف من السلطان مباشرة، ومهمته في الغالب استشارية تتحول إلى تنفيذية بحسب مكانة الناظر وقوة شخصيته(٨٠). ووجود كُتّاب "توقيع بنظر الرّحبة" يؤكّد وجود مثل هذه الوظيفة، والتي مهمة صاحبها تقصّي أخبار النيابة وتتبع أحوالها، واتخاذ ما من شأنه توفير سُبل الراحة لسكانها بتفريج همومهم ومراعاة أحوالهم(٨١).

٢- ديوان الانشاء: ويختص هذا الديوان بجميع المراسلات والمُكاتبات التي كانت ترِد إلى نائب السلطنة وتصدر عنه، ويُطلق على الموظفين في هذا الديوان اسم كُتّاب الدُرْج أو الدَست أو الموقّعين(٨٢). ويُشترط في الكاتب معرفة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولدية اطلاع على أخبار الأمم الماضية، وعنده معرفة بأيام العرب ووقائعهم، ويمتلك ناصية اللغة، ويتصف بالبلاغة والفصاحة(٨٣). وممن تولّى التوقيع وكتابة الدُرْج بديوان الانشاء في مدينة الرّحبة: صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفديّ(٨٤) نقلاً من كتابة الدُرْج في مصر بمشورة من كاتب السر في نيابة دمشق القاضي الكاتب الرئيس، شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن القاضي شهاب الدين(٨٥)، ويفترض أنه باشر مهام وظائفه في الرّحبة منذ سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م لمراسلته زملائه في دمشق والقاهرة من مدينة الرّحبة، وتبادله معهم أشعار المديح والوداع، واستمر في عمله بالرّحبة حتى صدر قرار نقله إلى دمشق سنة ٧٣١هـ /

١٣٣٠م[٨٦]، والكاتب كمال الدين محمد بن أحمد بن يعقوب أبو عبدالله الدمشقي[٨٧]، الذي باشر وظيفة التوقيع مدة بعد نقل الصّفديّ ثم رجع إلى دمشق[٨٨]، وممن تولّى وظيفة التوقيع في ديوان الانشاء في الرّحبة أيضاً القاضي زين الدين أبو حفص الصّفديّ[٨٩] بتكليف من ملك الامراء الأمير تنكز[٩٠]، وبتزكية من القاضي شمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود[٩١].

ويرتبط بديوان الانشاء وبكاتب السر مباشرة مرفق البريد، ومهمة صاحبه إبلاغ مقر السلطنة في القاهرة بالأحداث المتجددة في النيابة، وتلقي الرسائل الواردة منها والرد عليها[٩٢]. ولأهمية مرفق البريد كوساطة للاتصال بين مركز السلطنة المملوكية في القاهرة والنيابات التابعة إليها كافة؛ حرص السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م على تنظيم البريد لمعرفة أخبار الولايات، وخاصة الحصون التي تقع بالقرب من أرض العدو في الأسبوع مرتين على الأقل[٩٣] للوقوف على تحركات وهجمات أعداء السلطنة من المغول على أراضي النيابة، ولإبلاغ المراسيم السلطانية وإيصالها للنواب للعمل على تنفيذها، وخاصة ما يتعلق بإظهار الزينة، وإقامة الاحتفالات احتفاءً بالنصر على الأعداء[٩٤].

وكانت أنظمة البريد الثّلاثة موجودة في نيابة الرّحبة، وهي: (البريد العادي، والحمام الزاجل، والمناور)، وجميعها كانت تشكلّ خط نهاية مراكز البريد من الجهة الشرقية للسلطنة المملوكية.

أ- البريد العادي: يعتمد على خيل البريد، لذلك بنيت محطات البريد بين القاهرة ونياباتها في الشّام، وخُصّص لكلّ محطة مساكن ومسجد وخان لتزويد الخيل والدواب بالماء والعلف[٩٥].

ترتبط نيابة الرّحبة بخط بريدي مع القاهرة يمر عبر نيابة دمشق وهو من دمشق: إلى القطيفة-خان العطنة-جليجل- المصنع- القريتين- الحسير-البيضا-تدمر-أراك- السخنة-قباقب-كواثل (وقد تعطل)- الرّحبة، وهي نهاية الحد الشرقي للسلطنة المملوكية[٩٦].

ب- الحمام الزاجل: اعتنى المماليك بالحمام الزاجل لسرعة نقل الأخبار المهمة، وبنوا له محطات بها أبراج يقوم على رعايتها موظفين يتبعون لحكام المناطق التي توجد بها الأبراج[٩٧].

وترتبط نيابة الرّحبة مع القاهرة عبر نيابة دمشق بالأبراج الآتية: من دمشق

يُسرَّح الحمام عبر طريق حلب إلى- القريتين-تدمر-السخنة- (وتعطل تدرج السخنة إلى قباقب وصار يسرج ببطائق تدمر)- قباقب- الرّحبة[٩٨].

ج- المناور والمحرقات: أُقيمت المناور على رؤوس الجبال أو فوق الأبنية السكنية العالية لإشعال النار ليلاً وإيثارة الدخان نهاراً، ابتداءً من مدن الثغور الواقعة على الحدود مع بلاد العدو كالرّحبة وصولاً إلى مقر السلطنة في قلعة الجبل بالقاهرة، وذلك لوقوف السلطان وبسرعة على آخر أخبار تحركات التتار، إذا هددوا أراضي بلاد الشّام. وعين في كلّ منور عدد من الموظفين يتقاضون رواتب معينه لرؤية ما وراءهم، وإيراء ما أمامهم، فقد كان ينور أو يدخن من عانة فيُرى في: خربة الروم أو بالجرف -وادي الهيكل-القناطر- الرّحبة- كواثل- منظرة قباقب- حفير أسد الدين- السخنة -منظرة أراك-البويب- تدمر-منظرة البيضاء-الحير جليجل - القريتين-العطنة -ثنية العقاب-مئذنة العروس (الجامع الأموي)- فيرفع لما حولها ومنها إلى قلعة الجبل في الديار المصرية عبر محطات معتمدة[٩٩].

٣- نظر ديوان الجيش: ومهمته الاعتناء بشؤون العسكر المحلية، وأقطاعاتهم لتسجيلها بديوان الجيش بالقاهرة[١٠٠]. ويفترض وجود هذه الوظيفة في نيابة الرّحبة لوجود بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين فيها[١٠١]. كما ويفترض وجود وظيفة ناظر المال للإشراف على واردات النيابة ونفقاتها[١٠٢]، وناظر الأسواق لوجود سوق مشهور بالرّحبة يعمل فيه العديد من الأشخاص ممن يمارسون مهنة الدلالة[١٠٣].

ثالثاً: الوظائف الدينية:

١- القضاء: القضاء من أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدراً، وموضوعه الفصل بالخصومات والمنازعات.

وفق الأحكام الشرعية، ولعلو مكانة القضاء فإنَّ تولية القُضاة من قبل السلطان[١٠٤]. ورث المماليك النظام القضائي عن الأيوبيين إلى أن أوعز الظاهر بيبرس بتعيين أربعة قضاة بالتدرج في كلّ نيابة بحسب المذاهب السنية الأربعة[١٠٥]، ومن خلال استعراض سير قُضاة الرّحبة التي اسعفتنا بها ما حوته بطون الكتب التي بين أيدينا، نستخلص أنَّ المذهب الوحيد والسائد فيها هو المذهب الشافعي؛ ربما لأنه مذهب غالبية أهل الشّام، ومذهب الدولة الرسمي. وممن تولّى قضاء الرّحبة: القاضي

مجد الدين الرحبي[١٠٦] الذي تسلم قضاء الرّحبة من والده ولكننا لم نتمكن من العثور لهما على ترجمه تُمكّننا من تحديد الفترة الزمنية التي تولّيا فيها قضاء الرّحبة، ولكن من المفترض انهما باشرا الوظيفة قبل وريثهما القاضي اسحاق بن اسماعيل[١٠٧] الذي استقر في قضاء الرّحبة تقريباً في حدود سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، واستمر يحكم فيها أربعين سنة متتالية إلى أن نُقل إلى نيابة الخطابة في دمشق سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م[١٠٨]، وعُيّن القاضي شمس الدين الأخنائي[١٠٩] في قضاء الرّحبة ولا نعرف متى تم تعينه إلّا أنه نُقل منها إلى قضاء زُرَع[١١٠] سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م[١١١]. كما وولي قضاء الرّحبة القاضي ابن مكتوم[١١٢] عدة سنين ونُقل منها إلى مدينة حلب[١١٣]، ولم نتمكن من معرفة متى عُيّن ومتى نُقل.

٢- وكالة بيت المال:

وظيفة دينية جليلة يتولّاها موظف يُسمى بوكيل بيت المال، ومهمته الإشراف على مبيعات ومشتريات بيت المال من أراضي وعقارات وغيرها، وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويشترط فيمن يتولّاها العمل وفق الشريعة الإسلامية في إدارة بيت المال، ومراقبة ومتابعة من يستأمنهم على العمل فيه[١١٤].

عُرفت هذه الوظيفة في الرّحبة مضافة إلى كُتّاب التوقيع حيث تولّاها صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفديّ في عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م وبعد نقله منها سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م، تولّاها عوضاً عنه محمد بن أحمد بن يعقوب ونُقل منها بعد سنة واحدة [١١٥].

النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- لم تخضع مدينة الرّحبة مباشرة للحكم المملوكي كما خضعت بعض مدن بلاد الشّام، فقد استمر فيها حكم آل شيركوه الموالي للأيوبيين، والمتواطئ مع المغول بقيادة هولاكو الذي قدم لحلب سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م.
- تمكّن المظفر قطز من اقناع الملك المجاهد بعدم الوقوف إلى جانب المغول في حروبه معهم، والتزام الحياد مقابل ان يقرّه على ما بيده من حمص وما يضاف اليها من الرّحبة وتدمر وتل باشر.

- خضعت مدينة الرّحبة والتي كانت من مضافات نيابة حمص كبقية نيابات بلاد الشّام للمماليك في أعقاب هزيمة المغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م.
- أصبحت مدينة الرّحبة نيابة مستقلة إدارياً عن مدينة حمص وتتبع مباشرة للسلطان المملوكي في أعقاب وفاة آخر ملوكها من أسرة آل شيركوه الملك الأشرف موسى سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣ م.
- اهتمّ المماليك بمدينة الرّحبة واعتنوا بها؛ إذ أصبحت من الثغور المملوكية التي أقيمت على حدود ديار السلطنة الشمالية الشرقية وذلك لمواجهة المغول، ولمراقبة أعداء السلطنة المملوكية، كما وأصبحت المحطة الرئيسة التي يستقبل ويودع منها الوفود الرسمية، والضيوف، والسفراء وغيرهم ممن يفدون على السلطنة بقصد اللجوء والحماية أو لمقابلة السلطان.
- تناوب على نيابة السلطنة ثلاثة وثلاثون نائباً أدّى منهم ثلاثون نائباً بواجباتهم تجاه السلطنة بتطبيق وتنفيذ المراسيم السلطانية الموجهة إليهم، وشارك اثنان منهم في حركات التمرد والعصيان ضد السلاطين المماليك.

الملاحق: ملحق رقم (١) نواب الرّحبة:

١-**الملك الأشرف مظفر الدين موسى الأشرف بن المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين** شيركوه ابن ناصر الدين محمد أسد الدين شيركوه الكبير (٦٢٧-٦٦٢هـ/ ١٢٣٠-١٢٦٣م)، وكان يُلقب بالملك المظفر كانت ولايته على حمص والرّحبة سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م، وأقره المظفر قطز على حمص ومضافاتها من الرّحبة، وبقي يحكمهم حتى وفاته بحمص في العشرين من صفر سنة ٦٦٢هـ/ كانون أول ١٢٦٣ وآلت املاكه جميعها بما فيها الرّحبة إلى الملك الظاهر بعد وفاته مباشرة[١١٦].

٢- **الأمير عز الدين بيلك العلائي**: أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس كلّفه السلطان بيبرس لاستلام مدينة حمص والرّحبة بعد وفاة الملك الأشرف موسى بسبعة أيام أي في السابع والعشرين من صفر سنة ٦٦٢هـ/ ٣٠ كانون أول ١٢٦٣م، وأرسل ليه عشرين ألف دينارٍ لمساعدته في تسيير أمورها[١١٧].

٣- **إبراهيم بن عبدالرحيم بن علي بن اسحاق بن علي بن شيث أبو اسحاق كمال الدين القرشي الأمويّ:** ولي نيابة الرّحبة في الأيام الظاهرية بعد وفاة الملك الأشرف موسى سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م فترة قصيرة من الزمن ونقل منها إلى بعلبك ليتولّى نيابة مدينتها وقلعتها، وتوفي وقد جاوز الستين في ١٤صفر سنة ٦٧٤هـ/ ٩ آب ١٢٧٥م، ودفن بمقابر بعلبك[١١٨].

٤-**الأمير أبو محمد عز الدّين أيبك بن عبدالله الاسكندراني، الصالحي:** نقل من بعلبك في عهد الظاهر بيبرس ليتولّى الرّحبة، وأعمالها وما جاورها في منتصف شهر رمضان سنة ٦٦٣هـ / الأول من تموز ١٢٦٥م فتوجه إليها مكرهاً بعد أن زاد الملك الظاهر بيبرس أقطاعه. فاستولّى على حصن قرقيسيا وقتل من كان فيها من التتر والكرج وأسر اكثر من ثمانين رجلاً[١١٩]، وما إن باشر مهام وظيفته تجرد لكشف أخبار بلاد العدو، وقام بشن الغارات على العدو، وقطع الطريق على سفارتهم. وتُوفّي في قلعة الرّحبة في ٢٤ رمضان سنة ٦٧٤هـ/ ١٢ أذار ١٢٧٥م، ودفن بظاهرها وهو في الستين من عمره[١٢٠].

٥- **الأمير موفّق الدّين خضِر بْن محاسن الرّحبيّ:** من أهل الرّحبة، كان في خدمة الملك الأشرف موسى، وتربطه ايضاً صداقة مع أمير العرب عيسى بن مهنا. استغل علاقاته وما كان يقدمه من هدايا للأمراء ليتولّى نيابة الرّحبة فتولّاها بعد وفاة أيبك الاسكندراني، ورفض موافقه سنقر في حركة التمرد والعصيان التي تزعمها. اعتقل بتهمة السرقة، وتوفي بدمشق سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م وقد قارب السبعين[١٢١].

٦- **أيبك البغدادي الأصل، المنصوري:** ولي نيابة الرّحبة ومنها نقل ليتولّى الوزارة في العاشر من محرم سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، وتوفي سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م[١٢٢].

٧- **علم الدين سنجر الغُتّمي:** كان نائباً بالرّحبة في العشر الأواخر من شهر رجب سنة٦٩٨هـ/ ٢٣ نيسان ١٢٩٩م واستمر بها حتى سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣ م[١٢٣]، اتّصف بالحنكة والسّياسة وهو الذي اقنع غازان بعدم منازلة الرّحبة لأنها لا تليق بمقامة[١٢٤].

٨- **الأمير بدر الدين (موسى) محمد بن أبي بكر الأزكشي**: جهزه الأمير الكبير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشّام[١٢٥] ليتولّى نيابة الرّحبة سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م واستمر فيها عشر سنوات[١٢٦]. وعزل سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م وأُعطي أمرة بدمشق، وتوفي فيها في شعبان سنة ٧١٥هـ/ تشرين ثاني ١٣١٥م[١٢٧].

٩- **الأمير بدر الدين بكتوت القرماني:** تولّى نيابة الرّحبة مرتين المرة الأولى لا نعرف متى تولّى ولا متى عزل، أما الثانية فقد كانت مباشرته لها بعد عزل الأمير بدرالدين موسى الأزكشي في الأول من محرم سنة ٧١٣هـ / ٢٨ نيسان ١٣١٣م واستمر فيها إلى أن نقل إلى حمص سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م ومن بعدها نقل إلى نيابة صفد[١٢٨] واستقر بدمشق وسجنه الأمير تنكز وأفرج عنه سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م[١٢٩].

١٠- **طغر بك الأنصاري:** تولّى النيابة بعد نقل الأمير بكتوت القرماني سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م[١٣٠].

١١- **الأمير حسام الدين لآجين الغتمي نائب الرّحبة**: كان من مماليك الغتمي" علم الدين سنجر" نائب الرّحبة، نشأ في مدينة الرّحبة، وعمل بها في ولاية البر مدة. ونقل إلى ولاية البقاع، ثم إلى ولاية نابلس، وأظهر من حسن الإدارة والكفاية مما أثار اعجاب الأمير تنكز. التزم للأمير تنكز أن سعى له بنيابة الرّحبة أن يقوم بحمايتها والدفاع عنها دون الاستعانة بالعسكر الدمشقي، فأحبه الأمير تنكز وكتب للسلطان بذلك فأعطاه السلطان إمرة طبلخانة وولاه نيابة الرّحبة، ووفّى بما إلتزم به وحكمها بحزم وشدّة، وضيّق على المخالفين، وسفك دماءَهم، ولكثرة بطشه شكا منه آل مهنا إلى السلطان إلّا أن السلطان لم يستجب لشكواهم، وخلع عليه وأعاده للرحبة نائباً مكرماً، وباشرها أثناء نيابة تنكز للشام، واستمر فيها حتى وفاته بالرّحبة في شهر شَوَّال سنة ٧٣٤هـ/ حزيران ١٣٣٤م[١٣١].

١٢- **الأمير علم الدين سنجر بن عبدالله الحمصيّ**: تنقّل في الوظائف بين مصر والشّام وباشر نيابة الرّحبة بجدّ واخلاص، فعمل على اصلاح أحوالها وتنظيم أمورها، وأحسن إلى اهلها، وأنفق فيهم مستحقاتهم كاملة بعفّة

وأمانة، ورغم أنّنا لا نعرف السّنة التي كلّف فيها بنيابة الرّحبة إلّا انّه استمر حتى صدور مرسوم نقله إلى طرابلس سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٤٢م، وتوفي قبل أن يدخلها في العام نفسه(١٣٢).

١٣- **الأمير سيف الدين ينغجار (ينغجال) الناصري**: أخو الأمير سيف الدين آرغون الدوادار الناصري، تولّى نيابة الرّحبة نقلا من نيابة قلعة دمشق اثناء ولاية الأمير سيف الدين يلبغا(٧٤٦-٧٤٨هـ/ ١٣٤٥-١٣٤٧م)، وتوفي في ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٤٨هـ/ ٢٦ آب ١٣٤٧م(١٣٣).

١٤- **ناصرالدين محمد بن شهري**: تولّى نيابة الرّحبة لا نعرف السنة التي تولّى فيها إلّا أنه عزل منها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م(١٣٤).

١٥- **الأمير سيف الدين طقتمر بن عبدالله الشريفي**: كلّفه الأمير آرغون شاه نائب الشّام (٧٤٨-٧٥٠هـ/ ١٣٤٧-١٣٤٩م) بالتوجه إلى نيابة الرّحبة بعد عزل نائبها ناصرالدين محمد بن شهري سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م وعزله بعد فترة قصيرة(١٣٥).

١٦- **الأمير علاء الدين بن البدري**: تولي نيابة الرّحبة بعد عزل الأمير طقتمر سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م(١٣٦).

١٧- **الأمير صلاح الدين المعروف بمحمد بن أيبك الطويل**: تنقّل في الولايات أيّام الأمير تنكز، وتولّى نيابة الرّحبة عدة مرات لم تذكر تواريخها وتُوفّي بطاعون صفد سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م(١٣٧).

١٨- **أزدمر النوري**: كان نائباً بالرّحبة سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، ولرفضه التعاون مع حيار بن نعير بتسليم البدو الذين لجأوا لنيابة الرّحبة فكاتب الأمير حيار السلطان يخبره بفعلته فعزله في السنة نفسها(١٣٨).

١٩- **الأمير علاء الدين علي بن الأمير الكبير سيف الدين بلبان البدري**: تنقّل في الولايات بين ولاية نابلس وولاية الصّفقة الشرقية، وكان والده نائباً للرحبة ولسيرته الحسنة، وأمانته وعفّته وُلّي نيابة الرّحبة ثلاث مراتٍ الأولى عزل منها وأقام في دمشق، ثم أعيد ثانية إلى الرّحبة وعزل ليتولّى الصّفقة الشّرقية، وأعيد بمرسوم سلطاني للمرة الثالثة ولمرضه طلب الإعفاء فأعفي بالأمير بن الزيبق، وتوفي بعد اعفائه بشهرين عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م(١٣٩).

٢٠- **الأمير ناصِرالدّين مُحَمَّد بن دَاوُد بْن الزيبق**: تولّى نيابة الرّحبة سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م وأقام فيها قرابة السنتين، وعزل منها وأقام بدمشق متنقّلاً في وظائفها، إلى أن توفي في أول شهر رمضان سنة ٧٥٦هـ/ ٩ أيلول ١٣٥٥م[١٤٠].

٢١- **طشتمر القاسميّ**: كان نائباً بالرّحبة في فترة سلطنة الملك الصالح صالح بن الناصر محمد (٧٥٢-٧٥٥هـ/ ١٣٥١-١٣٥٤م) وقد وافق نائب حلب بيبغا أُرُس القاسمي[١٤١] عندما خرج عن الطاعة سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م[١٤٢]. ولا نعرف مصيره بعد القاء القبض هل عوقب بالسجن أم القتل متل بيبغا.

٢٢-**أحمد بن طيبغا**: الأمير شهاب الدين المعروف بابن أخي الفخري، أحد أمراء الطبلخانات بالشّام، توجه لنيابة الرّحبة، ثم طلب الإعفاء وأعفى ورجع إلى دمشق سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م، وتوفي في حمص يوم الثلاثاء في التاسع من رمضان سنة ٧٥٨هـ الموافق ليوم السبت ٢٦ آب ١٣٥٧م[١٤٣].

٢٣-**قشتمر**: الأمير سيف الدين قَشْتَمُر زَفَر تولّى نيابة الرّحبة سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م واستمر فيها حتى أمر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي عندما كان في دمشق سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م باعتقاله وسجنه بقلعة دمشق إلى أن توفي في ١٦ شوال ٧٦٢هـ/ ١٩ أب ١٣٦١م[١٤٤].

٢٤-**الأمير سيف الدين قطلو بن صاروجا**: عين نائباً بعد عزل سيف الدين قَشْتُمر سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م[١٤٥].

٢٥-**الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين الأبو بكري**: أخرجه الملك الناصر محمد من سجن الاسكندرية إلى الشّام، وفيها كلّف بتولي نيابة الرّحبة ثلاث مراتٍ، ورغم صعوبة تحديد الفترات الزمنية التي تولّى فيها الرّحبة، إلّا انه توفي في أواخر جمادي الأولى سنة ٧٦٢هـ/ ٣ نيسان ١٣٦١م[١٤٦].

٢٦-**الأمير سيف الدين ططق الأحمدي**: نسبةً إلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي، تنقّل في المناصب في بلاد الشّام ومصر، صحب السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي إلى دمشق وألبسه فيها تشريفا، وأعطي تقدمة ألف، وكلّفه بنيابة الرّحبة في أوائل شوال سنة ٧٦٢هـ/ آب ١٣٦١م فعمل على حماية ثغرها، وتوفي في ذي القعدة سنة ٧٦٣هـ / آب ١٣٦٢م[١٤٧].

٢٧-**الأمير بَكتمُر مَمْلُوك طاز**: تولّى نيابة الرّحبة وهو برتبة طبلخانة سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م[١٤٨].

٢٨-**الأمير سيف قرابغا العلائي نسبة إلى الأمير علي الماردِيني**: تولّى نيابة الرّحبة مرتين في الفترة ما بين ٧٧٠-٧٧٩هـ / ١٣٦٨-١٣٧٧م، وتوفي في دمشق في شعبان سنة ٧٨٦ه/ ١٣٦٤م[١٤٩].

٢٨-**الأمير مَلَك قريب الأمير سيف الدين جنتمر أخي الأمير سيف الدين طاز**: أستقر نائباً بالرّحبة بتقدمة ألف سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م، وخلع عليه السلطان أطلسين[١٥٠].

٢٩-**الشيخ علي**: عين نائبا لمدينة الرّحبة إلّا أن نائبها المعزول رفض تسليمها له بالاتفاق مع الأمير نعير أمير آل فضل[١٥١].

٣٠-**الأمير موسى**: تولي نيابة الرّحبة سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م وأرسل شخصاً من قبله ليتسلمها، ولكن نائبها المعزول رفض تسليمها له كما رفض تسليمها لأبن الشيخ علي بالاتفاق مع الأمير نعير[١٥٢].

٣١-**الأمير زين الدّين عمر بن شَهْري**: أستقر نائباً في الرّحبة في ٢٥ رجب سنة ٨٢٠هـ/ الموافق ٧ أيلول ١٤١٧م أتّفق مع الأمير حَدِيئة بن سيف أَمِير آل فضل على محاربة عذرا ومُوسَى ولديّ على بن نعير أثناء اقامتهما بالرّحبة. ولّما هربا أقَام الأمير حَدِيئة على الرّحبة وما أن توجه إلى تدمر أَتاهُ عذرا فِي نَحْو ثَلَاثَة الآف فَارس فحاربهم وكسرهم[١٥٣].

٣٢-**الأمير أرغون شاه الشرفي**: تولّى نيابة الرّحبة سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م وأحتال عليه الأمير عذراً ابن عَليّ بن نعير بن حيار وقبض عليه وَحمله إلى عانة[١٥٤].

ملحق رقم (٢) نسخة بنيابة الرّحبة:

الحمد لله الّذي أمدّنا بنصره، وشمل بجود سلطاننا أهل عصره، وأيّده بجنود أوّلها متّصل بأوّل عراقه وآخرها بآخر مصره، وفرّق بسهامه الأعداء في حواصل الطير بين حضنه وخصره. نحمده حمداً يقوم بشكره، ويحافظ على حسن ذكره، ويستعاذ به إلّا ممّا يدمّر على العدا من عواقب مكره، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة ترغم من جادله بكفره، وتمزّقه بين كلّ ناب سيف وظفره، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله مقيما لأمره، ومديما في الجهاد لإعمال بيضه وسمره، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه حملة سرّه، ونقلة هديه بأسره، صلاة باقية في الوجود بقاء دهره، راقية ارتقاء زهره.

وبعد؛ فإنّ الثغور بسدادها، والبحور بأمدادها، والنّحور لا تحلّى بأحسن من حلية نجادها، والممالك المحروسة لا تحرس

إلّا بشهب خرصانها، ولا تسقى بأنقع مما تطلّه من الدّماء سحب فرسانها، والفرات لا تحمى مواردها إلّا بأمثال سيوفها القواضب، ولا تمنع مخاوضها إلّا بدم خاضب، والحصون لا يرضى بها كلّ منجنيق غضبان إلّا بوصال مغاضب، والقلاع لا تتطلّع عيون ديادبها إلّا لمن ماء الكرى في جفونه ناضب، والمعاقل لا تسمح بعقائلها إلّا لمن هو على خطبتها مواظب؛ وكانت الرّحبة- حرسها الله تعالى- هي أوسع مكان رحابا، وأدنى إلى مطر سحاباً، وأوثق ما أغلق على البلاد باباً، وأقرب ما سمع حرّاسها في السماء دعاء مجاباً، قد ملئت سماؤها حرساً شديداً وشهبا، ومدّت كواكب الدلو واستقت من الغمام قلبا، وعدّت ما وراء المجرّة فعمّيت دونها المسالك، وحسبت للملك ونسبت إلى مالك؛ ومالك- لا أعني إلّا ابن طوق خازنها، ومنزل أمن وفي غاب الأسد مساكنها؛ وقد وقفت لبغداد في فم المضيق، وهمّت بلاد العدا أن تخوض الفرات إليها فقالت: ما لك إليّ طريق؛ قد افترّ في وجه العساكر المنصورة ثغرها الضّاحك، وردّ قرن الشمس فرعها المتماسك. فلما أغمد حسامها المسلول، وأقلع غمامها وكلّ هدب بالبكاء عليه مبلول- اقتضى رأينا الشريف أن نجدّد لعروسها زفافا، ولبيوتها أفوافا، ولسيوفها جلاء، ولسقوفها إعلاء، ونولّيها لمن تكون همّته فيها جديدة الشّباب، أكيدة الأسباب، ليكون أدعى لمصالحها، وأرعى لمناجحها، وأوعى لما يجمعه سمعه من مصالحها، وأسعى في حماية مماسيها ومصابحها؛ وكان فلان هو أصلب من في كنائننا الشريفة عودا، وأنجز وعودا، وأصدق رعودا، وأيمن إذا طلع نجمه في أفق سعودا.

فرسم بالأمر الشريف أن تفوّض إليه نيابة الرّحبة المحروسة، على عادة من تقدّمه وقاعدته؛ فليتول ذلك مقدّما تقوى الله والعمل بما شرع، واتّباع مراسمنا الشريفة فمثله من اتّبع، وحماية أطرافها، من كلّ طارق إلّا طارقاً يطرق بخير، وصيانة أكنافها، من كلّ عصابة محلّقة إلى جوّها كالطّير، وحفظها من عادية كلّ أفّاك وسفّاك، وبادية أعراب وأتراك، وكلّ فارس فرس وراكب بعير، وكلّ وقفة محاصر وحقطة مغير، وجانبي برّ وبحر: في أحدهما المسالك تعمى والأخر لا يعام، وصاحبي سرّ وجهر: هذا تخشى له عاقبة كلام وهذا معاقبة كلام. وليتخطّف من الأخبار ما تلمع لدينا بوارقه، ويتقطّف من الأقوال

ثمراتها ولا يدع كلّ ما تجمعه حدائقه، وليجعل له من المناصحين طلائع ما منهم إلّا من هو في انتهاب الأخبار أبو الغارات، ومن إذا ألجمه الخوف كان له في لمع البروق إشارات، وليتّخذ من الكشّافة من يسبق قبل أن يرتدّ إليه طرفه، ومن الخيّالة من لا يرتدّ عن وقذ الرّماح طرفه، ومن القصّاد من لا يطوي عنه خبراً، ومن الدّيادب من يعيره وقلّ أن تعار العيون نظراً، وليحفظ التّجار في مذاهبهم غدوّا ورواحا، ومساء وصباحا، وليستوص بهم خيرا فإنّهم طالما ازدانت بهم صدور الخزائن على امتلائها انشراحا، وليأخذ منهم ما لبيت المال فكم وجدوا بعطائه أرباحا، وليوصّل إلى أرباب القرارات ما لهم من مقرّر معلوم، وليعطهم ما تصدّقنا به عليهم وهو مشكور وإلّا أعطاهم وهو مذموم، وليعمّر البلاد بتوطين أهل القرى، وإنامتها بالعدل ملآنة الجفون من الكرى، وليكن للفرات متيقّظا لئلا يطغى بها التّيّار، ويغلب بمدّها المخمر على سكرها من السّكر الخمار، ويقوى على سدّها قبل أن لا يقدر على مقاواة البحار، ويتفقّد مبانيها فإنّها من أسنى ما تتفقّده الابصار، وليغلق زروعها لتكون: كَـزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وليعفّ فإنّ العفاف هو الغنى، وليؤمّن من يليه فإنّ الأمان هو المنى، وليقرّ ما استقرّ بيننا وبين القوم من صلح أكّدت أو اخيه، وأصبح كلّ من أهل الجانبين لا يفرّ من أخيه، ولا يرخّص لأحد فيما ينقضه لا في عاجل أمر ولا في تراخيه، حتّى إذا كشفت الحرب عن ساقها، وشدّت عقد نطاقها، فليكن بحسب مراسمنا الشريفة اعتماده في شنّ كلّ غارة، وسنّ كلّ ماض مرهفا غراره، وجوس خلال ديار العدا واختطاف كلّ قمر من دارة؛ والمحرقات، التي لا تحرق نباتا حتى تشبّ في ضلوعهم، والعيّارة، فهي الزّلازل الّتي تتساقط منها مباني ربوعهم، وموالاة البعوث: فإنّ كلّ بعث يتكفّل بشتات جموعهم؛ والعمل بكلّ ما ترد به مراسمنا العالية، والمواصلة بكتبه الّتي نرفض ما سوى أخبارها المتوالية، وإرسال كلّ بريد وحمام تحلّق بهما: إمّا ريح ظاهرة وإمّا ريح عادية؛ والله تعالى يقرب له الغايات المنادية، بمنّه وكرمه!. (القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٢، ص١٠٩- ١١٣).

ملحق رقم (٣) توقيع بنظر الرّحبة:

رسم بالأمر- لا زال مليء السّحاب، بسقيا الآمال الواردة، مملوء الرّحاب بكفاءة الأعمال السّائدة، مخدوم الممالك والأيام

بأقلام الدواوين الحاسبة وأقلام الدواوين الحامدة- أن يستقرّ...لكفاءته الّتي وافق خبرها الخبر، ونشر ذكرها نشر الحبر، وصناعة حسابه الّتي لو عاش أبو القاسم المعرّي لم يكن له فيها قسيماً، ولو عاصرها ابن الجرّاح بقدمه وإقدامه لانقلب عنها جريح الفكر هزيماً؛ بل لو ناواه الشّديد الماعز لذبح بغير سكين، والتّاج الطويل لرجع عن هذا التّاج الطائل رجوع المسكين. فليباشر ما فوّض من هذه الوظيفة إليه، ونبّه الأختبار فيها نظره الجميل وناظريه، جاريا على عوائد هممه الوثيقة، ماشيا على أنجح طريق من آرائه وأوضح طريقة، نازلاً منزلة العين من هذه الجهة الّتي لو صوّرت بشراً لكان ناظراً على الحقيقة؛ مفرّجا لمضايقها حتّى تكون كما يقال رحبة، مقتحما من حزون أحوالها العقبة وما أدراك ما العقبة؟ فكّ من رقاب السّفّار المعوّقين رقبة، وأطعم أرباب الاستحقاقات في يوم ذي مسغبة، وساعف بتيسير المعلوم كلّ كاتب ذي مترية، حريصا على أن يغني الديوان بوفره، وتغنّي حداة التّجار بشكره، وعلى أن يقوم رجال الاستخدام في المهمّات بنصره، وعلى أن تساق بفضّيّ قلمه الأموال أحسن سوق، وعلى أنّ يكون لأهل الرّحبة من احسانه مالك ومن جدوى تدبيره طوق؛ والله تعالى يوضّح في المصالح منهاجه، ويعلي على رؤوس الأوصاف تاجه. (القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٢، ص٤٠٧-٤٠٨)

ملحق رقم (٤): نسخة مطالعة نائب الرّحبة لنائب الشّام:

المملوك ينهي أنّ مطالعة نائب الرّحبة المحروسة وردت على المملوك يخبر فيها أن فلانا التّركمانيّ قد عاد إلى الطاعة الشريفة، ولاذ بمراحم الأبواب العالية، وأنه ما كان حمله على ما وقع منه من عدم المقابلة إلّا الخوف من السّطوات الشريفة، وأنه يسأل كتابة أمان شريف له ولجماعته ومن يليه بأن يكونوا آمنين على أنفسهم، وأموالهم، وسائر ذات يدهم، وأنه إذا وصل إليه الأمان قصد الأبواب السلطانية، وتمثل بالمواقف الشريفة، وامتثل ما تبرز به الأوامر المطاعة في أمره وأمر جماعته. والمملوك ينظر ما يرد به الجواب الشريف في أمره لكاتب نائب الرّحبة المحروسة بما يعتمده في أمره. (القلقشنديّ، صبح الأعشى، ج٨، ص٥٩).

الهوامش:

١ . اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥)، **ذيل مرآة الزمان**، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢، ص٢٣٠.

٢ . الرقة: مدينة مشهورة على نهر الفرات، وتعد من بلاد الجزيرة الفراتية بينها وبين حران ثلاثة أيام. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٥٨.

٣ . عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة الفراتية. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٧٢.

٤ . قَرْقيسيا: مدينة من مدن الجزيرة الفراتية تقع عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات إلى الشمال من الرّحبة بما يقارب ستة فراسخ تسلم حصنها نائب الرّحبة عزالدين الأسكندراني سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م بعد طرد التتر والكرج منه. ابن الفقيه، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني المعروف (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص١٨٠؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٨م) **معجم البلدان**، ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٤، ص٣٢٨؛ الدواداري المنصوري، بيبرس (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق، دَوْنالد س.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٠١؛ ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، ٣ج، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، ١٩٥٤م، ج٢، ص١٠٨٠.

٥ . مجموعة مؤلفين، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، بإشراف العماد مصطفى طلاس، مركز الدراسات العسكرية، ط١، ١٩٩٢م، م٣، ص٤٦٤.

٦ . ابن نظيف الحموي، محمد بن علي، (عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) **التاريخ المنصوري**، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره وتحقيقه أبو العيد دودو، راجعه عدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٨١م، ص٥٥، ٦٥، ٢٢١؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٢٨، ابن خلكان، أبو العباس احمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/ ١٤٠٦م) وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، ٧ج، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٧٩-٤٨١؛ الحنبلي، أحمد بن أبراهيم (ت: ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م، ص٤١٢.

٧ . ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) **تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣م، ص٥٢٦-٥٢٧.

٨ . ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص٥٢٦-٥٢٧؛ ابن نظيف، **الكشف والبيان**، ص٥٥، ٦٥،

٢٢١؛ انظر نيابة القلعة. **المعجم الجغرافي**، م٣، ص٤٦٤- ٤٦٥.

٩ . ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص٥٢٦-٥٢٧؛ ابن نظيف، **الكشف والبيان**، ص٥٥، ٦٥، ٢٢١.

١٠ . سبط بن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) **مرآة الزمان في تاريخ الزمان**، ج٨، نشره وعلق عليه علي سويم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقره، ١٩٦٨م، ج٨، ص٧٣١؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج٥، تحقيق حسين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ١٩٧٥، ج٥، ص٢٥٤؛ الصفدي، **الوافي**، ج٦، ص٢١٦-٢١٧؛ القلقشنديّ، أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**، ٣ج، تحيق عبد الستار أحمد فرّاج، ط٢، وزارة الأعلام الكويتية، الكويت ١٩٨٥م، ج٢، ص٨٤.

١١. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٢٨؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٤٧٩-٤٨١؛ أبن أيبك الدواداري، أبو بكر عبدالله (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) **كنز الدرر وجامع الغرر**، الجزء٨، **وهو الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**، تحقيق أُلْرِخ هارمان، نشر قسم الدراسات الإسلامية بالمعد الألماني للأثار، القاهرة، ١٩٧١م، ص١٠٦؛المقريزي، أحمد بن علي، (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٥ج، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م ، ج١، ص٤٢٨؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ج، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د.ت)، ج٧، ص٢١٧؛ الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص٤١٢.

١٢ . الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، اطلق عليه صاحب حلب ودمشق, آخر ملوك بني أيوب ولد سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م، وقتله هولاكو سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م، وله من العمر٣٢ سنة لتقاعسه عن مساعدته في موقعة عين جالوت. المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٥٣٩.

١٣ . ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ١١ج، حققه وقدم له سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م، ج٤، ص١٨١١؛ أبو شامه، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف بالذيل على الروضتين**، نشره عزات العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٨٠؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص٢٥٨ – ٢٦٠؛ ابن العبري، أبو الفرج يوحنا غريغورس (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) **تاريخ مختصر الدول**، دار الميسرة، بيروت، د:ت، ص٢٥٨؛ اليونيني، ذيل، ج٢، ص١٣٩؛

الغـزي، كامـل، نهـر الـذهب، دار القلـم، حلب، ط٢، ١٤١٩هـ، ج٣، ص١٣٠

١٤ . أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) **المختصـر في أخبـار البشـر،** ٤ج، المطبعـة الحسـينية، القـاهرة، ١٩٠٧م، ج٣، ص١٧٨، ٢٠٣؛ ابـن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشـافعي، (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) تتمـة المختصـر، ٢ج، منشـورات المطبعـة الحيدريـة، النجـف، ١٩٦٩م،ج٢، ص٢٧١؛ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) **البدايـة والنهايـة في التـاريخ،** ١٥ج، دار الفكـر، بـيروت، ١٩٨٦م، ج١٣، ص١٩١؛ **العـيني،** بدرالـدين محمـود (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) **عقـد الجمان في تاريخ أهل الزمان،** ج١-٤، تحقيق محمـد أحمـد أمـين، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، القـاهرة، ١٩٨٧-١٩٩٢م، ج١، ص٦، ٩؛ الشـهابي، حيـدر أحمـد، تـاريخ الأمير، **الغـرر الحسـان في تـواريخ حـوادث الزمان،** ٤ج، دار الجيـل، بـيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص٥٧٤- ٥٧٥.

١٥ . اليونيني، **ذيل مرآة الزمان،** ج٢، ص٣١٢.

١٦ . اليونيني، **ذيل مرآة الزمان،** ج١، ص٣٧؛ ابن أيبك، **كنز الدرر،** ص١٠٦.

١٧. ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن ابـراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) **الأعلاق الخطـيرة في ذكر أمراء الشام والجزيـرة،** ج١،ق٢، تحقيـق يحيى زكريا عبّـارة، منشـورات وزارة الثقافـة في الجمهوريـة العربيـة السـورية، دمشـق، ١٩٩١م، ج١، ق٢، ص١٠٦- ١٠٧؛ ابـن عبدالظاهر، الرو ابن عبدالظاهر، محيي الدين، (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر،** تحقيق عبـد العزيـز الخـويطر، الرياض، ١٩٧٦م، ص١١٧-١١٩؛ اليونيني، **الـذيل،** ج٢،ص١٠٨،ج٣، ص٢٥٠-٢٥١؛ أبـو الفـداء، **المختصـر،** ج٣، ص٢١٨؛ ابـن كـثير، **البدايـة والنهايـة،** ج١٣، ص٢٣٥-٢٤٣، ٢٥٦؛ ابـن خلـدون، عبـدالرحمن بـن محمـد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) **العـبر وديـوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي السـلطان الأكـبر،** ج٨، ضبطه خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشـر، بـيروت، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٤٤١؛ المقريـزي، **السـلوك،** ج١، ص٤٣٥، ٤٨٢، ٥٢٢؛ الحنبلـي، **شـذرات الـذهب،** ج٥، ص١١١.

١٨ . اليونيني، **ذيل مرآة الزمان،** ج٢، ص٢٣٠.

١٩. شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب الانصاري، (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،** صورة عن طبعة المطبعة الأكاديمية الامبراطورية، بطرسبرغ، ١٨٦٥م، ص٢٠٢.

٢٠. أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل محمد بن عمر (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **تقويم البلدان،** عني بتصحيحه وطبعه رينود وماك كوكين، دار صادر، بيروت، (د. ن) ص٢٨٠-٢٨١.

٢١. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، **التعريف بالمصطلح الشريف،**

تحقيق سمير الدروبي، جامعة مؤته، الكرك، ١٩٩٢م، ص٢٥٧.

٢٢ . القلقشنديّ، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ١٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص ١١٤، ١١٥،١٦٩.

٢٣ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١١٤-١١٥.

٢٤ .**المصدر نفسه.**

٢٥ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١٦٩.

٢٦. السحماوي، شمس الدين محمد، (ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م)، **الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشأ للخالدي**، تحقيق أشرف محمد أنس، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ج١، ص٢٩٧.

٢٧. ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٦٤م) **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، طبع باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م، ص٥٠.

٢٨ . الحياري، مصطفى، **الإمارة الطائية في بلاد الشام**، ط١، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٧م، ص٢٨؛ الطراونة، مبارك محمد، **نيابة حمص في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة مؤتة،١٩٩٦م، ص٢١-٢٢.

٢٩. أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص٢٨٠-٢٨١؛ القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١١٤-١١٥؛ الحياري، **الإمارة الطائية**، ص٢٨؛ الطراونة، نيابة حمص، ص٢١-٢٢.

٣٠. ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد (ت: ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٨٥-٨٦.

٣١ . ابن بطوطة، **تحفة النظار**، ص٨٦.

٣٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله (ت: ٧٦٤هـ ١٣٦٢م) **الوافي بالوفيات**، ٢٩ج، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ٢٣٣، ج٩، ص٤٧٧.

٣٣ . ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ص٤٢، ١٣٠، ١٤٦، ١٤٧.

٣٤. ابن صصرى، محمد بن محمد (ت بعد ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، تحقيق وترجمة ونشر وليم.م.بيرنر، مطبعة جامعة كاليفورنيا، بركلي،١٩٦٣م، ص١٧١.

٣٥. الدواداري المنصوري، **زبدة الفكرة**، ص٢٢٤؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ص٢٥٧-٢٥٨.

٣٦. **الرَوحا:** قرية من قرى الرّحبة: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٧٦.

٣٧. **العشارة:** قرية من قرى الرّحبة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٧٦؛ ابن عبدالحق البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٢، ص٩٤١.

٣٨. ماكسين: قرية من قرى رحبة مالك بن طوق. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٤٣؛ ابن عبد الحق البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٢، ص٢٢١.

٣٩. الدالية: مدينة صغيرة غربي نهر الفرات تقع بين عانة والرّحبة. ابن عبد الحق البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٢، ص٢٢١.

٤٠ . بَرْطُوبَة: بلدة صغيرة مقابل الرّحبة بالقرب من قرقيسيا. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٣٨٥.

٤١ . واسط: قرية بالقرب من قرقيسيا على نهر الخابور. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٥١.

٤٢ . ابن فضل الله، **التعريف**، ص٢٥٧.

٤٣ . **المصدر نفسه.**

٤٤. ابن فضل الله، **التعريف**، ص٢٥٧؛ القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٢٦.

٤٥ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٦، ص١٣٥، ج٧، ص١٨٦.

٤٦ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٦، ص١٣٥، ج٨، ص٢٢٠.

٤٧ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٦، ص١٣٥، ج٨، ص٢٢١.

٤٨ . أمير طبلخانة: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في مصر صاحبها يلي أمير مائة مقدم ألف في الدرجة، ويطلق عليه ايضا أمير اربعين، بمعنى يكون في خدمته أربعين مملوكا، وقد يزيد العدد إلى سبعين أو ثمانيين، هو بذلك يستحق أن تضرب الموسيقى على بابه، وتأتي رتبتهم في الطبقة الثانية من أرباب الوظائف، وأكابر الولاة. القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٩، ١٣، ١٥؛ دهمان **معجم المصطلحات**، دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص١٠٦-١٠٧. عاشور، سعيد عبدالفتاح، ال**عصر المماليكي في مصر والشام**، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٤٢٤.

٤٩.القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١١٤-١١٥.

٥٠. تقدمة ألف: رتبة عسكرية في الجيش المملوكي من أعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك، وهذه المرتبة خاصة بارباب السيوف، ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك، وهو في نفس الوقت مقدم على ألف جندي من أجناد الحلقة في وقت الحرب. والسفر، ويتولّى نيابة السلطنة ويلي الأتابك في الرتبة. القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١٤، ١٥؛ دهمان **معجم المصطلحات**، ص٢٢؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٤٢٥.

٥١. الصفدي، خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق على أبو زيد وأخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٩٣-٥٩٤؛ ابن حجر، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ٦ج، مراقبة محمد عبد المعيد خان،

مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٧٢م، ج٢،ص٣٨٢.

٥٢ . **انظر ملحق النواب.**

٥٣ . المقريزي، **السلوك،** ج٥، ص٢٤٤.

٥٤ . المقريزي، **السلوك،**، ج٤، ص٢٦٩.

٥٥. القلقشنديّ، **صبح الأعشى،** ج١٢، ص ١٠٩-١١٢. انظر الملحق بنيابة السلطنة صفحة.

٥٦. نعير بن حيار وأسمه محمد بن حيار بن مهنا بن مانع بن حديثة بن فضلن تولّى الإمرة مناصفة مع الأمير زامل بن موسى ومعقيل بن فضل ثم أستقل عنهما بالإمرة سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، وأصبحت كاملة له، وبسبب مساندته لحركة الناصري ومنطاش ضد السلطان برقوق عزل عن الإمرة، ولكثرة فساده وتدخله في الأوضاع السياسية قتله السلطان جكم عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، وبمقتله ضعقت شوكة آل فضل. ابن تغري بردي، **الدليل الشافي،** ج٢، ص٧٦١؛ وله **المنهل الصافي،** ج١٢، ص١٩-٢٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع،** ج١٠، ص٢٠٤. للمزيد عن علاقة عن دور القبائل العربية في الصراعات المملوكية الداخلية، انظر الطراونة، مبارك، **دور القبائل العربية في الصراعات المملوكية إبان حكم السلطان برقوق،** جامعة الأزهر الشريف، حزيران، ٢٠١٣م.

٥٧. **انظر ملحق رقم (١) بنواب السلطنة.**

٥٨. مجموعة مؤلفين، **المعجم الجغرافي،** م٣، ص٤٦٤.

٥٩. ابن القلانسي، **تاريخ دمشق،** ص٥٢٦-٥٢٧.

٦٠. ابن القلانسي، **تاريخ دمشق،** ص٥٢٦-٥٢٧؛ ابن نظيف، **الكشف والبيان،** ص٦٥، ٢٢١.

٦١. القلقشنديّ، **صبح الأعشى،** ج١١، ص١٠٨.

٦٢ . **المصدر نفسه،** ص١٠٩.

٦٣. ابن الوردي، **تتمة المختصر،** ج٢، ص٢١٥.

٦٤. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت: ٧٧١هـ / ١٣٧٠م) . **معيد النعم ومبيد النقم،** تحقيق محمد على النجار وأخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٤٣؛ القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج٤، ص١٨٧.

٦٥. الصفدي، **أعيان العصر،** ج٤، ص١٨٠-١٨١.

٦٦. القلقشنديّ، **صبح الأعشى،** ج٤، ص١٨٧-١٨٨.

٦٧. القلقشنديّ، **صبح الأعشى،** ج٤، ١٨٧، ج٥، ٤٦٣.

٦٨. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت: ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م)، **تاريخ الدول والملوك،** نشر باسم تاريخ ابن الفرات،٩ج، عدة محققين، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٦/ ١٩٤٢م، ج٧، ص ١٥٨.

٦٩. ابن أيبك الدواداري، ابن أيبك الدواداري، ابو بكر عبدالله (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) **كنز الدرر وجامع الغرر،** الجزء الثامن وهو الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أُلْرِخ هارمان، نشر قسم الدراسات الإسلامية بالمعد الألماني

للأثار، القاهرة، ١٩٧١م. الدرة الزكية، ص ٣٦١ –٢٦٢؛ العيني، **عقد الجمان**، ج١، ص٢٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٨، ص٦.

٧٠. أبو سعيد: القان بوسعيد بن القان محمد خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو أخر السلاطين الكبار من المغول، تولّى الحكم سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م وعمره لم يتجاوز الحادية عشر، كان يعتنق المذهب الحنفي وقام بالكثير من الأعمال الخيرة، وتوفي سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م. المقريزي، **السلوك، ج٣**، ص٢٠٧.

٧١. أبو الفداء، **المختصر**، ج٤،

٧٢. أحمد بن أويس بن الشيخ حسن النوين بن حسين بن أقبغا بن أيلخان بن غياث الدين سلطان العراق تولّى السلطنة في صفر سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، واستبد في الحكم وعندما نازل تيمورلنك بغداد سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م، فرّ بأهله بعد هزيمته وقصد الشام فوصل الرّحبة واستأذن الظاهر في القدوم عليه فأجابه بما يطيب خاطره ولقاه سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٤م، وتوفي ٨١٣هـ/ ١٤١٠م، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، ج٣، تحقيق محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٨٧-١٣٨٨هـ/ ١٩٦٧- ١٩٦٨م، ج٢-٣ حققها حسن حبشي، القاهرة ١٩٧١-١٩٧٢م، ج٢، ص٤٦٥.

٧٣. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٥، ص٥٧٣، ٦٢٦؛ ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج١، ص٤٥٣؛ ابن قاضي شهبه، تقي الدين أحمد (ت: ٨٥١هـ /١٤٤٨م) تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣، حققه عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٧م، ج٣، ص٤٧٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٢، ص٤٤؛ المحميد، دور إمارة آل فضل المحميد، علي بن صالح "دور إمارة آل فضل السياسي في بلاد الشام ابان العصر المملوكي" **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها**، ج١٧، ع٢٩، صقر ١٤٢٥هـ، ص٤٨٦.

٧٤. المقريزي، **السلوك**، ج٦، ص٢٧؛ ابن قاضي شهبه، **تاريخ**، ج٣، ص٩٣.

٧٥. المقريزي، **السلوك**،، ج٦، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٢، ص٢١٩.

٧٦. قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركماني استولّى بعد وفاة تيمورلنك على عراق العرب والعجم وتبريز وماردين وما والاها من البلاد الجزرية وديار بكر اتصف بالظلم والقسوة وعاث فساداً في العراقين ودمرهما وتوفي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت: ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ١٠ج، دار الجيل، بيروت، د:ت، ج٦، ص٢١٧-٢١٨؛ وله **وجيزالكلام الذيل على دول الإسلام**، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥.

٧٧. المقريزي، **السلوك**، ج٦، ص٢٧٦؛ ابن حجر، **انباء الغمر**، ج٢، ص٢٦٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٢، ص٣٠١.

٧٨. ابن قاضي شهبه، **تاريخ**، ج٣، ص٥١٥-٥١٦.

٧٩ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١٩، ١٨٦- ١٨٨، ج٥، ص٤٦٢.

٨٠ . الطراونة، طه، **مملكة صفد في عهد المماليك**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٤٤.

٨١. القلقشنديّ، صبح الأعشى، ج١٢، ص٤٠٧-٤٠٨. انظر توقيع بنظر الرّحبة .

٨٢ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١، ص٨٣.

٨٣. ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت:٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، تشريف **الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م، ص٩٨-٩٩.

٨٤. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الألبَكي الصفدي الدمشقي الشافعي (٦٩٦-٧٦٤هـ/١٢٩٦-١٣٦٢م) ولد في صفد لأسرة ثرية حفظ القران وبرع في النحو والأدب، وقال الشعر وألف العديد من الكتب، منها المطبوع، ومنها المخطوط/ ومنها المفقود، وتولّى الكثير من الوظائف الإدارية والمالية في العديد من النيابات المملوكية ومنها كتابة السر في نيابة الرحبة فترة طويلة. الصفدي، دائرة المعارف الإسلامية، ج١٤، ص٢٢٠.

٨٥ . أبو بكر بن محمد بن محمود، ابن سلمان بن فهد، القاضي الكاتب الرئيس البليغ شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن القاضي شهاب الدين، كاتب السر بالشام ومصر وابن كاتب السر بالشام ولي كتابة السر بدمشق بعد القاضي محيي الدين بن فضل الله، ولاه الملك الصالح إسماعيل وكالة بيت المال بالشام مضافاً إلى ما بيده، فأقام في الوكالة سنة أو قريباً منها، ثم إنه توجه إلى القدس فتوفي سنة٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م الصفدي، **أعيان العصر**، ج٢، ص ١٢- ١٦.

٨٦. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٥٥٩، ج٥، ص١٧٠، ١٧٣، ٣٣٧؛ وله **الوافي**، ج٢٢، ص٢٧٠.

٨٧. كمال الدين محمد بن أحمد: باشر كتابة الانشاء، وتنقّل بها وكان ضعيفاً في الانشاء وذو طباع حادة طلب الحديث تنقّل بين الشيوخ وكتب على الطباق وسمع من الحجار والعفيف والأمدي كان مولده في سبعمائة ونيف ووفاته سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٧٦.

٨٨. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٧٦.

٨٩. عمر بن داود بن هارون بن يوسف الصفدي: ولد في قرية نين من قرى مرج بن عامر في صفد عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م. تنقّل في كتابة الإنشاء من صفد إلى دمشق إلى غزة إلى الرّحبة، ثم أعاده الأمير تنكز لديوان الشام بعد سفر صاحب الديوان إلى مصر ثم طلب إلى مصر في أقل من سنة واستقر به الحال هناك لمدة ثماني سنوات، ثم اعيد إلى دمشق وأخذ يتردد بين ديوان مصر والشام موقعا للدست إلى أن توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.

الصفدي، **أعيان العصر**، ج٣، ص٦١٠-٦١٣؛ ولـه **الوافي بالوفيات**، ج٢٢، ص٢٨٧- ٢٨٨؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٤، ص١٤٩.

٩٠ . تنكز: ملك الأمراء الأمير الكبير سيف الدين بن عبدالله تولّى نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م اتصف بالعدل والإحسان، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون لا يفعل شيئا إلّا برأيه، ولمكانته عنده ربط جميع نواب النيابات في بلاد الشام بنائب دمشق وجعل مكاتبة النواب إليه عن طريق نائب دمشق ملك الأمراء الأمير تنكز. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٥، ص٤٨٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٣٨؛ ابن طولون، **اعلام الورى**، ص٣٨-٤٠؛ يوسف درويش غوانمه، **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**، دار الحياة للنشر والتوزيع، الزرقاء، ١٩٨٢م، ص١٨.

٩١. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٣، ص٦١٠ – ٦١٣؛ ولـه الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٢٨٧- ٢٨٨؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٤، ص١٤٩.

٩٢. القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٤، ص٤١٦-٤١٧؛ العابدي، محمود، **الأثار الإسلامية في فلسطين والأردن**، عمان، ١٩٧٣م، ص ١٨٢- ١٨٣.

٩٣. ابن اياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت: ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ٥ج، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢-١٩٨٤م، ج١، ص٨٩.

٩٤ . ابن فضل الله العمري، **التعريف**، ص١٨٧؛ ابن آيبك، **الدر الفاخر**، ص٢٥٨-٢٦١؛ ابن أياس، **بدائع الزهور**، ج١، ص٨٩.

٩٥ . ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص١١٧؛ القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٤، ص٣٧٥- ٣٧٨؛ ابن أياس، **بدائع الزهور**، ج١، ص٨٩.

٩٦ . ابن فضل الله، **التعريف**، ص١٩٣-١٩٤؛ القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٤، ص٣٨١- ٣٨٢.

٩٧ . ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص١١٧؛ طه، صفد، ٢٤٨.

٩٨ . ابن شاهين، **زبدة كشف الممالك**، ص١١٦-١١٧؛ القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص٤٣٩، ج١٤،ص٣٩٤، ٤٢٦- ٤٢٧.

٩٩. انظر القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج١٤، ص٤٤٧-٤٥٠.

١٠٠. القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١٩٠، ٢٤٠.

١٠١ . ابن فضل الله العمري، التعريف، ص٢٥٧.

١٠٢. حسن، علي ابراهيم، **دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر بوجه خاص**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م، ص ٢٨٨ طه، صفد، ص٢٥١.

١٠٣ . الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص٨٤٧.

١٠٤ . القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٣٤ - ٥٣، ١٩٨.

١٠٥. القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ٣٤ - ٣٥.

١٠٦ . ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج١، ص٤٢٣.

١٠٧. اسحاق بن اسماعيل: نجم الدين اسحاق بن اسماعيل أبو القاسم بن حسن بن أبي القاسم المقدادي الكندي، الفقيه الشافعي أبو الفداء بن القاضي مجد الدين بن الرحبي، يقال أنه من ولد المقداد بن الأسود ولد سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، كان رجلا فاضلا صالحا محباً للخير أحبه أهل الرّحبة وخاصة الفقراء، وروي بدمشق وبالرّحبة، وهو الذي تفاوض مع خدابندا لفك الحصار عن مدينة الرّحبة سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، نقل من قضاء الرّحبة سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م إلى نيابة الخطابة بدمشق وخطب العيدين، وتوفي بعد مباشرته بسنة في اليوم الثاني من شهر ربيع أول سنة ٧١٥هـ/ ٦حزيران ١٣١٥م. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص٤٥٨٣؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٤٨٤ ج٤، ص٤٤، ٦٠؛ **ابن حجر، الدرر الكامنة** ج١، ص٤٢٣.

١٠٨. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص٤٥٨٣؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٤٨٤ ج٤، ص٤٤، ٦٠؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج١، ص٤٢٣.

١٠٩. **لم أعثر له على ترجمة.**

١١٠. عمل زُرَع وهي بلدة من بلاد حوران لها عمل مستقل، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١٠٨؛ شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص٢٠٠.

١١١. ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ج٣، ص١٣٦.

١١٢. علي بن يوسف بن مكثوم بن ثابت بن ربيع مكبر بن محمد العلاء الشيباني الرّحبي الحلبي نزيل حماة ويعرف بابن مكثوم ولد تقريباً في سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٠م، حفظ القران وتعلم الفقه في الشام، وأذن له بالتدريس والإفتاء وتوفي ٨٤٩هـ أو ٨٥٠هـ/ ١٤٤٥- ١٤٤٦م. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٦، ص٥٥.

١١٣ . السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٦، ص٥٥.

١١٤. ابن فضل الله العمري، **التعريف**، ص١٣٢- ١٣٤؛ القلقشنديّ، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٣٧، ١٩٩؛ طه، **مملكة صفد**، ص٢٥٦.

١١٥. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٢٧٦.

١١٦. المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٤؛ الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي أحمد بن محمد ابن العماد (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ٨ج، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)، ج٧، ص ٥٣٩؛ الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٣٦٢.

١١٧. المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٤.

١١٨. اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج٣، ص ١٢٥- ١٢٦؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ ١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ١٥ج، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، ج١٥، ص٢٧٢؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٦، ص٣٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**

والمستوفي بعد الوافي، ١٣ج، عدة محققين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤- ١٩٨٨م ، ج١، ص١٠٢؛ الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٢٧. اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج٣، ص١٢٥-١٢٦.

١١٩. المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٢٦.
اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج٣، ص ١٣١-١٣٣؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص٣٧٣؛ الصفدي، **الوافي**، ج٢، ص١٦٧، ج٩، ص٢٦٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص٢٤٨، ٢٩٦؛ وله **المنهل الصافي**، ج٣، ص١٣٤.

١٢١. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص٣٩٠؛ الصفدي، **الوافي**، ج١٣، ص٢٠٧؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص١٣٣؛ العيني، **عقد الجمان**، ج١، ص ١٧١.

١٢٢. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج١، ص٢٠٢.

١٢٣. ابن أيبك الدواداري، **الدر الفاخر**، ج٩، ص٨؛ **وله كنز الدرر**، ص٤٢؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٣٥٥.

١٢٤. المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٣٥٥.

١٢٥. الأمير الكبير جمال الدين الأفرم ولي نيابة دمشق واستمر بها إلى أن دخلها غازان سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م وهرب منها إلى القاهرة وبعد رجوع المغول عاد إلى نيابته وبقي فيها إلى أن عزل بقراسنقر سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م. ابن طولون، شمس الدين بن محمد (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) أعلام **الورى بمن ولي نائباً من الاتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٥٦م، ص٣٧.

١٢٦. ابن أيبك، **الدرة الزكية**، ص١١٠؛ **وله الدر الفاخر**، ص ١٣٠، ١٤٦، ٢١٠،٢٠٧،١٤٧.

١٢٧. ابن أيبك، **الدر الفاخر**، ص٢٥٨؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٦، ص١٤٩.

١٢٨. أبو الفداء، **المختصر**، ج٤، ص٧٧؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٤، ص٧٨، المقريزي، **السلوك**، ج٢، ص٤٨٥.

١٢٩. الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٧١٧-٧١٨.

١٣٠. ابو الفداء، **المختصر**، ج٤، ص٧٧.

١٣١. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص١٨٠-١٨١؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٤، ص ٣١٧.

١٣٢. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٢، ص ٤٧٤؛ وله، **الوافي بالوفيات**، ج١٥، ص٢٩٤؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٢، ص٣٢٠؛ ابن تغري بردي؛ **المنهل الصافي**؛ ج٦، ص ٧٩.

١٣٣. الصفدي **أعيان العصر**، ج٥، ص٥٩٤؛ ابن أيبك، **الدر الفاخر**، ص٢٥٨؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٦، ص٢١٣.

١٣٤. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٦، ص٢٦٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج٦، ص٤١٩.

١٣٥. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٦، ص٢٦٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج٦، ص٤١٩.

١٣٦. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٦، ص٢٦٦.

١٣٧. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص٣٤٢؛ وله **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص١٦٧.

١٣٨. المقريزي، **السلوك**، ج٤، ص١١٧.

١٣٩. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٣، ص٣١٥؛ وله **الوافي بالوفيات**، ج٢٠، ص١٦٧.

١٤٠. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٢٠،ص ١٦٧؛ وله **أعيان العصر**، ج٤، ص٤٤٢-٢٤٣؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٥، ص١٧٩.

١٤١. **بيبغا أُرُس**: تقلب في المناصب حتى ولي نيابة حلب سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م وخرج عن طاعة السلطان الملك الكامل، ووافقه الأمراء ونواب بعض النيابات الشامية، وأراد التوجه لمصر وعندما علم بقدوم السلطان الكامل لمحاربته تخوف من لقائة فرجع إلى حلب ومنعه أهلها، ولما أقام السلطان الكامل بدمشق أمر نائبها بملاحقته حتى قبض عليه وحبس في قلعة دمشق، وتوفي قتلا سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م. المقريزي، **السلوك**، ج٤، ص١٦٠-١٦٦. ابن تغري بردى، **المنهل الصافي**، ج٣، ٤٨٦- ٤٨٨.

١٤٢. المقريزي، **السلوك**، ج٤، ص١٦٠-١٦٦؛ ابن تغري بردى، **المنهل الصافي**، ج٣، ٤٨٦-٤٨٨؛ وله **النجوم الزاهرة**، ج١٠، ص٢٢٨-٢٢٩.

١٤٣. الصفدي، **أعيان العصر**، ج١، ص٢٢٤.

١٤٤. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص١٠٩-١١٠؛ وله الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٨٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنه،ج٣، ص٣٣٣ ج٤، ص٢٩٠؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج١، ص١٢١.

١٤٥. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٤، ص١٠٩-١١٠؛ وله **الوافي بالوفيات**، ج٢٤،ص١٨٤.

١٤٦. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٣،ص٣١٠؛ ابن حجر، الدرر **الكامنة**، ج٤ ص٣٧.

١٤٧. الصفدي، **أعيان العصر**، ج٢، ص٥٩٣-٥٩٤؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٢، ص٣٨٢.

١٤٨. المقريزي، **السلوك**، ج٤، ص٢٦٩. لم أعثر له على ترجمة.

١٤٩. ابن حجر، **انباء الغمر**، ج٢، ص١٧٤؛ ابن قاضي شهبه، **تاريخ**، ج٣، ص١٤٦؛ ابن الصيرفي، علي بن داود بن ابراهيم الخطيب الجوهري، (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) **أنباء الهصر بأبناء العصر**، حققه حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١، ص٢٦٩.

١٥٠. ابن الفرات، **تاريخ**، م٩، ج١،ص١١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج٥، ص٢٤٤.

١٥١. ابن قاضي شهبه، **تاريخ**، ج٣، ص٣٣٤.

١٥٢. ابن قاضي شهبه، **تاريخ**، ج٣، ص٣١١.

١٥٣. المقريزي، **السلوك**، ج٤، ص٤٤٦، ج٦، ص٤٢٧؛ ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج٣، ص١٣٣.

١٥٤. المقريزي، **السلوك**، ج٦، ص٤، ٥٠

The World Islamic Sciences and
Education University (W.I.S.E)

Al-Mishkat

For Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

Volume (5), Number (1), Rajab 1439, March 2018

The views and ideas expressed in the articles published in this journal are of their own authors and do not reflect the views of the editorial board or the World Islamic science and Education University or the policies of the Ministry of Higher Education and Scientific Research.

ISSN 2311-0538



All Correspondence Concerning this Journal should be addressed to:

Editor in Chief
Deanship of Academic Research
The World Islamic Sciences and Education University (W.I.S.E)
Amman- Jordan
P.O. Box: (1101), Post Code (11947)

Tel: 00962 6 5600230, Ext. 2012, Fax: 00962 6 5600237

Email: al_mishkat.journal@wise.edu.jo
Website: www.wise.edu.jo

Al- Mishkat

For Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

Volume (5), Number (1), Rajab 1439, March 2018

Editor in Chief

Prof. Hanaa al-huniti

Editorial Staff

Prof. Mahmoud al sartawi	The World Islamic Science & Education University
Prof. Mohamed al-Arnaout	Mu'tah University
Prof. Yaser al-hourani	The World Islamic Science & Education University
Prof. Abd Albaset Marashdeh	The World Islamic Science & Education University
Prof. Nawaf Kanaan	The World Islamic Science & Education University
Dr. Abd Almaqsood Hamed	The World Islamic Science & Education University
Dr. Abd alraouf Banyesa	Arab Open University
Dr. Omar Mohammad Al-Momani	The World Islamic Science & Education University

Advisory Editorial Board

Prof. Sameer al-Droubi	Mu'tah University
Prof. Abd El Kareem Khaleefah	The Jordan Arabic Language Academy
Prof. Afeef Abd ElRahman	Former Editor
Prof. Ali Tawfeeq al-Hamad	Yarmouk University
Prof. Yahya Ateyah Ababneh	Mu'tah University

English Language Editor

Dr. Jbreel AlSaoude

Arabic Language Editor

Dr. Atef Dweakat

Journal Secretary & Designer

Shaimaa Khasawneh